مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثامن - السنة الرابعة. رجب ١٤٤١هـ، الموافق مارس ٢٠٢٠م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثامن السنة الرابعة رجب ١٤٤١هـ مارس ٢٠٢٠م



مجلة تدبر
٣٨٤ ص، ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨
بتأريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨
ردمد: ٧٦٤٢- ١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام
بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات
جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:
رئيس التحرير
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
المملكة العربية السعودية
ص. ب ٧١١٩
المدينة المنورة ٤١٤٦٢

Info@tadabburmag.sa
+966503072333
@tadabburmag
http://www.tadabburmag.sa

إخراج فني: همت العزب

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة تدبر

دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

- **المرجعية:** مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.

الرُّؤيَة:

أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرِّسَالَة:

أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأَهدَاف:

- **تشجيع** البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- **نشر** البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- **تحقيق التواصل العلمي** بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.
- **فتح آفاق جديدة** للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.

مجالات النشر في المجلة

۞ أولًا: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم:

١. التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

٢. الموضوعات القرآنية.

٣. المقاصد القرآنية.

٤. المناسبات القرآنية.

٥. الإعجاز القرآني.

٦. البلاغة القرآنية.

٧. تعليم تدبر القرآن الكريم.

٨. الاستنباط من القرآن الكريم.

۞ ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

۞ ثالثًا: مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

۞ رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

۞ أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تَهـدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ على أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

۞ ثانيًا: الإجراءات العلمية لتقديم البحث:

١ – أن يكون في مجالات المجلة.

٢ – كتابة مقدمة تحتوي على **(موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث)**.

٣ – تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤ – تقسيم البحث إلى أقسام **(مباحث)** وفق **(خطة البحث)**؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم **النتائج والتوصيات**.

ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث **(٥٠)** صفحة مقاس **(A4)** متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن **(٢٥)** صفحة.
- هوامش الصفحة تكون **(٢ سم)** من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط **(traditional arabic)** للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط **(Times New Roman)** للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب **الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف**، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها على حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.

- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي على:

(عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية).

- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: **(موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه)** مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص **(عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية)** المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.
- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر **(عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)**؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

❁ رابعًا: كيفية توثيق المراجع:

يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

▪ **إذا كان المرجع (كتابًا):** («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى؛ محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

▪ **إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع):** («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

▪ **إذا كان المرجع (مقالًا من دورية):** («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلى ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد».
المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذِكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيُّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.

خامسًا: بيان مسار البحث المقدم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّتِه للتحكيم، أو رفضه.

٣- إِطْلَاعُ الباحث على خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- في حـال (قبول البحث للنَّشـر) يتمُّ إرسـال رسـالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرى بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٦- إرسـال البحث عبـر الموقع أو البريد الإلكتـروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شـروط النَّشر فـي المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ فـي تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٧- الآراء الواردة فـي البحوث المنشـورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّرُ بالضرورة عن رأيِ المجلة.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبّر عن آراء أصحابها

المحتويات

مجلة تدبر



افتتاحية العدد

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، أنزلَ الكتابَ المُبينَ؛ ليكونَ منهاجًا لعباده الصَّالحين، وأَمَرَ رسولَه بتدبره؛ فكان قدوة المُتَدَبِّرين وإمام الصَّالحين ﷺ إلى يوم الدِّين.

وتَبِعَه على ذلك النَّهْجِ المُبِينِ صحابتُه الكِرَامُ -رضوان الله عنهم أجمعين-؛ فكانوا خيرَ مَن تَدَبَّرَ القرآنَ الكريمَ؛ حِين كانوا له تَالِين، وبِمواعظِه مُتَأَثِّرين، ولأحكامه مُمتثلين، وبقَصصه مُعتبرين.

وتَتَابَعَ صُلحاءُ الأُمَّةِ على هذا إلى يومنا هذا؛ فجعلوا القرآن لهم حياة، يتلونه حق تلاوته، ويتدبرونه حق تدبره، ويتعلمون أحكامه، ويتعظون بمواعظه، ويتخلقون بأخلاقه، ويهتدون بهديه، ويسيرون على منهاجه، يرون به الحق فيتبعونه ويدعون إليه، ويبصرون به الباطل فيجتنبونه وينهون عنه، حتى صار هذا القرآن العظيم أنسهم وسلوتهم وسعادتهم ومفزعهم، لا يجدون حلاوة الحياة بدونه، ولا نور الطريق من غيره، ولا يعدلون إلى منهاج سواه.

إنَّ هذه البركةَ من بركاتِ كتاب الله لا يدركها إلا من تدبره واتعظ به وعمل بما فيه، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وفي قراءة أبي جعفر وعاصم المُتَواترتين: (لِتَدَّبَّرُوا)، أي: لِتَتَدبره أنت -يا مُحَمَّدُ- وأتباعك، فيحصل بالتدبر البركة والخير الكثير والنفع العظيم.

وإنَّ مَجَلَّةَ (تدبر) تسعى إلى تعميق التدبر في الأمة؛ لعلها تنال هذه البركة في القرآن الكريم.

وهـي إذ تَختم عامَهـا الرَّابع بصدور **عددها الثَّامن** نحمد الله الذي يسـر وأعان، ونشـكر كل من أسـهم في مسيرتها، ونعتذر إلى الباحثيـن الذين وَافوا المجلة ببحوثهم، ولم يكن لهم نصيب في النَّشر، ونهيب بالجامعات والمراكز العِلميـة والبحثيـة بـذلَ المزيد مـن الجهد في تخصيـص الدراسـات القرآنية بالمجـلات العِلْمِيَّةِ المُحَكَّمَةِ لنشـر البحوث القرآنيـة، وتطوير مجالات تلك الأبحـاث؛ بما يُعين علـى الثراء العلمـي في المجتمعات المحليـة والإقليمية والعالمية، وبما يَنشر رسالةَ القرآن وهداياتِه للناس جميعًا.

ونسألُ اللهَ أن تكون هذه المجلةُ (تدبر) منارةَ خير وبركة ونموذجًا يُحتذى في بقية مجالات الدِّراسـات القرآنية، وأن ينفع بالجهود المبذولة للارتقاء بها، وبمجال تَدَبُّر القرآن وخوادمه، ويَعَمَّ بالبركة والخير كُتَّابَها وقُرَّاءها..

وأتقدّم بالشـكر الجزيل لأعضاء هيئة تحرير المجلة والهيئة الاستشارية وأميـن التحريـر وكل من أعاننا وشـجعنا، وأسـأل الله أن يتقبـل منهم ويعظم أجرهم ويبارك لهم.

والحمد لله رب العالمين.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

مجلة تدبر



أولًا: البُحُوث

مجلة تدبر



البحث الأول

المقاصد القرآنية في سورة ق

الباحث: حماد بن محمد يوسف

طالب بمرحلة الفضيلة، بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة المحمدية-الهند.

- نال شهادة العالمية من كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة المحمدية-الهند، عام ٢٠١٩م.

أهم النتاج العلمي:

- "منهج الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح وعناية العلماء به" (باللغة العربية).
- "ظاهرة التكفير وخطورته" (باللغة الأردية)، وهما منشوران بمجلة النادي المحمدي، بالجامعة المحمدية-الهند.

البريد الإلكتروني: mdhammadyusuf1@gmail.com

مستخلص البحث

يُعنى هذا البحثُ بدراسة: (المَقاصِد القُرآنيَّة في سُورة «ق»)، معتمدًا في ذلك على المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وتَكْمُنُ أهميَّتُه في فَضْلِ سُورة (ق) ومكانتِها العظيمةِ بين السُّوَرِ القُرآنيَّةِ، وهو مع ذلك لم يَنَلْ حَظَّهُ في الدِّراسات التي تناولت المَقاصِد القُرآنيَّة؛ على الرغم مِن أهميته في فهم القرآن وتدبُّره.

ويَهدف البحثُ إلى استنباط المَقاصِد القُرآنيَّة من سُورة (ق)، ومعرفة القضايا الجوهرية التي تناولتها السُّورة، والوقوف على سِرِّ قِراءة الرَّسول ﷺ لهذه السُّورة في المجامع الكِبار.

وقد جاء هذا البحثُ في مُقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

واختصَّ المَبْحثُ الأولُ بالتعريف بعِلم المَقاصِد القُرآنيَّة، وبيان أهميته.

أمَّا المَبْحث الثاني: فقد كان مقدمة تعريفية لسورة (ق)؛ بِذكر بعض ما يُعِينُ على الكشف عن المَقاصِد القُرآنيَّة.

أمَّا المَبْحث الثالث: (وهو صُلب البحث)؛ فذكر فيه مَقصد السُّورة إجمالًا مع ذِكر شواهده، ثم موضوعاتها الجزئية، ثم التدبُّر المَقاصِدي لآيات السُّورة تفصيلًا.

وخَلَصَ البحثُ إلى أنَّ سُورة (ق) قد تناولت عِدَّةَ موضوعات رئيسة تخصُّ العقيدةَ الإسلاميَّةَ؛ من تقرير أصول الدِّين من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ، وإعطاءِ تَصَوُّرٍ كامل عن حياة الإنسان،

وغير ذلك من المَقاصِد القرآنيَّة المُهَمَّةِ، ولذلك كان الرَّسول ﷺ يَقرأ بها في المجامع الكبار.

ويُوصي البحثُ بضرورة العناية بسورة (ق)؛ تلاوة وتدبُّرًا، وإحياءِ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ في قراءتها في خُطبة الجمعة وصلاة العِيد، ودراسة المَقاصِد القرآنيَّة في السُّوَر؛ خاصَّةً تلك السُّور التي كان الرَّسول ﷺ يُواظبُ على قِراءتها.

الكلمات المِفتاحيَّة: المَقاصِد القرآنيَّة- التَّدَبُّر المَقاصِدي- التفسير- سُورة (ق)- السُّور المكيَّة- المُفَصَّل.

The Qur'anic Purposes of Sura Qāf

Prepared by:

Hammad Mohammed Yusuf

Email: mdhammadyusuf1@gmail.com

Summary:

This piece of research explores the Quranic objectives in the Chapter of Qāf, depending on the deductive and inductive methods. Its significance lies in the merit of this chapter and its great position among the Quranic chapters, and yet the studies that dealt with the Quranic objectives did not examine it adequately despite its being instrumental in understanding and meditating on the Qur'an.

The research aims to extract the Quranic objectives from the chapter of Qāf, highlight the key issues that it tackles and find out why the Prophet **(Peace be upon him)** used to recite it at his major assemblies.

This research includes an introduction, three sections, and a conclusion. The first section defines the study of the Quranic objectives and clarifies its importance. As for the second section, it presents an introduction to the chapter of Qāf which sheds light on what helps to draw the Quranic objectives. The third section **(which is also the crux of**

the research) discusses the general meaning of the chapter in question, together with its supporting evidence, its sub-themes and the meditative consideration of its verses.

Main Findings:

The research concludes that the chapter of Qāf deals with several primary issues related to the Islamic faith, confirming certain religious fundamentals, including belief in Allah **(Exalted be He)**, His angels, His sacred books, His prophets, the Doomsday, and predestination and gives a complete picture of man's life. That's why the Prophet **(Peace be upon him)** was always keen on reciting it on formal occasions.

Primary Recommendations:

- Special attention should be given to the chapter of Qāf in terms of recitation and meditation.

- It should be recited during the Friday Sermon and the Eid prayer to revive the Prophet's established tradition.

- The Quranic objectives of the various chapters should be studied, particularly those chapters which the Prophet **(Peace be upon Him)** recited regularly.

Key Words: Quranic objectives- meditative consideration-interpretation –the chapter of Qāf- the Meccan chapters-al-mufassal.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

أمَّا بعدُ:

فإنَّ القرآن الكريم هو النور المبين، والحقُّ المستبين، هو حبلُ الله المتين، وصراطه المستقيم، أنزله الله على عباده، ليكون منهاجًا للحياة، ونِبراسًا للهداية، وأمرَهم بالتمسُّك به، وتفهُّمه، وتدبُّره، واستِخراج كنوزه، وإثارة دفائنه، والكشف عن حقائقه، والوقوف على غاياته السامية الكفيلة بمصالح العِباد في المعاش والمعاد، والمُوصلة لهم إلى سبيل الرشاد.

ومِن هذا المنطلق، جاء هذا البحث الموسوم بـ: **(المَقاصِد القرآنيَّة في سُورة ق)**، ليكون عونًا للقارئ في تدبُّر كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

أهميَّة البحث:

- تنبثق أهميَّة البحث **أولًا** من فضل السُّورة التي يتناولها البحث، فسورة (ق)، قد كان النبيُّ ﷺ يقرأ بها في المجامع العِظام، ويواظب عليها تذكيرًا بما تضمَّنت هذه السُّورة العظيمة من أصول الإيمان والعقيدة، وعملًا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

- **ثانيًا:** يستمد البحث قيمته من أهميَّة علم المَقاصِد القرآنيَّة، ودَوره في فهم القرآن وتدبُّره على الوجه الأمثل.

وأخيرًا: تزداد أهميَّة البحث لعدم وجود أبحاثٍ ودراسات مستقِلة للمَقاصِد القرآنيَّة في هذه السُّورة -خصوصًا-، وقلة الكتابة في مجال المَقاصِد القرآنيَّة -عمومًا- على الرغم من الصَّحوة العِلميَّة في مجال علم المَقاصِد.

أهداف البحث:

يَهدف البحث إلى العناية بالهداية القُرآنيَّة وما أُنزل القرآن لأجله، واستنباط المَقاصِد القُرآنيَّة التي اشتملت عليها سُورة (ق)، ومعرفة القضايا الجوهريَّة التي تناولتها السُّورة، والوقوف على سِر قراءة الرَّسول ﷺ لهذه السُّورة في المجامع الكبار.

كما يرمي البحث أيضًا إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم وإعجازه من خلال دراسة المَقاصِد القُرآنيَّة، والوقوف على أهميتها، والإسهام في تطويرها.

الدِّراسات السابقة:

- لم تخلُ كتب التفسير القديمة والحديثة من المَقاصِد القُرآنيَّة على تفاوُتٍ بينها في العناية بها مقدارًا ودلالةً؛ غير أنها في الغالب منثورة في مواطنَ متفرِّقة مِن كتبهم. ولابن القيم كلامٌ نفيس عن سُورة (ق)، افتتح بها كتابه: (الفوائد)، وأفردته بالذكر لكونه من غير مظانِّه.
- كُتبت بعض الأبحاث والرسائل العلميَّة في المَقاصِد القُرآنيَّة عمومًا أو في سُورة معينة (غير سُورة ق)، ومنها:

المَقاصِد القُرآنيَّة: دراسة منهجيَّة، د. محمد بن عبد الله الربيعة، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القُرآنيَّة، العدد ٢٧، (ص ٢٠٧-٢٦٢)، تناول البحث موضوع المَقاصِد القُرآنيَّة من الجانبين النظري والتطبيقي،

واستفدتُ منه في الكشف عن المَقاصِد، وطُرُق صياغتها، خاصةً في التدبُّر المَقاصِدي للآيات[1].

- المَقاصِد القُرآنيَّة في سُورة ص، شيماء غانية، رسالة ماجستير.
- المَقاصِد القُرآنيَّة في سُورة المزمل: دراسة تحليليَّة، أكرم العمر، رسالة ماجستير.

- تناولَتْ بعض الرسائل العلميَّة بعضَ الجوانب في سُورة (ق)، كالجانب الموضوعي واللغوي، وما أشبه ذلك، ومن تلك الدِّراسات[2]:

- سُورة (ق): دراسة تحليليَّة موضوعيَّة، عبد الله سعداوي، رسالة ماجستير. وهو يَذكر الموضوعات التي تناولتها سُورة (ق) -كما هو ظاهرٌ من عنوانه-، ولا يتناول الذي نحن بصدده -أعني: المَقاصِد القُرآنيَّة-.
- الدِّراسة التحليليَّة لمَقاصِد وأهداف الحزب الثاني والخمسين من القرآن الكريم (سُورة الفتح-الحجرات-(ق)-الذاريات)، نصر سمير رشيد، رسالة ماجستير. وقد ذكرت في بداية الرِّسالة مقدماتٍ تعريفيَّة في المَقاصِد، وسورة (ق). ثم تناولت الباحثة سُورة (ق) في الفصل الثالث الموسوم بـ: (الدِّراسة التحليليَّة لمَقاصِد وأهداف سُورة ق)، وقسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث، وكل مبحث إلى عدة مطالب، وتناولت في كل مطلبٍ بعض الآيات، وبينت معاني الكلمات، والمُناسَبة، والمعنى الإجمالي، ومَقاصِد وأهداف النص القرآني. لكنَّ الذي ظهر لي أن طريقة الباحثة أشبه بالتفسير منه إلى المَقاصِد القُرآنيَّة؛ إذ إنها قد ذكرت الفوائد المستنبَطة من الآيات تحت عنوان:

(١) يُنظر (المطلب الرابع: التدبُّر المقاصدي للآيات) من المبحث الثالث.
(٢) يُنظر تفاصيل الرسائل الجامعية في ثبت المصادر والمرجع.

(مَقاصِد وأهداف النص القرآني)، ثم شرعت تشرح هذه الفائدة المستنبَطة بذكر الآيات والأحاديث النبويَّة، مما ليس له تعلُّق مباشر بالمَقاصِد، وأهملت النظر في المقصود المباشر للآية.

ولا شك أن المَقاصِدَ غيرُ التفسير، فإنَّ المَقاصِد يُعنى فيها بذِكر مقصد السُّورة إجمالًا، ورَبْط مَقاطِع السُّورة بعضها ببعض، ثم التدبُّر المَقاصِدي للآيات بذِكر المقصود المباشر للآية، مستعينًا في ذلك بمقصد السُّورة، ثم التعبير عن الآية بأسلوبٍ مَقاصِدي، ثم ذِكر هداية الآيات؛ الذي هو المقصود الأهم، كما نبَّه إليه الدكتور محمد الربيعة(١).

وما هذا البحث إلا محاولة لتطبيق هذا المنهج، عسى أن يفيد الباحثين والمشتغِلين في مجال المَقاصِد القُرآنيَّة، الذي لا يزال يُعاني من غموض المفهوم، واضطِراب المنهج.

وهذا البحث وإن كان يشترك مع البحوث السابقة في بعض القضايا والجزئيَّات، إلا أنه يختلف عنها من حيث موضوعُه أو من حيث طريقةُ تناولِه للمَقاصِد القُرآنيَّة، حيث يتناول هذا البحثُ المَقاصِدَ القُرآنيَّة في سُورة (ق) خاصةً، وبالمنهج الذي مرَّ ذكره آنفًا. أسأل الله أن يُوفقني لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

منهج البحث:

اعتَمد البحث على المنهج الاستِقرائي الاستِنباطي، وذلك عند تتبُّع كلام أهل العلم في مظانِّه من كتب التفسير والمَقاصِد، واستِنباط المَقاصِد القُرآنيَّة منها.

---

(١) انظر: المقاصد القرآنية: دراسة منهجية، د. محمد بن عبد الله الربيعة، ص ٢٥١.

خُطَّة البحث:

قسمتُ البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

١- المقدمة: واشتملت على أهميَّة البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخُطته، والدِّراسات السابقة.

٢- المَبْحث الأول: علم المَقاصِد القُرآنيَّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المَقاصِد القُرآنيَّة.

المطلب الثاني: أهميَّة المَقاصِد القُرآنيَّة.

٣- المَبْحث الثاني: التعريف بسورة (ق)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السُّورة، وعدد آياتها، ومرحلة نزولها.

المطلب الثاني: فَضْل سُورة (ق).

المطلب الثالث: ترتيب السُّورة في المصحف، وفي النزول.

المطلب الرابع: المُناسَبات في سُورة (ق).

٤- المَبْحث الثالث: التدبُّر المَقاصِدي لسورة (ق)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مقصد السُّورة.

المطلب الثاني: موضوعات السُّورة.

المطلب الثالث: مَقاطِع السُّورة.

المطلب الرابع: التدبُّر المقاصِدي للآيات.

٥- الخاتمة: وقد تضمَّنت أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن يُوفقنا لخدمة كتابه الكريم، وأن يرزقنا فَهمه، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

عِلم المَقاصد القُرآنيَّة

المطلب الأول: تعريف المَقاصِد القُرآنيَّة.

أولًا: تعريفه باعتِبارها مركبًا وصفيًّا:

١- المَقاصِد لغةً: جَمْع مَقصَد، وهو مصدر مِيميٌّ مأخوذ من الفعل (قصَد) من باب ضرَب، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "القاف والصاد والدال، أصول ثلاثة: يدل أحدها على إتيان شيءٍ وأَمِّه، والآخر على اكتِناز في الشيء. فالأصل: قصدتُه قصدًا ومقصدًا. ومن الباب: أَقصَده السهم، إذا أصابه فقتَل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحدْ عنه،... ومنه: أَقصَدته حيَّة، إذا قتلتْه. والأصل الآخر: قصَدْت الشيء: كسَرْته. والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسَّر، والجمع قصد. [ومنه قصد] الرِّماح. ورمح قصد، وقد انقَصَد، والأصل الثالث: الناقة القصيد: المُكتنِزة الممتلئة لحمًا،....، ولذلك سُميت القصيدة من الشِّعر قصيدةً لتقصيد أبياتها، ولا تكون أبياتها إلا تامَّةَ الأبنية"[(١)].

ويأتي في اللغة لمعانٍ متعددة: منها استقامة الطريق، والعدل، والاعتماد والأَمُّ، وإتيان الشيء، والتوسُّط، والكسر[(٢)].

"قال ابن جِنِّي: أصل مادة (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجه، والنهود، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جَوْر"[(٣)].

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٩٥)، مادة (قصد).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٣٥٣-٣٥٧) مادة (قصد).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، (٦/ ١٨٧). وعزاه الزبيدي في تاج العروس (٩/ ٣٦) إلى سر الصناعة، لابن جني، ولم أجده فيه.

ومقصد الكلام: هو أن يتوجَّه الكلام واللفظ إلى معنًى معين أو غاية يريدها المتكلم(١).

٢- والقرآن لغةً: مصدر كالغُفران من قرأ ١- بمعنى (تلا)، بمعنى اسم المفعول؛ أي بمعنى متلوٌّ. ٢- أو بمعنى (جمَع)، فعلى المعنى الأول: (تلا)، يكون مصدرًا، وعلى المعنى الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدرًا بمعنى اسم الفاعل؛ أي: بمعنى جامع؛ لجمعه الأخبار والأحكام(٢).

وفي الشرع: هو "الكلام المعجِز المُنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته"(٣).

ثانيًا: تعريفه باعتبارها عَلَمًا على فنٍّ معين:

المَقاصِد القُرآنيَّة: هي الغايات التي أرادها الله ﷻ في كتابه، أو هو (مراد الله ﷻ من كلامه)(٤)، وعرَّفها د. عبد الكريم حامدي بأنها: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العِباد"(٥).

ويمكن تعريف المَقاصد القُرآنيَّة بأنها "المعاني الأصليَّة التي نزل القرآن ببيانها وتحصيلها"، وأن نُعبر عن غير المَقاصِد بالمعاني الفرعيَّة، وذلك أن الجزم بأن هذا هو مراد الله من كلامه -مع صعوبته أو استحالته- قد يُظَنُّ به شيءٌ من سوء الأدب مع الله ﷻ، والله أعلم.

وعلى كلٍّ، فإن "المَقاصِد القُرآنيَّة" مصطلح حديث لعلمٍ تبلور عبر

---

(١) نظرية المقاصد عند الشاطبي، للريسوني (ص ١٩).
(٢) انظر: أصول في التفسير، لابن عثيمين (ص ٦).
(٣) مناهل العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١/ ٢١).
(٤) انظر: "المقاصد القرآنية: دراسة منهجية"، د. محمد الربيعة (ص ٢١٢).
(٥) مقاصد القرآن، للحامدي (ص ٢٩). وانظر أيضًا: الموافقات، للشاطبي (٤/ ٢١٨).

القرون، وتراكمت معارفه، ولا يزال ينمو ويتطور وتتشكل معالمه، لذلك لم يحظَ هذا العلم بتعريف جامع مانع؛ لأنه لا يزال في طَور التشكل[1].

المطلب الثاني: أهميَّة المَقاصِد القُرآنيَّة.

تَبْرز أهميَّة المَقاصِد القُرآنيَّة في أنها مفتاح التدبُّر، والتدبُّر هو الغاية المقصودة من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

وقد ذم الله ﷻ المشركين الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفقهونه؛ قال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقد قرَّر إمام المَقاصِد الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٩٠هـ) أن هذا الذَّم إنما هو من جهة أنهم لا يفهمون مراد الله ﷻ من الخطاب، لا أنهم لا يفهمون نفس الكلام؛ لأن هذا ممتنعٌ، فهم عَرَب، والقرآن مُنزل بلسانهم، فهم يعرفون الكلام بمقتضى سليقتهم العربيَّة، لكنْ فرقٌ بين ظاهر المعنى، والمرادِ منه.

ثم قال: "فالتدبُّر إنما يكون لمن التفت إلى المَقاصِد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مَقاصِد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"[2].اهـ.

ومِن شأن علم المَقاصِد القُرآنيَّة أن يضبط منهجيَّة التعامل مع القرآن بوصفه نصًّا أُنزل لغاية محددة، فتُفهم موضوعاتها في ضوئها؛ لأن معرفة مقصد المخاطِب يؤثِّر في فهم نص الخطاب. ولضبط هذا المقصد الكلي أثرُه

(١) انظر: مركزية المقاصد عند محمد الغزالي: مقاربة في المفهوم والمصطلح والضرورة، أ.د. محمد زرمان (ص ١٠، ١١).

(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي (٤/ ٢٠٨-٢٠٩).

في التأويـل، وفهم الآيـات وتوجيهها التوجيه الأرجح، وفهـم كثير من القضايا الشائكة في التفسير، وحفظ القرآن من التحريف والتأويل والتعسف في التفسير، ولـيّ أعنـاق النصوص كالذين يتخـذون القرآن مصدرًا لعلوم لـم ينزل لبيانها، ويتكلفون في الاستدلال لنظرياتهم وآرائهم الفكريَّة، من القرآن الكريم [(١)].

قال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): "مـن فهم باطن ما خوطب بـه لم يحتلْ على أحـكام الله حتى ينال منها بالتبديل والتغييـر، ومن وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المعنى المقصود؛ اقتحم هذه المتاهات البعيدة...

فـكل من زاغ ومالَ عـن الصراط المسـتقيم؛ فبمقدار ما فاتـه من باطن القـرآن فهمًا وعلمًا، وكل من أصاب الحق وصادف الصواب؛ فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه"[(٢)].

.....:::::::::::.....

(١) مقاربات "مقاصد القرآن الكريم": دراسة تاريخية، عبد الرحمن حللي (ص ٢٢٨).
(٢) الموافقات، للشاطبي (٤/ ٢٢١-٢٢٣).

المَبْحث الثاني

التعريف بسورة «ق»

المطلب الأول: اسم السُّورة وعدد آياتها ومرحلة نزولها.

المسألة الأولى: اسم السُّورة[(١)]:

سُميت في عصر الصحابة بسورة (ق)؛ لافتتاحها بحرف الهجاء (قاف)، مثل: سُورة (طه)، و(يس)، و(ص).

وهو اسمٌ توقيفي؛ لأنه قد وردت في ذلك أحاديث وآثار ثابتة[(٢)]، منها ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد اللَّيثي: ما كان يقرأ به رسولُ الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، [رواه مسلم][(٣)].

وكذلك سُميت بسورة (الباسقات)، لورودها في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق: ١٠]، وهو اسمٌ اجتهادي؛ لأنه لم يَرِد في حديث ولا أثر، بل هي من تسمية بعض المفسرين[(٤)].

المسألة الثانية: عدد آياتها وكلماتها وحروفها[(٥)]:

اتَّفق العلماء أن عدد آياتها خمس وأربعون (٤٥) آية، لا تُعَد فيها (ق) آيةً

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٣)، وأسماء السور وفضائلها، لمنيرة الدوسري (ص٣٩٦-٣٩٩).

(٢) سيأتي ذكر الأحاديث في المطلب الثاني: فضل سُورة «ق».

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين (ح ٨٩١) (٣/ ٢١).

(٤) انظر: جمال القراء، للسخاوي (١/ ٣٧)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٣٦٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٨/ ٣)، ونظم الدرر، للبقاعي (١٨/ ٣٩٦).

(٥) انظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ص ٢٣١).

مسـتقلة. وأمَّا كَلِمها فهي ثلاث مئة وخمس وسبعون (٣٧٥) كلمة، وحروفها ألف وأربع مئة وأربعة وسبعون (١٤٧٤) حرفًا.

◈ المسألة الثالثة: مرحلة نزول السُّورة (مكيتها ومدنيتها):

هـي سُـورة مكيَّة عند أغلب المفسـرين، ونقـل ابن حزم وابـن عطيَّة[(١)] الإجماع على ذلك.

واسـتثنى السـيوطي[(٢)] منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، ونسـبه القرطبـي إلـى ابـن عباس وقتادة[(٣)].

وذلك لِما أخرجه الحاكم وغيره أنها نزلت ردًّا على اليهود في قولهم: إن الله استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت[(٤)].

يعني: أن مقالة اليهود سُـمعت بالمدينة، وألحقت بهذه السُّـورة لمُناسَبة موقعها؛ لكن ابن عاشور ضعَّف هذا القول وعدَّه من التكلف[(٥)].

۞ المطلب الثاني: فضل سُورة «ق».

سُورة (ق) "أول الحزب المفصَّل -على الصحيح-"[(٦)]، و"قد تضمَّنت

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، لابن حزم (ص ٥٧)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ١٠٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٤٢٤).

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (٤/ ٣٩١)، (ح ٣٧٢٨)، و(٥/ ٧) (ح ٤٠٤٥). فيه أبو سـعد سـعيد بن المرزبان: ضعيف مدلـس، وقال ابن معين: لا يُكتَـب حديثه، وقال الذهبي في "التلخيـص": رواه عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن أبي سـعد مرسـلًا، لم يذكـر ابن عباس. اهـ. فالحديث ضعيف.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٤، ٣٢٥).

(٦) تفسير ابن كثير (١٣/ ١٧٧). وانظر: مصاعد النظر، للبقاعي (٣/ ١٧).

من أصول الإيمان ما أوجبت أن النبي ﷺ كان يقرأ بها في المجامع العظام؛ فيقرأ بها في خطبة الجمعة، وفي صلاة العيد، وكان من كثرة قراءته لها يقرأ بها في صلاة الصبح، وكل ذلك ثابت صحيح"[1]:

❍ **فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت:** لقد كان تَنُّورنا وتَنُّور رسول الله ﷺ واحدًا، سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس. [رواه مسلم] [2].

❍ **وعن جابر بن سمرة قال:** إن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ وكان صلاته بعدُ تخفيفًا. [رواه مسلم] [3].

❍ **وعن قطبة بن مالك:** قال: صلَّيت وصلَّى بنا رسول الله ﷺ، فقرأ: ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ حتى قرأ: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ قال: فجعلتُ أُردِدها، ولا أدري ما قال. [رواه مسلم] [4].

❍ **وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:** أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقدٍ اللَّيثي: ما كان يقرأ به رسولُ الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ و ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ [القمر: ١]. [رواه مسلم] [5].

قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) عن مُناسَبة قراءة سُورة (ق) في صلاة العيد:

"لقوله تعالى فيها: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾ [ق: ٤٢]، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾ [ق:١١]،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧/ ٦٥).

(٢) رواه مسلم في الجمعة (ح ٨٧٣: ٥٢) (٣/ ١٣).

(٣) رواه مسلم في الصلاة (ح ٤٥٨) (٢/ ٤٠).

(٤) رواه مسلم في الصلاة (ح ٤٥٧) (٢/ ٣٩).

(٥) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين (ح ٨٩١) (٣/ ٢١).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق:٤٤]؛ فإن العيد يوم الزينة فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجَه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرِحًا فخورًا، ولا يرتكب فسقًا ولا فجورًا"[١].

المطلب الثالث: ترتيب المصحف وترتيب النزول.

سُورة (ق) هي السُّورة الخمسون بترتيب المصحف، وقبلها سُورة الحجرات وبعدها سُورة الذاريات.

وهي السُّورة الرابعة والثلاثون (٣٤) في ترتيب نزول السُّور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سُورة المرسلات (٣٣) وقبل سُورة البلد (٣٥)[٢].

المطلب الرابع: المُناسَبات في سُورة «ق».

» المسألة الأولى: مُناسَبة أول السُّورة بآخرها[٣]:

بدأت سُورة (ق) بِذكر القرآن ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾، وختمت به ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

وكذلك بُدئت بِذِكر البَعْث في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾، وختمت به في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾.

وكذلك ذِكر السماوات والأرض وما بينهما في أول السُّورة: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ...﴾ الآيات، وقال في آخرها: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٤٥). وانظر أيضًا: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٣/ ٢١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٣).

(٣) انظر: مراصد المطالع في تناسُب المقاطع والمطالع، للسيوطي (ص ٦٧)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٩٢).

« المسألة الثانية: مُناسَبة السُّورة لِما قبلها (سُورة الحجرات):

اعتنى العلماء ببيان مُناسَبات السُّور، وهي مسألةٌ اجتهاديَّة غالبًا، ولذلك تعدَّدت أقوالهم فيها:

فقال الإمام أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): "ومُناسَبتها لآخِر ما قبلها، أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ [الحجرات: ١٤]، لم يكن إيمانهم حقًّا، وانتِفاء إيمانهم دليلٌ على إنكار نبوة الرَّسول ﷺ، فقال: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ ﴾ [ق: ٢]، وعدم الإيمان أيضًا يدل على إنكار البَعْث، فلذلك أعقبه به"(١).

وقال البقاعي (ت ٨٨٥هـ): "مقصودها (أي: سُورة ق) الدلالة على إحاطة القدرة، التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات، من إحاطة العلم لبيان أنه لا بد من البَعْث ليوم الوعيد"(٢).

وقال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): "لما ختم الله تلك السُّورة بذِكر الإيمان وشرائطه للعبيد، افتتح هذه السُّورة بذِكر ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة التوحيد"(٣).

« المسألة الثالثة: مُناسَبة السُّورة لِما بعدها (سُورة الذاريات):

ذكر في سُورة (ق) البَعْث والجزاء والجنة والنار، وافتتح سُورة الذاريات بالقسم بأن ما وعدوا من ذلك صدقٌ وأن الجزاء واقع. وذكر في سُورة (ق) إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال، وذكر ذلك على وجه التفصيل في سُورة الذاريات(٤).

---

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٩/ ٥٢٨).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٣/ ١٤).

(٣) مجمع البيان، للطبرسي (٩/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٧٣)، وأسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص ١٣٣).

« المسـألة الرابعة: المُناسَبة بين سُورة (ق) وما قبلها من حيث النزول (سُورة المرسلات):

تُعالج سُورة المرسلات موضوع المكذِّبين بيوم الدين بالترغيب والترهيب. وتُتابع سُورة (ق) موضوع معالجة المكذبين بيوم الدين بأسلوب آخر.

وهذه المعالجات الفكريَّة والنفسيَّة التي اشتملت عليها سُورة (ق) إنما هي معالجات تكامليَّة لما جاء في سُورة المرسلات، وليست مكررة تكريرًا تطابقيًّا.

وتضيف إليه سُـورة (ق) معالجة المكذِّبين برسالة محمد ﷺ بحجة أنه بشـر منهـم، ومعالجة نفس الرَّسـول ﷺ وتثبيـت قلبه، تجاه مـا كان يلقاه من تكذيب قومه، وما يواجهونه به من أقوال جارحة [١].

« المسـألة الخامسة: المُناسَـبة بين سُـورة «ق» وما بعدها من حيث النزول (سُورة البلد):

يدور موضوع سُورة البلد حول الابتلاء الذي هو الغاية من خلق الإنسان، والذي يسـتتبع باللزوم العقلي، التكليف، والمسؤوليَّة، ثم المحاسبة، وفصل القضاء، وتحقيق الجزاء.

كذلـك جـاء في السُّـورة بيان بعـض صـوارف النفس عن الإيمـان بيوم الديـن، فسـورة البلد تتابع اسـتِكمال الإقناع بقانون الجـزاء الرباني، الذي دار حوله موضوع سُورة ق[٢].

....

(١) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبُّر، لعبد الرحمن حسن الميداني (٢/ ٥٤٦)، و(٣/ ١١).
(٢) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبُّر، لعبد الرحمن حسن الميداني (٣/ ١٧٢-١٧٤).

المَبْحث الثالث

التدبُّر المَقاصِدي لسورة (ق)

المطلب الأول: مقصد السُّورة.

تُعالج سُورة (ق) -كغيرها من السُّور المكيَّة- موضوعَ المكذبين برسالة محمد ﷺ، وبما جاء به من نبأ البَعْث والحساب، إلا أنها في معالجة البَعْث أظهر(١).

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ): "مقصودها تصديق النبي ﷺ في الرِّسالة التي معظمها الإنذار وأعظمه الإعلام بيوم الخروج"(٢).

دلائل المقصد:

١- آية صريحة في المقصد: قال تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾.

والإضراب الانتِقالي من القَسم بالقرآن إلى عرض مقالة المشركين في إنكار النُّبوة وإنكار المعاد، مُشعِرٌ بأهميَّة المنتقل إليه، وأنه محور الكلام.

٢- مُناسَبة فاتحة السُّورة بخاتمتها: أن السُّورة افتُتحت بالقسم بالقرآن، ثم عرضت شُبهة المشركين في إنكار البَعْث، ثم عقبت الشُّبهة بتقرير قدرة الله في آيات الكون وفي إهلاك المكذبين، وختمت كذلك بتقرير وقوع البَعْث، والأمر بالتذكير بالقرآن، مبيِّنةً بذلك أن القرآن المعجز هو من أوضح أدلة البَعْث، وأن التدبُّر في القرآن من أعظم الطرق الموصلة إلى معرفة الحق.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٤٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٥)، ومعارج التفكر، للميداني (٣/ ١١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٣٩٦).

٣- وقـت نزولها[١]: السُّـورة مكيَّة، والغالب في السُّـور المكيَّة أنها تُقرر التوحيـد والعقيدة السـليمة، خصوصًا ما يتعلـق بتوحيد الألوهيَّـة، والإيمان بالبعث؛ لأن غالب المخاطَبين ينكرون ذلك[٢].

٤- ترتيـب نزولهـا[٣]: نزلت سُـورة (ق) بعد سُـورة المرسـلات، وقد عالجت سُورة المرسلات موضوع المكذِّبين بيوم الدين بالترغيب والترهيب، ومـا هذه السُّـورة إلا معالجـة تكامليَّة مع سـابقتها في إثبات المعاد بأسـلوب الإقنـاع الفكري، إلا أن سُـورة (ق) تزيـد عليها في إثبات النُّبـوة، وبيان هلاك المكذِّبين من الأمم السابقة.

وقـد نزلت سُـورة البلد بعد سُـورة (ق)، وهـي تتابع اسـتكمال الإقناع بقانون الجزاء الرباني.

٥- ترتيب المصحف: ختمت سُورة الحجرات (٤٩) بتقرير شمول علم الله ﷻ، وأكدت سُـورة (ق) ذلك أيضًا مع تقرير كمال قدرة الله ﷻ، (وهو من أظهر أدلة البَعْث)، ثم تلتها سُـورة الذاريات مبيِّنة حكمة الله من خلق الإنسان بعد التأكيد على عظيم قدرة الله سبحانه.

٦- فضائلها[٤]: كان النبـي ﷺ يواظب على قراءتها في المحافل الكبار، والمجامع العظام، مما يدل على اشتمالها على أسس العقيدة الإسلاميَّة، ومن أهمها: الإيمان بالبعث والمعاد.

٧- موضوعاتها: تناولت سُورة (ق) عددًا من قضايا العقيدة الإسلاميَّة، وكلها تَؤُول إلى قضيَّة البَعْث بعد الموت، وسيأتي بيانها في المطب التالي.

---

(١) يراجع: المطلب الأول من المَبْحث الثاني.
(٢) انظر: أصول في التفسير، لابن عثيمين (ص ١٩).
(٣) يراجع المطلب الرابع من المَبْحث السابق.
(٤) يراجع: المطلب الثاني من المَبْحث السابق.

٨- **خصائصها:** تكرَّر فيها حرف القاف سبعًا وخمسين (٥٧) مرة[١]، فقد تكرَّرت فيها الكلمات التي تشتمل على حرف القاف بشكل ملحوظ.

قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): "وتأمَّل السُّور التي اشتملت على الحروف المفردة، كيف تجد السُّورة مبنيَّة على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك: (ق)، والسُّورة مبنيَّة على الكلمات القافِيَّة: من ذِكر القرآن، وذكر الخَلْق، وتكرير القول ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم، وتلقِّي الملَكين قول العبد، وذِكر الرقيب، وذِكر السائق، والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدُّم بالوعيد، وذِكر المتقين، وذِكر القلب، والقرون، والتنقيب في البلاد، وذِكر "القَبْل" مرتين، وتشقُّق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل، والرزق، وذِكر القوم، وحقوق الوعيد، ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة.

وسِرٌّ آخر: وهو أن كل معاني هذه السُّورة مُناسِبةٌ لِما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح"[٢]. اهـ.

المطلب الثاني: موضوعات السُّورة[٣].

اشتملت سُورة (ق) على عدة موضوعات جزئيَّة تخص العقيدة الإسلاميَّة، وكلها تتعلق بمعالجة موضوع البَعْث، والرِّسالة[٤]، وإليك بيانها فيما يلي:

---

(١) مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، أحمد قوفي (ص ١٢٧).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/ ١١٢٠-١١٢١). وقد نقله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في البرهان في علوم القرآن (١/ ١٦٩)، مع فروق يسيرة، والمطبوع فيه تصحيفات عديدة.

(٣) **موضوعات السُّورة:** هي المعاني الجزئية التي تشتمل عليها أجزاء السُّورة. أما مقصد السُّورة فهو المعنى العام الذي يجمع هذه المقاصد الجزئية ويربط بينها.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ١٧٩)، والفوائد، لابن القيم (ص ٥-٦)، وبصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١/ ٤٣٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٥)، ومعارج التفكر، للميداني (٣/ ١٢-١٥).

- التنويه بشأن القرآن وإعجازه، وتصديق من جاء به (محمد ﷺ)، وبما جاء به (ومنه البَعْث والحساب).
- عرض شُبهات المشركين في التكذيب بالرِّسالة والبَعْث، والرد عليها بتقرير كمال علم الرب سبحانه، وكمال قدرته، وكمال حكمته(١).
- بيان مظاهر قدرة الله في السماوات والأرض، ومنها إنبات الأقوات والثمار بإنزال المطر. وهو من أوضح الأدلة على البَعْث.
- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك المكذِّبين للرسل من الأمم السابقة، وتهديد المشركين المكذِّبين بالبَعْث بالعذاب الدنيوي، وتثبيت قلب النبي ﷺ، وتسليته.
- تقرير المبدأ والمعاد والتوحيد والنُّبوة والإيمان بالملائكة.
- بيان رقابة الله تعالى وهيمنته على الإنسان التي تبدأ من ولادته، وتمر بالموت، ثم تنتهي بالبَعْث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار.
- ذِكر النار وعذابها، والجنة ونعيمها، وبيان صفات أهل كلٍّ منهما.
- إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما يضادُّ كماله من النقائص والعيوب.
- بيان "أن كمالَ الربِّ تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضي المعاد وتُوجبه، وأنه مُنَزَّهٌ عما يقولُه منكِروه كما يُنَزَّهُ كمالُه عن سائر العيوب والنقائص"(٢).

---

(١) فائدة: ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول: [١-] تقرير كمال علم الرب سبحانه، [٢-] وكمال قدرته، [٣-] وكمال حكمته. وذلك لأن شبه المُنكِرين للبعث تعود إلى ثلاثة أنواع: [١-] إنكار علم الله بالأجزاء المتفرقة المختلطة بأجزاء الأرض على وجه لا يحصل به تمييز أجزاء مختلف الأشخاص، [٢-] وإنكار قدرة الله على جمع تلك الأجزاء المتفرقة، وإعادة الأرواح إليها، [٣-] وإنكار الحكمة في إحياء الموتى. (انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٧-٨).

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ٩).

۞ المطلب الثالث: مَقاطِع السُّورة.

يمكن تقسيم سُورة (ق) وَفْق مقصدها إلى ثلاثة مَقاطِع رئيسة:

⌑ **المقطع الأول:** من أول السُّورة إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾: وفيها عرضُ شُبهة المشركين، والرد عليها بتقرير شمول علمه وكمال قدرته، وعَرْض بعض مظاهر قدرته من آيات الله في الكون، وفي إهلاك الأمم السابقة.

⌑ **المقطع الثاني:** من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [الآيات: ١٦-٣٥]: وفيها "بيان رقابة الله تعالى وهيمنته على الإنسان التي تبدأ من ولادته، وتمر بالموت، ثم تنتهي بالبَعْث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار".

⌑ **المقطع الثالث:** من قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ إلى آخر السُّورة [الآيات: ٣٦-٤٥]، وفيه تَسْلية الرَّسول ﷺ، وبيان حقيقة رسالته، وتهديد المشركين، وتقرير البَعْث. ويمكن القول أن أغلبه تأكيدٌ لِما ورد في أوائل السُّورة تصريحًا أو تلميحًا في ترتيب معكوسٍ.

۞ المطلب الرابع: التدبُّر المَقاصِدي للآيات.

◈ المقطع الأول [الآيات: ١-١٥]:

﴿ قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ (١): هذه الآية واردةٌ في التنويه بشأن القرآن الكريم، وبيان إعجازه، وأنه المصدر الأصيل لتلقي براهين البَعْث ودلائل النُّبوة؛ فقد أقسم الله ﷻ بالقرآن، الدَّال على شرفه وعظيم منزلته ورفعته وعلوه على كل

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٧٦)، ومعارج التفكر، للميداني (٣/ ١٦-١٩).

سائر الكلام؛ لأن التحدي بإعجاز القرآن الكريم، وعجز الكفار بل البشر جميعًا عن معارضته بمثله- أقطعُ برهانٍ على كونه من عند الله، وأسطعُ حجةٍ على صدق محمد ﷺ في ادِّعاء الرِّسالة، وعلى صدق ما جاء به من نبأ البَعْث بعد الموت والجزاء والحساب. وفي هذا تشنيعٌ للكفار وبيانٌ لقبح موقفهم من النبي ﷺ، ومما جاء به من أمر البَعْث والحساب، وتأكيدٌ على أن القوة الحقيقيَّة هي قوة الحجة والبرهان التي بها أتى القرآن، وعلى أن القرآن هو محور الدعوة، ولهذا افتُتحت هذه السُّورة به، كما خُتمت به: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾.

﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾: هذه الآية واردةٌ في عَرْض مقالة المشركين في إنكار الرِّسالة والتكذيب بالبَعْث، ففيها ذِكر تعجُّبهم الإنكاري من إرسال رسول من جنسهم البشري، متعلِّلين أن كون الرَّسول بشرًا ينافي الحكمة الربانيَّة، وكذلك تعجُّبهم من إنذاره ﷺ إياهم عذاب الله يوم القيامة، ودعوته إياهم للإيمان بعد البَعْث بعد الموت.

وفي الآية ما يؤكِّد على "تقبيح المماراة في الحق والتعمد في المعارضة اتباعًا للهوى وتقبيح التمسك بالتقاليد الموروثة غير الصائبة"[1]، فقد "أنكروا رسالته وفَضْل كتابه بألسنتهم نفاسة وحسدًا، وفي هذا دليلٌ على أن الكبر والحسد من موانع قبول الحق، وأنه يفضي إلى السفه...؛ لأنهم عجبوا أنْ كان الرَّسول بشرًا واستعظموا ذلك، وأوجبوا أن يكون الإله حجرًا، وعجبوا من أن يُعادوا من تراب، وتثبت لهم الحياة، ولم يعجبوا أن يُبتدؤوا من تراب ولم يكن له أصل في الحياة"[2]، وذلك لأن كفرهم "يقوم على ستر الأدلة التي

(١) انظر: التفسير الحديث، لمحمد دروزة عزت (٢/ ٣٠١).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٠٤).

تثبت الحق ببراهينه، بطرح الشبهات، وإلقاء عبارات التعجب، وادِّعاء أن الأمر غير مقبول عقلًا"[(١)].

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾: هـذه الآية واردةٌ في بيان شُبهة المشركين الساذجة في إنكار البَعْث واستبعاد الحياة بعد الموت، وهي أن بِلى الأجساد وصيرورتها رفاتًا، واختلاطها بالتراب، وتفرُّق أجزائها في مناحي الأرض ومهابِّ الرياح لا تُبقي أملًا في إمكان جمعها، لعدم العلم بمواقع تلك الأجزاء وذرَّاتها، ولو علمت مواقعها فكيف تُعاد إليها أرواحها، ذلك رجوعٌ يستبعد العقل وقوعَه، وتُحيله العادة[(٢)]. ففيها ذِكر إنكار المشركين لعلم الله تعالى بالأشياء وقدرته على خَلْق ما يريد، المتضمِّن ذلك إنكار حكمة الله في خلق الإنسان[(٣)].

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾: هـذه الآية ردٌّ موجزٌ على شُبهة المشركين في إنكار البَعْث واستبعاده، ففيها "تقرير كمال علم الله سبحانه"[(٤)] وتقرير قدرته ضمنًا، وبيان أنه سبحانه "قد علم ما تنقصه الأرض من لحومهم وعظامهم وأشعارهم، وأنه كما هو عالمٌ بتلك الأجزاء، فهو قادرٌ على تحصيلها وجمعها بعد تفرُّقها وتأليفها خلقًا جديدًا"[(٥)].

وفي الآية "تقريرٌ لعقيدة القضاء والقدر بتقرير كتاب المقادير"[(٦)].

وفي التعبير بالنقص دون الإعدام والإفناء في قوله: ﴿ مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ

(١) معارج التفكر ودقائق التدبُّر، لعبد الرحمن الميداني (٣/ ٢١، ٢٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٨٠).
(٣) معارج التفكر، لعبد الرحمن الميداني (٣/ ٢٨). وانظر: الفوائد، لابن القيم (ص ٧-٨).
(٤) الفوائد، لابن القيم (ص ٨).
(٥) الفوائد، لابن القيم (ص ٧).
(٦) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ١٣٨).

مِنۡهُمۡ﴾، دلالـةٌ على مـا ورد في حديث: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَـانِ شَـيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾: هذه الآية واردةٌ في تقرير المعاد ببيان بطلان موقف المشـركين من التكذيـب بالحق بذِكر دليل البطلان -وهو الاضطـراب-، وبيان سـببه -وهو الاسـتعجال-. لأن "الاضطـراب موجُب للاختـلاف، وذلك أدلُّ دليلٍ على الإبطال، كما أن الثبات والخلوص مُوجِب للاتفـاق، وذلـك أدلُّ دليلٍ على الحقيقة"[2]؛ فـ"الجـزم الصحيح لا يتغير ولا يتبـدل... [أمَّـا المشـركونَ] فـكان أمرهم مضطربًـا"[3]، (وذلـك في وصفهم القرآن بأنه: سِـحر، وتارة كهانة، وتارة شِعر، وتارة كذب، وتارة ينفون الرِّسالة عن البشر، وأخرى يزعمون أنها لا تليق إلا بأهل الجاه والرئاسة[4]).

وسـبب هـذا الاختـلاف: إنمـا هـو ناشـئٌ عـن اسـتعجالهم في التكذيـب بالقـرآن، وعـدم النظر والتأمـل في أدلته. وفي هـذا دعوةٌ للمشـركين وغيرهم إلـى التأمل في القـرآن وبراهينه، وتأكيدٌ على أن "عدم التـأني والتفكر مانع من موانـع الاهتداء للحق"، فينبغي للإنسـان أن يقابـل "كل فكرة أو دعوة جديدة بالتدبُّر والتروي"[5]؛ لأنه يُعِين على معرفة جوانب الحق فيها ومواطن الخلل، ويعصم -بإذن الله- من الزَّلل.

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه، كتاب التفسـير، بـاب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾، (ح٤٩٣٥)، (٦/ ١٦٥). وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٨٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٠٧).

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (٢٨/ ١٥٤).

(٤) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٨/ ٤٠٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشـور (٢٦/ ٢٨٥)، وتفسـير المراغي (٢٦/ ١٥٢-١٥٣).

(٥) التفسير الحديث، لمحمد دروزة عزت (٢/ ٣٠١).

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾: هاتان الآيتان واردتان في تقرير عقيدة البَعْث بمظاهر القدرة الإلهيَّة في الكون، وهي التي أنكرها المشركون في سياق إنكارهم للبَعْث، فكما أن الآية السابقة فيها دعوة إلى التفكُّر في القرآن وبراهين صِدقه، فكذلك هذه الآية فيها دعوة الكافرين وسائر الناس إلى التأمل في "العالم العلوي وبنائه وارتفاعه واستوائه وحسنه والتئامه، ثم إلى العالم السفلي وهو الأرض، وكيف بسطها [الله ﷻ] وهيأها بالبسط لما يُراد منها، وثبَّتها بالجبال، وأنبت فيها من كل صنفٍ حسن من أصناف النبات على اختلاف أشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه وصفاته"(١).

فكل ذلك دالٌّ على كمال قدرته سبحانه، وعلمه المحيط بكل شيء، وعلى عظيم حكمته، وبالِغ إتقانه لكل ما خَلَق، ودقيق صنعه، وغير ذلك من صفات الكمال. وفي هذا دلالة على مشروعيَّة النظر والاعتبار فيما يحيط بالإنسان من آيات الله في الكون وما فيها من منافع، ليزداد إيمانه ويصل إلى رتبة اليقين، وليشكرَ نعمة ربه بعبادته، ولا يكفروها بعبادة غيره(٢).

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: هذه الآية "تذكيرٌ لمُنكِري البَعْث، وإيقاظ لهم عن سِنة الغفلة، وبيان لإمكان ذلك، وعدم امتناعه" (٣)، ففيها بيان أن "التَّبصرة والذكرى من جملة الحكم التي أوجد الله تلك المخلوقات لأجلها"(٤). لأن الله قد جعل في آياته الكونيَّة وظيفتين: دنيويَّة للانتفاع بها

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ٩).

(٢) انظر: معارج التفكر، لعبد الرحمن الميداني (٣/ ٣٧، ٥٦)، وأيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ١٣٩-١٤٠)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٩٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٠).

للمصالح الدنيا، وأخـرى أخرويَّة، من الدلالة على الله ﷻ وصفاته التي ينتفع بها العبد المنيب [(١)].

"وفيـه إشـارةٌ إلى أن الوصـول إلى مقـام التَّبصـرة إنما هـو بالعُبوديَّة، والإنابة"[(٢)]، ففي الآية "تشـريفٌ لجميع المؤمنين وبيانٌ لفضلهم إذ لا يخلون من تبصُّر وتذكُّر بتلك الأفعال على تفاوُتٍ بينهم في ذلك...، وتعريضٌ بإهمال الكافرين التبصُّرَ والتذكر"[(٣)].

وفي هـذا دلالة على "اعتبار من لا ينتفع بالشـيء، عادمًا له"[(٤)]، وفي هذا ما يؤكد على أنه ينبغي للمؤمن أن يتفكر في مخلوقات الله ويتأمل دقيق صنعه؛ لأنَّـه "كُلَّمـا كَرَّر شَـهِد المتفكِّرُ المتأمِّـلُ آياتِ الله في الكون، تعلَّم منها أشـياء جديدة، وزادته معرفة بحقائق عن خالقها ومبدعها" [(٥)]، وعلم يقينًا أنه ما خُلق عبثًـا، بـل لأجل حكمة جليلة وغاية سـامية، وعلم أنه محاسـب على أعماله، وأنه لا بد من جزاء وحساب.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[(٦)]: هذه الآيات واردةٌ في دفع اسـتحالة البَعْث وإظهار تقريبه[(٧)]، بذِكـر "أبهر الآيات وأدلها عليه، والتي

(١) انظر: معارج التفكر، للميداني (٣/ ٦٣).
(٢) روح البيان، للخلوتي (٩/ ١٠٧).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩١).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤١١).
(٥) معارج التفكر، للميداني (٣/ ٤١).
(٦) انظـر: الفوائـد، لابن القيـم (ص ٩-١٠)، ونظم الدرر في تناسـب الآيات والسـور (١٨/ ٤١٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٢)، ومعارج التفكر، للميداني (٣/ ٤٢).
(٧) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٥).

تتجـدَّد علـى مرور الدهر"، وهـي تكميلٌ لِما سـبق من تقرير كمـال قدرة الله وشـمول علمه وجليل حكمته، ففيها قياس بعـث الناس للحياة الأخرى، بعد موتهم وفناء أجسادهم على إعادة حياة النباتات من بذورها، والامتنانُ بمظاهر الجمـال في خلـق الله، وبنعمة المطر ومـا يكون بإنزاله مـن الإنبات وحصول الثمـار والأقـوات للآدميين والبهائـم، وإحياء الأرض بعد موتها. و"الإشـارة إلى اختلاف أحوال استِحصال ما ينفع الناس من أنـواع النبات؛ فإن الجنات تستثمر وأصولها باقية، والحبوب تسـتثمر بعد حصد أصولها"[١]. وفيه "تنبيهٌ علـى أن اللائـق بالعبد أن يكون انتفاعـه بذلك من حيث التذكُّر والاسـتِبصار أقـدم وأهم من تمتعه به من حيث الـرزق"[٢]. لأن "الرزق حاصل لكل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكرًا شاكرًا للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام!"[٣].

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: انتقـل الكلام بعـد ذِكر آيات الله في الأكوان والآفـاق إلى ذِكر آياته في الأنفُس من المكذِّبين للرسـل من قبل، فهذه الآيات واردةٌ في "تقرير النُّبوة بأحسن تقرير، وأوجز لفظ، وأبعده عن كل شُبهة وشك؛ فأخبر سـبحانه أنه أرسـل إلى قوم نـوح وعاد وثمود وقوم لـوط وقوم فرعون رسـلًا فكذَّبوهم، فأهلكهم بأنواع الهلاك، وصدقَ فيهم وعيده الذي أوعدتهم به رسله إن لم يؤمنوا، وهذا تقرير لنبوتهم ولنبوة من أخبر بذلك عنهم من غير أن يتعلـم ذلك من معلِّـم ولا قرأه في كتاب، بل أخبر به إخبـارًا مفصلًا مطابقًا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤١٢).
(٢) روح المعاني، للألوسي (٢٥/ ٤٢٣).
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٥٨).

لِما عند أهل الكتاب"[١]. و"في ذلك تشريفٌ للنبي ﷺ وللرسل السابقين"[٢]، وتقرير لوَحْدة العقيدة والرِّسالة.

وفيه التعريضُ بالتهديد للمشركين المكذِّبين بالرِّسالة والبَعْث، وتسليةٌ للرَّسول ﷺ، وتثبيتٌ لقلبه، بأنه ليس بدعًا من الرُّسل، بل هو رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل[٣]، لأن "المصيبة إذا عمَّت هانت"[٤].

وفي الآية دلالةٌ على "أن الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء"[٥]، وفي هذا دعوةٌ إلى الاعتبار والاتعاظ ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق؛ فنعلم سنةَ الله الأزليَّة الكونيَّة في نصره رسلَه، وتعذيبه المكذِّبين، وأن العاقبة للمتقين، والبوار والخزي على الظالمين.

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾: هذه الآية واردةٌ في "تقرير المعاد"، والرد على شُبهة المشركين في إحالة البَعْث، ففيها "الاستدلال بقدرة الله سبحانه على الخَلْق الأول، على قدرته على إعادة الخَلْق وإحياء الموتى والبَعْث في القيامة الكبرى"[٦]. "لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البَدء"[٧].

وفي هذا إنكار على مُنكِري البَعْث، واتِّهام لمداركهم بالضَّحالة والسطحيَّة، و"تَوَرُّكٌ عليهم وتحميقٌ لهم وتوبيخٌ لهم" من إحالتهم البَعْث[٨].

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ١٠).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٧).
(٣) معارج التفكر، للميداني (٣/ ٧٤).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤١٤).
(٥) تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهرري (٢٧/ ٤٣٦).
(٦) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٨٩)، والنبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٧٨).
(٧) أضواء البيان، للشنقيطي (٧/ ٦٨٦).
(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٨).

◈ المقطع الثاني [الآيات: ١٦-٣٥]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾: هذه الآية واردةٌ في بيان بعض تفاصيل الخَلْق الأول المذكور في الآية: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾، ففيها:

"التَّنبيه على أعظم آيات قدرة الله وشواهد ربوبيته وأدلة المعاد، وهو خَلْق الإنسان المركب من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والرباطات والمنافذ والآلات والعلوم والإرادات والصناعات؛ كل ذلك من نطفة ماء"[(١)].

و"التَّنبيه على سَعة علم الله تعالى بأحوالهم كلها، فإذا كان يعلم حديث النفس؛ فلا عجبَ أن يعلم ما تنقص الأرض منهم"، وفيه دلالةٌ على أن "الوسواس في النفس يكون من الشيطان تارةً ومن النفس تارةً"[(٢)]، وأن "أبعاض الإنسان يحجب البعضُ البعضَ، ولا يحجب علم الله شيءٌ"[(٣)].

وفيها "الكناية عن التحذير من إضمار ما لا يرضي الله"[(٤)]، و"زجر عن المعاصي التي يستخفى بها"[(٥)].

"وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره وباطنه، القريب إليه في جميع أحواله، فيستحيي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمَره"[(٦)].

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٢)، بتصرف.
(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٨٦).
(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ٤٣٧).
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٩٩).
(٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٤٣٥).
(٦) تفسير السعدي (٧/ ١٧٠٠).

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: هاتان الآيتان واردتان في بيان الرقابة الدائمة على كل إنسان[١]؛ ففيها الإنذار الشديد والموعظة والتهديد بالجزاء للمشركين الذين كذَّبوا بيوم البَعْث جحودًا واستكبارًا، و"الإخبار بأن على يمين الإنسان وشماله مَلَكين يكتبان أعماله وأقواله والتَّنبيه بإحصاء الأقوال وكتابتها على كتابة الأعمال، التي هي أقل وقوعًا، وأعظم أثرًا من الأقوال، وهي غايات الأقوال ونهايتها"[٢].

فينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه وجوارحه عن السيئات ويرغب في الحسنات. وفي هذا إشارةٌ كافية للَّبيب أن الإنسان غير متروك سدًى، وأنه خُلِق لأجل حكمة جليلة وغاية سامية.

وبيان قُربه -تعالى- عند تلقِّي المَلَكين أقوال الإنسان وأعماله "إيذان بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه"، وأن ذلك الاستِحفاظ لحكمة[٣]، وهو إقامة الحجة على العبد يوم القيامة[٤].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: هذه الآية انتقالٌ "إلى حكاية ما سوف يواجهه المكذِّبون حين احتضارهم"[٥]، ففيها ذِكر "القيامة الصغرى، وهي سَكرة الموت، وأنها تجيء بالحق، وهو: لقاؤه سبحانه، والقدوم عليه، وعرض الروح عليه، والثواب والعقاب الذي تعجل لها قبل القيامة الكبرى"[٦].

---

(١) معارج التفكر، للميداني (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٢-١٣).

(٣) الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٩٢). وانظر: حدائق الروح والريحان (٢٧/ ٤٣٩).

(٤) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٢٦/ ٢١١). وانظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٤٣٧).

(٥) انظر: التفسير الحديث (٢/ ٢٣٥).

(٦) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣). وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٥).

وفي التعبيـر بالماضي تنبيـهٌ على أن الأمر متحقِّق الوقـوع، وعلى أنه قد وقع بالفعل نظيرُه لمن سبق موته نزولَ النص من الناس[١].

وفي هـذا إيقـاظٌ للقلوب من الغفلـة، وتأكيدٌ على أنه ينبغي للإنسـان أن يستعدَّ للموت وأحواله، وأن يقضي حياته على توجُّس وحذر.

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴾: هذه الآية واردةٌ في "ذِكر القيامة الكبرى"[٢]، ففيهـا الإخبار بنفخ المَلَك الموكَّل بالنفـخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة البَعْـث، وأن ذلك يوم العذاب الذي وعد به الكفار والعُصاة. "وخص الوعيد بالذِّكـر دون الوعـد، لتهويل هذا اليـوم وتحذير العصاة مما سـيكون فيه"[٣]، وليتناسب مع أسلوب السُّورة القوي في التَّقريع والتَّبكيت.

﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾: هـذه الآيـة واردةٌ في "حكايـة ما سـوف يواجهه المكذِّبون حين بعثهم يوم القيامة من الحقائق التي كانوا يتهرَّبون منها أو يرتابـون فيها"[٤]، ففيهـا الإخبار بـ"أن كل أحد يأتي الله سـبحانه ذلك اليوم ومعه سائقٌ يسوقه وشهيد يشهد عليه، وهذا غير شهادة جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها له عليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين".

وفي الآية دليلٌ على أن الحاكم لا يحكم بعلمه. "فإن الله سبحانه يستشهد على العبد الحَفَظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر، والجلود التـي عصوه بها، ولا يحكـم بينهم بمجرد علمه؛ وهو أعـدل العادلين وأحكم الحاكمين، ولهذا أخبر نبيه أنه يحكم بين الناس بما سمعه من إقرارهم وشهادة

(١) معارج التفكر (٣/ ٩٣).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣).

(٣) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٢٦/ ٢٣١).

(٤) التفسير الحديث (٢/ ٢٣٥).

البينة لا بمجرد علمه، فكيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بينة ولا إقرار؟!"[١].

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾: شـرَعت هـذه الآية في ذِكر الحساب وأحواله، ففيها زجرٌ للمفرِّط في الأعمال في الدنيا، وذِكر مـا يقوله الله ﷻ على سـبيل التهكُّم للإنسـان عن غفلتـه في الدنيا عن الآخرة، وعدم الإيمان بها، "فقد أخبر سـبحانه أن الإنسان في غفلة من هذا الشأن الذي هو حقيقٌ بأن لا يغفل عنه وأن لا يزال على ذِكره وبالِه....

ثـم أخبر أن غطاء الغفلة والذهول يكشـف عنه ذلك اليوم كما يكشـف غطاء النوم عن القلب فيسـتيقظ وعن العين فتنفتح، فنسـبة كَشْـف هذا الغطاء عن العبد عند المعاينة كنسبة كَشْف غطاء النوم عنه عند الانتباه"[٢].

وفي الآيـة بيـانٌ لكمال قـدرة الله بـ"ما له سـبحانه من الإحاطـة بالتقدير والتعجيز"[٣]، وتقريرٌ للنُّبوة أيضًا في أسلوب بديع، فقد دلَّت الآية على قصور العقل البشـري وعجزه عن إدراك ما ينفعه واجتناب ما يضره، وحاجته الدائمة إلى من يرشـده إلى طريق الرشـد والهداية، ومن أجل ذلك بعث الله الرُّسـل، وأنزل الكتب، ودعا إلى الإيمان بالغيب الذي لا تدركه حواسُّـنا ولا تبلغ إليه عقولنا في هذه الدنيا، "فإذا مِتنا صار الغيبُ شـهادةً، وشـهدنا ما كانت الرُّسـل أخبرت به، وكان غيبًا عنا"[٤]؛ كما أخبرت به هذه الآية.

---

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٣).
(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣-١٤).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٢٥).
(٤) الصفدية، لابن تيمية (٢/ ٢٨٤).

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾: هـذه الآية واردةٌ في ذِكر بدء الحســاب، ففيها الإخبار بأن الإنسان يُحضره قرينه الموكَّل به من الملائكة، ويحضره معه عمله الذي أحصاه، ويعرضه للحســاب أمام رب العالمين، في موقف رهيب تقشعرُّ منهـا الأبدان، وترتجف لها القلوب. فينبغي للإنســان أن يســتعدَّ للقاء الله قبل الموت، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب في الآخرة.

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾: هذه الآيات واردةٌ في عرض لقطات من الموقف العصيب الرهيب في محاكمة المجرمين وبيان مصيرهم، والأمر العام بإلقائهم في جهنم. وفيه تقريع الكفار وإنذارهم وإثارة الخوف فيهم وحملهم على الارتداع.

"والآية في إطلاقها وعمومهـا تتضمَّن تقبيح مَنْع الخير والاعتداء عامة. وإنذار المتَّصف بهذه الأخلاق بســخط الله وغضبه...، وتتضمَّن تقرير كَوْن ما يلقاه الكفـار المناعون للخير المعتدون الخبثاء إنمـا هو جزاء على ما اقترفوه مــن إثم حقًّـا وعدلًا"[١]. وفيـه ما يؤكِّد على أنـه لا يجوز معاقبة الإنســان بلا محاكمة أو بلا إثبات جرائمه.

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾: هـذه الآيـة في بيـان اختصـام الكافـر وقرينه من الشـياطين، فـإن الكافر إذا قدم النـار، أراد التنصُّل من كفره وعنـاده بإلقاء تبعتـه على قرينه الذي كان يزين له الكفر، فيتبرأ قرينه من تحمل تَبِعـة كفر الإنســان. و"من الحكمة المملوحة في ذلك إثـارة الخوف في الكفار والضاليـن والمجرمين وحملهم علـى الارعِواء بإيذانهم بأن الذين وسوسـوا لهم من قرنائهم وشياطينهم سيتنصلون منهم وبأن الذين يرافقونهم من ملائكة

(١) التفسير الحديث (٢/ ٢٣٧).

الله قـد أحصوا عليهم كل شـيء وسـوف يقدمونه لله تعالى لمحاسـبتهم"(١).

وهذا التبرؤ والاختصام دليلٌ على هول الموقف.

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾: هاتـان الآيتـان واردتانِ في بيان كمـال علم الله وكمـال عدله؛ فـ"كمـالُ علمه واطلاعـه يمنع من تبديل القـول بين يديه وترويج الباطل عليـه؛ وكمالُ عدله وغناه يمنع من ظلمه لعبيده"(٢).

فإن الله سـبحانه لما بيَّن الوعيد في الدنيا على لسـان رسله؛ لم يبقَ لأحد لُبـس ولا حجة، فلا فائدة من التخاصم لإلقـاء تَبِعة الكفر على أحد الفريقين، لأن اسـتواء الفريقيـن في الكفـر كافٍ في مؤاخذة الكل على السـواء. وفي الآية "تقريـرٌ لمعنـى الظلـم في نفوس الأمـة؛ إذ لا يجوز معاقبة الجاني قبل تشـريع القانـون، كما أن الله لم يعذب عباده إلا بعد سـابق إنذار، معه أنه خالق العباد، وله الخَلْق والأمر، فعال لما يريد"(٣).

وفيـه بيـان "أن مـن الأمـور الممكنة ما هـو ظلمٌ تنـزَّه الله سـبحانه عنه مـع قدرتـه عليه، وبذلك يحمـد ويثنى عليه؛ فـإن الحمد والثنـاء يقع بالأمور الاختياريَّة من فعل وترك"(٤).

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾: هـذه الآيـة واردةٌ في "ترويـع المدفوعين إلى جهنم أن لا يطمعوا في أن كثرتهم يضيق بها سـعة جهنم فيطمع بعضهـم أن يكـون ممن لا يوجد له مكان فيها، فحـكاه الله في القرآن عبرة لمن

(١) التفسير الحديث (٢/ ٢٣٩).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣١٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٥/ ١٠٤).

يسمعه من المشركين وتعليمًا لأهل القرآن المؤمنين"[١].

"ويدل استعمال المضارع على أن السؤال وجوابه يتكرران ويتجددان بعد إلقاء فوج ففوج في جهنم"[٢]. كما ورد في الحديث المتفق عليه: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ**»[٣].

"وفيه دلالةٌ على أن الموجودات مشوقة إلى الإيفاء، وإظهار الامتثال لِما خلقها الله لأجله، وأنها لا تتلكأ ولا تتعلل في أدائه"[٤].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: هذه الآية، والتي تليها، "استطرادٌ إلى ذِكر حظِّ المؤمنين يوم القيامة -على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب وعكسه-"[٥]، ففيها ذِكر تقريب الجنة من المتقين، وبيان فضل التقوى وكرامة المتقين على رب العالمين. والذي "من شأنه جذبُ أصحاب القلوب الواعية والنفوس الطيبة، وحملها على السير في السبيل القويم، وبثّ الطمأنينة والغبطة والرضاء فيها"[٦]، وفيه دعوة للمشركين إلى الإيمان واختيار التقوى، وتركِ ما هم فيه من التكذيب والغفلة.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾: هذه الآية واردةٌ في بيان ما يقال للمتقين عند إزلاف الجنة منهم، وذِكر صفتين من صفاتهم، وهي أن يكون أوابًا حفيظًا.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣١٧).

(٢) معارج التفكر، للميداني (٣/ ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، (ح ٦٦٦١)، (٨/ ١٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (ح ٢٨٤٨)، (٨/ ١٥٢) وهذا لفظه.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣١٨).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ١٣٧).

(٦) التفسير الحديث (٢/ ٢٤١).

وفيـه دلالةٌ على أنه يجدر بالمؤمن المحافظة على الطاعة وحفظ وصايا الله وحدوده، فـإذا صدرت منه فلتةٌ أعقبها بالتوبة، ورجع إلى ربه. "فلا يكفي أن يعلن المرء إسـلامه، بل عليه أن يكون مجتهدًا في تقوى الله بالعمل الصالح واجتنـاب الآثـام، وأن يكون حافظًا لعهوده وواجباته مراقبًا الله في سـرِّه وعلنه منيبًا إليه بقلبه وجوارحه. وفي هذا ما فيه من قصد تهذيب نفس المسلم وإعداده ليكون صالحًا بارًّا خيِّرًا راشدًا يَقِظَ القلب طاهر السريرة والنفس قائمًا بواجباته نحو الله والناس لذاتها متَّقيًا ربه في السرِّ والعلن"[1].

﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾: هـذه الآيـة واردةٌ في ذِكـر الصفـة الثالثة والرابعة من صفات المتقين، وهو أنهم يخشونه ﷻ في السِّر، مع علمهم برحمته الواسـعة، ويرجعون عن معصية الله ويقبلون على طاعته، ولا يبطلون عملهم الصالح في أواخر أعمارهم، فيأتون يوم القيامة مُنيبين.

وفي هذا ما يؤكِّد على أن "الخشـية النافعة خشيته ﷻ في الغيب والشهادة"،[2] وأنه من أسـباب حُسـن الخاتمة. وفي وصفه تعالى بالرحمـة، ووصف القلب بالإنابة، اسـتدعاءٌ للمشركين وتلطيف بالعصاة أن لا يقنطوا من رحمة الله وأن "لا ييأسوا من قبول التوبة بسبب كثرة ما سيق إليهم من الوعيد جريًا على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب والعكس"[3].

وفي اقـتران اسـم الرحمـن بالخشـية، تنبيهٌ علـى أن علم المتقين بسَـعة رحمتـه ﷻ لا يصدُّهـم عن خشـيته، وأن خشـيتهم "تكـون مقرونـةً بالأُنس

(١) التفسير الحديث (٢/ ٢٤١).

(٢) تفسير السعدي (٧/ ١٧٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣/ ٢٩٥).

-يعني: الرجاء-، كما هو المشروع"[١]، وفي معنى الآية حديث السبعة الذين يُظلهم الله في ظله، ومنهم: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[٢]. وفيه ردٌّ على المشركين الذين أنكروا اسم الرحمن لله ﷻ.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: هاتان الآيتان في بيان "جزاء من قامت به هذه الأوصاف"[٣] الأربعة المذكورة من قبل، ففيها الامتنان بالإذن لهم بدخول الجنة بالسلامة، وهو "من كمال إكرام الضيف"[٤]، وتطمين لهم بأنه يوم الخلود وتشويق لهم إلى ما فيها من النعيم مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه. وفيها دلالة على "أن المفاجأة بالإنعام ضرب من التلطف والإكرام"[٥]. وفيه إشارةٌ "إلى أن قدرته لا نهاية لها، ولا تحصر بحدٍّ ولا تحصى بعدٍّ، ردًّا على أهل العناد وبدعة الاتحاد في قولهم "ليس في الإمكان أبدع مما كان""[٦].

◈ المقطع الثالث [الآيات: ٣٦-٤٥]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هذه الآية واردةٌ في المعالجة النفسيَّة لمكذِّبي الرَّسول ﷺ والمكذِّبين بيوم الدين بأسلوب الترهيب، والتذكير بالعذاب الدنيوي قبل عذاب الآخرة، ففيها

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٨/ ٤٣١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (ح ٦٦٠)، (١/ ١٣٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، (ح ١٠٣١)، (٣/ ٩٣). وانظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ١٩٧).

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص ١٨).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٢٠).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٢١).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٣٤).

إنذار المشركين و"تخويفهم بأن يصيبهم من الهلاك ما أصاب من قبلهم، وأنهم كانوا أشدَّ منهم بطشًا ولم يدفع عنهم الهلاكَ شدةُ بطشهم"[(١)]، و"طمأنةٌ لقلب الرَّسول ﷺ وقلوب الذين آمنوا معه بأن نصر الله آتٍ لا محالة، كما نصر الله المرسلين السابقين ومَن معهم مِن المؤمنين، مع أن المكذِّبين الأولين كانوا أشدَّ من المعاصرين لتنزيل القرآن قوة وبأسًا"[(٢)]. وفي هذا تأكيد على عدل الله، وجليل حكمته، وكمال قدرته، ودلالةٌ على مشروعيَّة تخويف العصاة والمكذِّبين بالعذاب الإلهي[(٣)]، والاعتبار بسنة الله ﷻ في الإهلاك الجماعي للأمم.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾: هذه الآية واردةٌ في الحثِّ على التدبُّر في القرآن، و"التفكُّر في تدبر الأحوال التي قضت على الأمم السابقة بالإهلاك؛ ليقيسوا عليها أحوالهم"[(٤)]، ففيها:

التَّنويه بشأن المؤمنين والتعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه لأنهم بعداء عن الانتفاع بالذكريات[(٥)].

وبيان أن "من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين: إما رجل رأى الحق بنفسه فقَبِله واتَّبعه؛ فذلك صاحب القلب، أو رجلٌ لم يعقله بنفسه، بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه؛ فهذا أصغى فـ: (ألقى السمع وهو شهيد)، أي: حاضر القلب"[(٦)]؛ لـ"أنَّ مجرد الإصغاء لا يفيد، ما لم يكن

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ١٩).

(٢) معارج التفكر (٣/ ١٢٠).

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ١٥٣)

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٢٣). وانظر: التفسير الحديث (٢/ ٢٤٤).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٢٤).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/ ٣١١). وانظر: الفوائد، لابن القيم (ص٤-٥)، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، له (١/ ٤٨٩-٤٩٠).

المصغي حاضرًا بفطنته وذهنه"[1].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾:

هذه الآية واردةٌ في إبراز معنى سعة القدرة الإلهيَّة الدال على إمكان البَعْث؛ إذ أحاله المشركون بما يرجع إلى ضيق القدرة الإلهيَّة عن إيقاعه[2]. ففيها "تنزيه الله سبحانه عن اللُّغوب، والتنزيه يقتضي اتصافه سبحانه بصفات الكمال الثبوتيَّة، لأن الأمور العدميَّة لا تكون كمالًا إلا إذا تضمَّنت أمورًا وجوديَّة فنفي اللُّغوب يقتضي كمال قدرته تعالى ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه"[3].

وفيها "تكذيب لأعداء الله من اليهود حيث قالوا إنه استراح في اليوم السابع"[4].

وفي خلق السماوات والأرض في ستة أيام "تعليمٌ للإنسان التأني والتدرج"[5]، "ولو شاء ﷻ لكان ذلك في أقل من لَمْح البصر، ولكنه سنَّ لنا التأني بذلك"[6]؛ قال سعيد بن جُبَير: "كان الله ﷻ قادرًا على خَلْق السماوات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهنَّ في ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والتأني في الأمور"[7].

(١) تفسير غرائب القرآن، للنيسابوري (٦/ ١٨٠).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٢٥).
(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٣٦)، و(١٠/ ٢٥٠)، الصفدية، لابن تيمية (٢/ ٦٥)، ومنهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٣).
(٤) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٩).
(٥) التفسير الحديث (٢/ ٢٤٨).
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٣٧).
(٧) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٢٣٥).

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: هاتان الآيتان واردتان في معالجة حالة الرَّسول ﷺ النفسيَّة والقلبيَّة أولًا، وعلى تربية حملة رسالة الرَّسول ﷺ من العلماء والدعاة من أمته[1].

ففيها حثُّ النبي ﷺ على الصبر وبيان ما يستعين به عليه من التسبيح والتحميد الذين تشتمل عليهما الصلاة، والأمر بـ"التأسي به سبحانه في الصبر على ما يقول أعداؤه فيه، كما أنه سبحانه صبر على قول اليهود: إنه استراح! «وَلَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْهُ»[2]"[3].

وفي الآية دلالةٌ على أن الصبر يكتسب بالتصبُّر، وتأكيدٌ على عِظم الصلاة وأثرها في حل الأزمات الداخليَّة والخارجيَّة، و"أن الصلاة أعظم تِرياق للنصر وإزالة الهم، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ فَزِع إلى الصلاة"[4].

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾: هاتان الآيتان واردتان أيضًا في تثبيت قلب النبي ﷺ، ففيها "تصوير يوم مصيبة المشركين وقربه وبيان ما فيه لهم من المثُلات وقوارع المصيبات"[5]، وتذكيرٌ له ﷺ بما يكون من أمر الآخرة من "نداء المنادي برجوع الأرواح إلى أجسادها للحشر"[6] والخروج من الأجداث؛ لأن ازدياد اليقين بالآخرة

(١) معارج التفكر، للميداني (٣/ ١٣٠).
(٢) هذا لفظ حديث، أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) عن أبي موسى الأشعري.
(٣) الفوائد، لابن القيم (ص ١٩)، وانظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، له (٢/ ٣٤٠).
(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٤٠).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/ ٤٤٠).
(٦) الفوائد، لابن القيم (ص ٢٠).

وتجدده من أعظم ما يعين على الصبر، فباليقين ينشرح الصدر ويستمدُّ قوَّة معنويَّة كبيرة تتضاءل معها خطوب الدنيا وهمومها. وفي هذا تلقين روحاني للدعاة للاعتناء بذِكر الآخرة ليكون عونًا للداعية في رحلته.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾: هذه الآية واردةٌ في تقرير عقيدة البَعْث بعد الموت، ففيها التذكير بأن المحيي والمميت هو الله لا شريك له، والاستدلال بذلك على البَعْث الذي هو الإحياء الأعظم، لأن "المعاد ليس بأصعب من المبدأ، فمن أقرَّ به وأنكر البَعْث كان معاندًا أو مجنونًا قطعًا"(١).

"فمن أحيا أولًا ثم أمات، فلا عجب أن يعيد من أماته إلى حياة أخرى ليلاقي حسابه وجزاءه على ما قدَّم في الحياة الأولى، التي كانت رحلة امتحانه، وأن المصير بعد رحلة الابتلاء في الحياة الدنيا إلى الرب الخالق"(٢).

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾: هذه الآية واردةٌ في الاستدلال بإمكان الحشر بعد تحقيق أمر البَعْث في الآية السابقة، ففيها ذِكر صورة خروج الناس من قبورهم وهو تَشقُّق الأرض عنهم كما يتشقق النبات، في زمن غير طويل، ثم اجتماعهم في المحشر، مهما بعدت قبورهم عن أرض المحشر، كما ورد في حديث: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**»(٣). وفي هذا تأكيدٌ على كمال قدرة الله وشمول علمه لكل الأشياء، ومنها الأجزاء المتفرقة المتحللة المختلطة بالتراب المدفونة في الأرض. وهو ردٌّ لقول المشركين: ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾.

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٨/ ٤٤١-٤٤٢).

(٢) معارج التفكر، للميداني (٣/ ١٣٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾، (ح٤٩٣٥)، (٦/ ١٦٥). وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٨٣).

﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾: هذه الآية خاتمة السُّورة، وهي تأكيدٌ لِما تضمَّنته السُّورة من تقرير البَعْث والرِّسالة، مع الإعراض عن مواجهة المكذِّبين بالخطاب، وتوجيه الخطاب إلى الرَّسول ﷺ، وقد اشتملت على ثلاث جمل مُوجَزة:

فقوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ ﴾: فيه تَسْليةٌ وطمأنة من الله ﷻ للرَّسول ﷺ بشأن مقالات قومه المكذِّبين، وكناية عن وعد الله لرسوله بأنه ﷻ سينتصر له منهم، وتهديد ووعيد من الله للذين يؤذون الرَّسول بأقوالهم بأنه سينتقم منهم وينصر رسوله، فقد "أخبر سبحانه أنه عالِم بما يقول أعداؤه، وذلك يتضمَّن مجازاته لهم بقولهم؛ إذ لم يخفَ عليه، وهو سبحانه يذكر علمه وقدرته لتحقيق الجزاء"[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾، فيه بيانٌ لحقيقة الرِّسالة وحقيقة الدعوة، وتطمينٌ للرَّسول ﷺ بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم؛ لأنه إنما بُعث داعيًا وهاديًا، وليس مبعوثًا لإرغامهم على الإيمان. وفيه تأكيدٌ على أن الداعي غير مكلَّف بهداية قومه، بل يكفي دعوتهم، وبيان الحق لهم، إتمامًا للحُجَّة، وإبراءً للذمة.

﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾: هذه خاتمة الختام، وفيه تأكيدٌ على أن التذكير والذكرى مداره على هذا القرآن، وفيه تعليمٌ للعلماء والدعاة أن يكون محور دعوتهم مرتكزًا على هذا القرآن العظيم، وربط الناس به على كل الأحوال، وفي كل مجال[(٢)]. ولهذا خُتمت به السُّورة كما بُدئت به: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾.

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ١٤).

(٢) انظر: كوكبة الخطب المنيفة، للسديس (١/ ٥٧-٥٨).

مجلة تدبر

الخاتمة

الحمدُ لله أولًا وآخرًا،

وبعد،،

☜ **فقد توصَّل البحث إلى بعض النتائج، منها:**

١ – **أن المَقاصِد القُرآنيَّة هي**: مُراد الله ﷻ من كلامه، أو هي الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العِباد. وهو من حيث الاستقلال مصطلحٌ حديث نسبيًّا. وتكمن أهميَّته في أنه مفتاح تدبُّر كلام الله ﷻ، كما قال الشاطبي: "فالتدبُّر إنما يكون لمن التفتَ إلى المَقاصِد". كما أن معرفة المَقاصِد القُرآنيَّة يضبط منهجيَّة تفسير كلام الله ﷻ، ويحفظ القرآن الكريم من التحريف والتأويل.

٢– أن سُورة (ق) مكيَّة، وهي أول الحزب المفصَّل، وقد كان النبي ﷺ كان يقرأ بها في المجامع العظام. ويدور محور السُّورة حول معالجة تكذيب المكذِّبين برسالة محمد ﷺ، وبما جاء به من نبأ البَعْث والحساب.

٣– تناولت سُورة (ق) عدة موضوعات جزئيَّة تخصُّ العقيدة الإسلاميَّة، وكلها تتعلق بمعالجة موضوع البَعْث، والرِّسالة، ومن المَقاصِد القُرآنيَّة التي تضمَّنتها هذه السُّورة:

- تقرير أصول الدِّين من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَر.
- إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما يضادُّ كماله من النقائص والعيوب.

- تقرير شمول عِلم الله، ومنه: تقرير عقيدة مراقبة الله للإنسان، وإحاطته به من كل وجه، وإقامة الحَفَظة عليه.
- تقرير كمال قدرة الله، ومنه: بيان مظاهر قدرة الله في خَلْق السماوات والأرض، وفي إهلاك المكذِّبين، وفي خَلْق الإنسان.
- تقرير حكمة الله في خَلْق كل شيء، وخَلْق الإنسان.
- بيان عناية الدين الإسلامي بكافَّة جوانب حياة الإنسان، وبإعطائه تصورًا كاملًا عن حياته التي تبدأ من ولادته، وتمرُّ بالموت، ثم تنتهي بالبَعْث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار.
- تسلية النبي ﷺ والمؤمنين، وتحذير أعداء الرَّسول ﷺ من سوء عاقبة الكفر.
- الكشف عن أحوال أهل الباطل في الاستدلال بالعقل الفاسد، وأسباب تكذيبهم بالحق.
- تقرير مكانة العقل في الإسلام، وعدم معارضته للنقل الصحيح، والدعوة إلى إعماله للوصول إلى الحق، من خلال التفكير في آيات الله الكونيَّة، والاعتبار بمصارع المكذِّبين السابقين.

٤- بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، ومن مظاهره: طريقة عرض السُّورة للقضايا المحوريَّة الكليَّة والجزئيَّة، والتي تظهر متنافرة مختلفة -في بادئ الأمر-، لكنها عند التدبُّر نجدها تتصل اتصالًا وثيقًا بمقصد السُّورة.

فينبغي للعلماء والدعاة أن يعتنوا بهذه السُّورة، سُورة (ق)، تلاوة وتدبرًا، وأن يُحيوا سُنَّة رسول الله ﷺ في قراءتها في خطبة الجمعة، وفي صلاة العيد،

وصلاة الفجر، وأنْ لا يكتفوا بقراءة آياتٍ منها[1]؛ لأن موافقة السُّـنة لا تحصل بالاجتزاء، وذلك أن قراءة الرَّسـول ﷺ للسـورة إنما كانت لِما اشتملت عليه السُّورة من أهم مَقاصِد القرآن.

وحـريٌّ بالباحثيـن أن يتوجهوا إلى دراسـة المَقاصِـد القُرآنيَّة في جميع السُّـور، خاصـةً تلك السُّـور التي كان رسـول الله ﷺ يواظب علـى قراءتها في المُناسَـبات المختلفة، مثل سُورة القمر، وسـورتي الأعلى والغاشية، وسورتي الجمعة والمنافقون، وسورتي السجدة والإنسان؛ فإنه يُعِين على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا، ويعود بالخير على المجتمع الإسلامي وعلى الفرد المسلم.

وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

....

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٢٠٣).

المصادر والمراجع

١. «القرآن الكريم»، رواية حفص عن عاصم.

٢. «أسـرار ترتيـب القـرآن». السـيوطي، جـلال الدين عبـد الرحمن بن أبـي بكر (ت ٩١١هـ). تحقيق: عبد القـادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيـم. د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، ٢٠٠٢م.

٣. «أسـماء سور القرآن وفضائلها». الدوسري، د. منيرة محمد ناصر. ط١، السعوديَّة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

٤. «أصول في التفسـير». العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١هـ). ط١، عين شمس: المكتبة الإسلاميَّة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥. «أضـواء البيـان في إيضاح القـرآن بالقـرآن». الشـنقيطي، محمد الأميـن بن محمد المختـار الجكني (ت ١٣٩٣هـ). إشـراف: بكر بن عبـد الله أبو زيد. ط١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ.

٦. «الإتقـان في علوم القرآن». السـيوطي، جـلال الدين عبد الرحمن بـن أبي بكر (ت ٩١١هـ). تحقيق: مركز الدِّراسـات القُرآنيَّة، د.ط، المدينـة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٧. «البرهـان في علوم القرآن». الزركشـي، بدر الدين محمد بـن عبد الله (ت ٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، القاهرة: دار التراث، د. ت.

٨. «البيان في عد آي القرآن». الداني، أبو عمرو الأندلسي (ت ٤٤٤هـ). تحقيق: د. غانم قدوري الحمد. ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٤هـ.

٩. «التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ). د.ط، تونس: الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤هـ.

١٠. «التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)». عزت، دروزة محمد (ت ١٤٠٤هـ). د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٣٨٣هـ.

١١. «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم». إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. إشراف: أ.د مصطفى مسلم. ط١، الإمارات: جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٢. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». الطنطاوي، د. محمد السيد. د.ط، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٣. «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان». القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ). تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١، بيروت: مؤسسة الرِّسالة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٤. «الدِّراسة التحليليَّة لمَقاصِد وأهداف الحزب الثاني والخمسين من القرآن الكريم (سُورة الفتح-الحجرات-(ق)-الذاريات)». رشيد، نصر سمير، رسالة ماجستير، غزة: كليَّة أصول الدين، الجامعة الإسلاميَّة، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

١٥. «الصفديَّة». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط١، الرياض: دار الفضيلة، قبلَ عام ١٩٧٦م.

١٦. «الفوائد». ابن قيم الجوزيَّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ). تحقيق: محمد عزير شمس. ط١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

١٧. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). ضبط: الداني بن منير آل زهوي. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٨. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطيَّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٩. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٠. «المستدرك على الصحيحين»، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مركز البحوث وتقنيَّة المعلومات، ط١، السعوديَّة: دار التأصيل، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٢١. «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ت ٧٢٨هـ). جمعه: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، د.م: د.ن، ١٤١٨هـ.

٢٢. «المَقاصِد القُرآنيَّة في سُورة المزمل: دراسة تحليليَّة». العمر، أكرم غازي الحسين. رسالة ماجستير، ماليزيا: كليَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة المدينة العالميَّة، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢٣. «المَقاصِد القُرآنيَّة في سُورة ص». غانية، شيماء. رسالة ماجستير، الوادي: معهد العلوم الإسلاميَّة، جامعة الشهيد حمه لخضر، ١٤٣٨-١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨-٢٠١٩م.

٢٤. «المَقاصِد القُرآنيَّة: دراسة منهجيَّة». الربيعة، د. محمد بن عبد الله. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القُرآنيَّة، جدة، العدد (٢٧)، جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ- فبراير ٢٠١٩م، ٢٠٧-٢٦٢.

٢٥. «الموافقات». الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١، د.م: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٦. «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم». ابن حزم، الأندلسي (ت ٤٥٦هـ). المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧. «النبوات». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان. ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٨. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير». الجزائري، أبو بكر جابر (ت ١٤٣٩هـ)، ط٣، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٩. «بدائع الفوائد». ابن قيم الجوزيَّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ). تحقيق: علي بن محمد العمران. ط١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

٣٠. «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز». الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). المحقق: محمد علي النجار. د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣١. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ). تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. د.ط، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٣٢. «تفسير البحر المحيط». أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرين. ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٣. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تحقيق: مصطفى السيد، وآخرين. ط١، مصر: مؤسسة قرطبة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٤. «تفسير القرآن الكريم (من الحجرات إلى الحديد)». العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١هـ). ط١، الرياض: دار الثريا، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٥. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

٣٦. «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٧. «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان». النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمِّي (ت ٨٥٠هـ). تحقيق: زكريا العميرات. ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٨. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ). اعتناء: سعد بن فواز الصميل. ط١، السعوديَّة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

٣٩. «جمال القراء وكمال الإقراء». السخاوي، علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ). تحقيق: د. علي حسين البواب. ط١، مكة المكرمة: مكتبة التراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٤٠. «درء تعارض العقل والنقل». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤١. «روح البيان». الخلوتي، إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، د.ط، إستانبول: المطبعة العثمانيَّة، ١٩٢٦م.

٤٢. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي (ت ١٢٧٠هـ). تحقيق: جماعة من المحققين. ط١، بيروت: مؤسسة الرِّسالة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤٣. «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن محمد القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ). ط٣، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٤. «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزيَّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط. ط٣، بيروت: مؤسسة الرِّسالة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٥. «سُورة (ق): دراسة تحليليَّة موضوعيَّة». سعداوي، عبد الله. رسالة ماجستير، الجزائر: كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة أبي بكر بلقايد، ١٤٣٥هـ-١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤-٢٠١٥م.

٤٦. «صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤٧. «صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

(ت ٢٦١هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٣م.

٤٨. «فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)». الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠). تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٩. «كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة»، السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز. ط١، مكة المكرمة: مكتبة إمام الدعوة العلميَّة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٠. «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ). ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٥١. «مجمع البيان في تفسير القرآن». الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ). ط١، بيروت: دار المرتضى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٢. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)». جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٣. «مراصد المطالع في تناسب المَقاطِع والمَطالِع»، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ). قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ.

٥٤. «مركزيَّة المَقاصِد عند محمد الغزالي: مقاربة في المفهوم والمصطلح والضرورة»، زرمان، أ.د. محمد. مركز تفسير للدراسات القُرآنيَّة، نشرة إلكترونيَّة.

٥٥. «مصاعد النظر للإشراف على مَقاصِد السُّور، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سُورة للمسمى"». البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر الشافعي (ت ٨٨٥هـ). تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين. ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٥٦. «مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم». قوفي: أ.د. أحمد. د.ط، د.م: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨م.

٥٧. «معارج التفكر ودقائق التدبُّر». الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت ١٤٢٥هـ). ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٨. «معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميريَّة، وسليمان مسلم الحرش. ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٩. «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٠. «مفاتيح الغيب - التفسير الكبير». فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ). ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٦١. «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة». ابن قيم الجوزيَّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. ط١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.

٦٢. «مقاربات "مَقاصِد القرآن الكريم": دراسة تاريخيَّة». حللي، عبد الرحمن. مجلة التجديد، الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة-ماليزيا، م (٢٠)، (٣٩ أ)، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م، ١٩٣-٢٣٤.

٦٣. «مَقاصِد القرآن من تشريع الأحكام». حامدي، د. عبد الكريم. ط١، دار ابن حزم، ٢٠١٠م.

٦٤. «مناهـل العرفـان في علوم القـرآن». الزرقاني، محمـد عبد العظيـم (ت ١٣٦٧هـ). تحقيق: فواز أحمد زمرلي. د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت.

٦٥. «منهاج السنة النبويَّة في نقض كلام الشيعة القدريَّة». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. محمد رشـاد سـالم. ط٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦٦. «نظريَّة المَقاصِد عند الشـاطبي». الريسوني، أحمد. د.ط، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان، ١٤٢١هـ.

٦٧. «نظم الدرر في تناسـب الآيات والسُّـور». البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر الشافعي (ت ٨٨٥هـ). د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

البحث الثاني

بَلَاغَةُ أُسْلُوبِ ٱلْحِوَارِ ٱلْقُرْآنِيِّ

حِوَارُ ٱلْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَبْنَائِهِمْ نَمُوذَجًا

ٱلْبَاحِثَةُ : د / بَدْرِيَّة بِنْتُ سَعِيد مَعِيض ٱلْوَادِعِيّ

أستاذ التفسير المساعد بجامعة نجران

- حصلت على **الماجستير** من كلية/ الآداب جامعة/ الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

بأطروحة: تفسير القرآن من خلال موسوعة (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري جمعًا ودراسة.

- حصلت على **الدكتوراه** من كلية / أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود **بأطروحة:** تحقيق مخطوط (تعليق مبارك في تفسير القرآن العظيم) للإمام القاضي أحمدبن أبي بكر البُلقيني من المقدمة إلى نهاية سورة النحل.

أهم النتاج العلمي:

- محبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ دراسة موضوعية.
- المال والإنسان في القرآن، (دراسة بلاغية).
- الزيادات التي وردت في القرآن في حق المؤمنين وحق الكافرين (دراسة موضوعية).

البريد الإلكتروني: elafsw@gmail.com

مستخلص البحث

تناول هذا البحث الحوار من حيث تعريفه وسمات الحوار القرآني، ثم أربعة نماذج من حوارات الأنبياء ومع أبنائهم، ودراستها دراسة بلاغية مقرونة بفوائد تربوية، واستخدمت فيه المنهج الوصفي والاستنباطي.

ويهدف البحث إلى استخراج الأسرار البلاغية مع بعض الفوائد التربوية في تلك الحوارات.

وكان من أهم نتائجه:

الحوار ليس سمة للمجتمع البشري فقط، بل قد كان حاضرًا في خطاب الله تعالى مع الملائكة، وحتى مع إبليس أخزاه الله، ومع المخلوقات كذلك.

وأوصت الدراسة:

١- بالاهتمام باستخراج الأسرار والدلالات البلاغية في القرآن الكريم؛ لإبراز روعة وعظمة التعبير القرآني.

٢- عدم التكلف في استخراج السر البلاغي، فالقرآن لا يحتاج إلى التكلف؛ لأن القرآن غني بألفاظه الموجزة، ومعانيه المعجزة.

الكلمات المفتاحية: الحوار، القرآن، الأنبياء، الأبناء، البلاغة، أسلوب.

The Eloquence of the Qur'anic Style of Dialogue: the Prophets' Dialogue with their Children as a Model

Prepared by

Dr. Badria Saeed Mo'eedh Al-Wadi'ee

Assistant Professor of Tafsir at the University of Najraan

Email: elafsw@gmail.com

Summary:

This research deals with dialogue in terms of its definition and the features of the Qur'anic dialogue.

Then it examines four models of the dialogues of the prophets **(Peace be upon them)** with their children, from a rhetorical perspective, coupled with the educative benefits that could be drawn from them. This piece of research

uses the descriptive and deductive approaches.

The research aims to extract the rhetorical secrets as well as some educative benefits from those dialogues.

Main Findings:

1. Dialogue is not only a distinguishing characteristic of human society, but it is also present in the speech of Allah **(Exalted be He)** with the angels, Satan himself **(May Allah curse him)** and all other creatures.

Recommendations of the Study:

1. More emphasis should be placed on the extraction of the secrets and the rhetorical connotations in the Noble Qur'an with the view to highlighting the magnificence and loftiness of the Qur'anic expressions.

2. The rhetoric Qur'anic secrets should not be concluded in a sophisticated manner, as the Noble Qur'an is not in need of sophistication or mannersism; rather, it is rich in its concise expressions and inimitable meanings.

Keywords: Dialogue, Quran, Prophets, Children, Eloquence, Style.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان ما صبح بدا وما ليل سجى صلاةً وسلامًا سرمديًّا أبدًا،

أما بعد:

فالقصص القرآني معين دفاق، ومورد أخَّاذ، تستسقى منه الحكم، وتستنتج منه العبر.

ومن بديع جمال القصص القرآني مايحوي من صور الحوار المتبادلة التي تدل على أن الحوار سمة فاعلة من سمات المجتمع البشري، تُفهم به حاجات النفوس، ويكشف عن مايتنجه العقل من آداب وفكر؛ ولذلك حوى القرآن أنواعًا عديدة من الحوارات، ومنها: حوارات الأنبياء عليهم السلام مع أبنائهم، حيث تتجلى فيها عظمة الهدف، وروعة التصوير، وبلاغة الأسلوب، حيث كانت بيانًا للهداية القرآنية في مجال التربية، وهي وسيلة إصلاح للأسرة والمجتمع.

مما قادني إلى أن أجعلها مجالًا لبحثي ودراستي بذكر بعض النماذج من الحوارات بين الأنبياء وأبنائهم في القرآن، ودراستها دراسة بلاغية مع استخراج التطبيقات والفوائد التي تنفع المربي في حواره مع أبنائه وطلابه، دراسة شرفت بشرف متعلقها ومصدرها، وهو القرآن الكريم.

وقد سلكت في دراسة الموضوع المنهج الوصفي وتم توظيفه في تعيين بعض الحوارات ودراستها دراسة بلاغية أسلوبية، ثم المنهج الاستنباطي في استخراج الدلالات البلاغية والتربوية في الآيات الكريمة.

وقد تناول البحث: مقدمة، وتمهيدًا، وأربعة مباحث.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المستخدم في دراستها.

التمهيد: وفيه تعريف الحوار وأهميته، وسمات الحوار القرآني.

المبحث الأول: حوار نوح عليه السلام مع ابنه.

المبحث الثاني: حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.

المبحث الثالث: حوار يعقوب مع ابنه يوسف عليهما السلام.

المبحث الرابع: حوار يعقوب عليه السلام مع أبنائه بعد فقد يوسف وأخيه.

التمهيد

◈ تعريف الحوار وأهميته:

اهتم الإسـلام بالحوار اهتمامًا كبيرًا؛ إذ إن طبيعة الإنسان تميل بفطرتها إلى الحوار، ولم لا! وهو حاجة إنسـانية مهمة يتواصل فيها الإنسـان مع غيره لنقـل آرائه، وأفكاره، وتجاربـه، وقيمه، بالإضافة إلى أنـه إحدى طرق التربية المهمـة في الحيـاة؛ لأنه وسـيلة للوصول لليقين بعدما أعلـن كل طرف وجهة نظره، وكشف ما لديه مما خفي على الآخر.

ويتميز الحوار عامة أنه يتيح الفرصة لسبر أغوار النفوس، وتعزيز إيمانها، وترسـيخ عقيدتها، وتصحيح مفاهيمها، وتثبيت قيمها، وتعديل سلوكها، ومن ثَم يشعر المحاور بالاطمئنان.

ومما لا شك فإن الإسلام يهدف إلى الرقي بالمجتمع المسلم إلى معالي الأمور، وسـمو الأخلاق، وعلو الآداب، وينأى بأفراده عن كل خلق سـيء أو عمل شـائن، ويريد أن يكون المجتمع مجتمع محبة وألفة تربط بين عناصره: الأخوة، والمودة.

ويكتسـب الحـوار أهميته من كونـه وسـيلة للتآلف والتعـاون، وبديلا عن سـوء الفهـم والتقوقع والفرقة والصـراع، وبذلك يصبـح الحوار ضرورة طالمـا تفاعل النـاس وتدافعوا، واختلفت انتماءاتهـم ومصالحهم، وأفكارهم ومشاعرهم تجاه الأشياء والأشخاص من حولهم(١).

ويشير التعريف اللغوي للجذر (حَوَرَ) إلى دلالاتٍ عدة، منها: الرجوع عن

(١) الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، للدكتورة منى إبراهيم اللبودي (٢٠).

الشـيء وإلى الشيء، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظة (حوار) التي تدل على التحادث والتجاوب القولي، فالمحاورة: المجاوبة، واستحارة: استنطقه[١].

والمحاورة: حسـن الحوار، ومنها أيضًا: كلَّمتُه فما ردَّ على محورةٍ، أي: كلام[٢].

فهي تعطي في طياتها دلالة خلقية تتعلق بكيفية الحوار وأدبه، وهذا صحيح، فالحوار يستلزم طرفين أو أكثر، ولا يتم إلا في جو أدبي يتيح السمع والقول بين المتحاورين، وتتسع دلالة الحوار معجميا، فتكون بمعنى: جادله[٣].

والجـدال يعطي فرصـة للقول والمراجعـة بين المتحاوريـن، وإن كان يهدف للإفحام للخصم غالبًا.

والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام[٤].

وأيضًا: مـا أحـار جوابـا، أي: ما رجـع[٥]، وكذلك: تحـاوروا تراجعوا الكلام بينهم[٦]، ومنه حديث النبي ﷺ: «**نعوذ بالله من الحور بعد الكور**»[٧].

وأيضًا: من معاني الجذر اللغوي (حور) ما يفيد الحيرة من حار (بدلالة لم يهتد لسبيله، فهو حيران، وحائر، وهي حيراء[٨].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٧٥٠).

(٢) أساس البلاغة، للزمخشري (٩٨).

(٣) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية (١/ ٢١٢).

(٤) المرجع السابق.

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٧٥٠). وجاء في دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، (٣/ ٦٤٧): "تحاور الناس: تراجعوا الكلام وتداولوه".

(٦) أساس البلاغة، للزمخشري (٩٨).

(٧) صحيح مسلم كتاب الحج، باب ٥٧ الحديث ٣٣٤٠.

(٨) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية (١/ ٢١٢).

فهو يعطي دلالة مناقضة، فليس كل حوار يأتي بالجديد، فقد يزيد المرء ضلالًا.

فالحوار: حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات...، ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس[(١)].

أما الحوار القرآني فقد عرفه النحلاوي[(٢)] بأنه: كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن، أويحكيه موجهًا إلى منادى أو مخاطب أو مخاطبين حول أمر مهم بقصد توجيههم، أو توجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر، أو تحقيق هدف معين، أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي[(٣)].

ويؤخذ على هذا التعريف: إدخاله لكل نداء في القرآن في الحوار.

وعلى هذا يكون تعريف الحوار القرآني في هذا البحث: بأنه تجاوب ومراجعة بين طرفين أو أكثر -أيًّا كان عددهم- حول موضوع معين يهم كلا الطرفين أو أحدهما بوسيلة من وسائل الإتصال المناسبة لأطراف الحوار وظروفه بهدف الإقناع، أو تقريب وجهات النظر.

فالحوار القرآني أسلوب فريد في قوة مبانيه، وعمق آثاره التربوية والنفسية لم يسبق إليه، وحسبه أنه مظهر من مظاهر تجلي العناية الإلهية بالإنسان؛ ليعتز بإنسانيته، ويستمر في مناجاة ربه، وتفهم آياته وتشريعه.

◈ وللحوار القرآني سمات منها:

١- الإنصاف والموضوعية: يتسم الحوار القرآني بإنصافه المحاور الآخر -وإن كان معارضًا-، ويمكن استنباط هذه السمة من الحوار الذي

(١) القاموس المحيط، للفيروز أبادي (٤)

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، ولد في دمشق، استاذ في دار المعلمين بجامعة دمشق، واستاذ مساعد في الكليات العلمية بالرياض وجامعة الإمام، باحث ومشرف ومدقق، له مؤلفات عديدة.

(٣) التربية بالحوار، (١٤).

دار بين النبي ﷺ والمشركين في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .....﴾ [سبأ: ٢٤].

٢- الإستمالة والرفق في الخطاب: يتسم المنهج القرآني بالترفق واللين مع المخاطبين، ومحاولة استمالتهم أيًّا كانوا حتى وإن كانوا مشركين؛ ليستميل قلوبهم نحو موضوع الحوار وعرض قضيته واحتمال وقوع أحد الطرفين في الخطأ، ومنه قوله تعالى: في سورة سبأ ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ .....﴾ [سبأ:٢٤].

٣- التنوع: أسلوب الحوار في القرآن غني بالقوة والفخامة وسمو الألفاظ، ويتلون حسب مقتضى الحال وداعية المقام والغرض الذي من أجله دار الحوار، فمن أمثلته: الحوارات المفصلة التي دارت بين موسى عليه السلام وشعيب، وإما الحوارات التي تركت بعض جوانبها، مثل: بعض الحوارات الواردة في سورة يوسف عليه السلام.

٤- الإضمار: وهو إخفاء لبعض جوانب الحوار، وطي لشيء من تفاصيله، ففي قصة رحلات إخوة يوسف طويت المسافات المكانية والزمنية دون أن يجد السامع انقطاعًا في أحداثها.

٥- الحكاية: يعتمد أسلوب الحوار في القرآن -في الغالب- على حكاية القول: (قال، وقالوا) أو الأمر به: (قل، وقولوا). فهذا الأسلوب يرسم خطوط الحوار، ويرفع شيئًا من ملابسات الموقف قد تحصل.

٦- مخاطبة العقل والعاطفة معًا: فهو يخاطب العقل؛ ليقنعه، ولا يهمل العاطفة؛ ليكون هناك توازن أدعى للتقبل، ومنه حوار إبراهيم مع أبيه حيث وازن بين النظرة العقلية للأمر وأشبعها بالعاطفة الدفاقة التي تحضر عند الخوف على الوالدين من أي أذى.

المبحث الأول

حوار نوح عليه السلام مع ابنه

يصور لنا القرآن الكريم مشهدًا من مشاهد الطبيعةِ التي تظهر فيها الأبوةُ عاطفةً ملهوفةً حانيةً قَلِقَةً على ابنٍ يُخْشَى عليهِ مِن الهلاكِ بسببِ عقلٍ ضَالٍ، وفِكرٍ مُظلِمٍ مُدْلَهِمٍ.

◈ **يتضِحُ ذلكَ مِنْ خلال موقفِ نوحٍ مع وَلَدِه في القرآن:**

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤١ – ٤٣].

لما انتهى نوح عليه السلام من صنع السفينة وإعدادها إعدادا صالحًا لركوب الفئة المؤمنة معه، وجعلها وسيلة لنجاتهِ ومن صحبهُ أَمَرَهُمْ بالركوب في السفينة، فقالَ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أول ما يروعنا في هذه الآيةِ التصوير البديع في قوله: ﴿ٱرْكَبُواْ﴾ فالسفينة لا يُرْكَبْ عليها، وإنمَّا يُسْتَقَرُّ بها، ولِذا عُدِّيَ ﴿ٱرْكَبُواْ﴾ بـ(في)، فقد شَبَّهَ الله عز وجل السفينة بالمطيَّةِ التي تركب، ثم حذف المشبه به، وذُكِرَ شيئًا مِن لوازمِهِ، (الركوب): على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة توحي بشدة التمكن في السفينة وتمام الاستقرار بها.

ثم يأتي تعريف المسند إليه في قوله: ﴿ٱرۡكَبُواْ﴾ بضمير الخطاب (واو الجماعة)؛ لأن المقام مقام خطاب من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ للفئة المؤمنةِ.

وآثر التعبير القرآني في قولهِ ﴿وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ بمادة (رسي) على مادة (قَرَّ)؛ لأنَّ (الرُسْـو) هو ثبات الشـيء ثباتًا غير جامدٍ، أي: أنه بعد ثباته يمكن أن يتحركَ، وهذا يناسب ثبات السفينةِ، أمَّا (قَرَّ) فهي تقال على الشيء إِذا ثبت ثبوتًا جامدًا، وأصلُه من القر، وهو: البرد، وهو يقتضي السـكون، والحر يقتضي الحركة[(١)]؛ لذا كان التعبير بمادة (رسي) أنسب وأَدقَّ.

والتعبير بلفظ الجلالة في قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾؛ لإدخال الأنس والطمأنينة في قلوب المؤمنين فَهُمْ في أمس الحاجة إلى ذلك في تلك اللحظة.

ولمـا كان المقام مقام بيانٍ -أنه لولا مغفرته تعالى ورحمته بهؤلاء القوم ما نجي منهم أحد- جاء في ختام الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقد أَكَّدَ الكلام بـ: ﴿إِنَّ﴾ و(لام الابتداء) تحقيقًا لأتباعهِ بأَنَّ الله رحمهم بالإنجاءِ مِن الغَرق[(٢)]

ولفظ الربوبية في قوله: ﴿رَبِّي﴾ يشـعر بمعنى التربيـة والحنو والرأفة، وهذا التعبير أنسب للحالة التي كان عليها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنون معه.

وجـاء ﴿لَغَفُورٞ﴾ علـى صيغة (فعـول) التي هي من صيـغ المبالغة، وذلك للإشـعار بأن مغفرة الله واسـعة ليس لها مثيل، فالذنوب التي لا تحصى ولا تُعد هو الغافر لها والمتجاوز عنها كذلك رحمته واسعة شاملة تعم الخلق، وقد أشعر بهذا المعنى التعبير بصيغةِ (فعيل) ﴿رَّحِيمٞ﴾ التي هي من صيغ المبالغة أيضًا.

---

(١) مفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٩٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٧٤).

وقدم لفظ ﴿لَغَفُورٌ﴾ على ﴿رَّحِيمٌ﴾ وهذا التقديم أولى؛ لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تطلب قبل الغنيمة.

ولم يقع في القرآن تقديم لفظ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ إلا في موضعٍ واحدٍ من القرآن، وهو في قولهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١، ٢]. فَقَدَّمَ في هذه الآيةِ لفظَ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع حيث إنَّ (الرحمةَ) تشمل أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخص بعضَهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص[1].

ثم يأتي تصوير المشهد الهائل الذي تبرز فيه العاطفة الجيَّاشة الحانية من الأب للولد، فالأب هنا تنساب منه العاطفة رِقةً وقلقًا على ابنٍ عَاقٍّ، وكان هذا في وقت جريان السفينة ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

يبدو أنَّ ذلك الجريان كان عظيمًا هائلًا في وسط الأمواج الكثيرة المرتفعة، والسامع يتشوق لسماع مثل ذلك الخبر كما أَنهُ يحتاج إلي تقوية الخبر وتمكينه؛ لذا قُدِمَّ المسندُ إليه ﴿وَهِىَ﴾ على المسند ﴿تَجْرِى﴾، ولأن المقام مقام غَيْبَةٍ عرَّف المسند إليهِ ﴿وَهِىَ﴾ بضمير الغيبة، وفي التعبير بضمير الغيبة ﴿وَهِىَ﴾ من التعظيم الكثير والتفخيم.

(١) من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، لـ د./ عبد الفتاح لاشين (٢٢٧).

أما العَظَمَةُ: فتأتي من أنَّ هذا الضمير يعبر عن السفينة التي ينجو بها نوح عليه السلام ومن معه.

وأما الفخامة: فتأتي مِن أنَّ الإضمار فيه إبهام، فالشيء إذا كان مبهما كانت النفس تتطلع إلي فهمِهِ وتتشوق إلى معرفتِهِ، وهذه ميزة الإضمار في الآية.

وجاء التعبير عن جريان السفينة بصيغة المضارع ﴿تَجۡرِي﴾، وذلك تصويرًا لحالها في جريها بهم كأنها حاضرة أمام القارئ أو السامع[١].

وَآثَرَ التعبيرُ القرآنيُّ مادة (جري) على (مَرَّ) حتى تصور ما كانت عليه السفينة من سرعة بالغةٍ في الحركة، فمادة (جري) تعني (مَرَّ بسرعةٍ)[٢].

وأما مادة (مَرّ) فتعني: (سار وتحرك)[٣] فقط، فلا تصور ما كانت عليه السفينة من سرعةٍ، ولذلك كانت المادة (جري) أنسب في التعبير من كلمة (مَرّ)؛ لنهوضها بالمعنى المراد.

وينقلنا السياق إلى التصوير البديع حيث تشبيه الموج بالجبال إذ تجري هذه السفينة في موجٍ مرتفع يشبه الجبال في ضخامتها وارتفاعها، وقد دَلَّ التشبيه على عِظَمِ الأمرِ من حال الماء وتطبيقهِ على الأرضِ ومن ملابسةِ الرياح[٤].

والقرآن حين يشبه محسوسًا بمحسوس ليحرِصَ أحيانا أن يرسمِ الصورةِ كما تحس بها النفسُ... فهذه الجبال تصور للعين هذه الأمواجَ الضخمةَ كما تصور لنا ما يحس به ركابُ السفينةِ[٥].

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١٢/ ٧٨).

(٢) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم (١٠٠).

(٣) المرجع السابق، (٤٩٢).

(٤) الجمان في تشبيهات القرآن، لابن ناقيا البغدادي (١٢٦).

(٥) التعبير الفني في القرآن الكريم، لبكري شيخ أمين (١٩٨).

وتلاحـظ دِقَّـةَ التعبير القرآنِـيِّ فِي اختيارِ كلمةِ ﴿مَوۡجٖ﴾ بـدلًا من (ماء)؛ لأنَّ المـوج أعلى من سـطحِ الماء في تتابع مَعَ هُبوبِ الريَّـاحِ[1] لذا كان التعبير القرآنِيِّ أدق وأنسب في المعنى المراد.

وتنكير ﴿مَوۡجٖ﴾ يشعر بأنَّ الموج الذي يشبه الجبال كان عظيمًا هائلًا فلا يقوى عليه أحد، ولا ينجو منه مخلوق.

وفي وسـط هذا الهول يمد نوح عليه السلام بصرهُ فيجـد من الذين تخلَّفُوا عنه ابنـه فَلَـذَة كَبِدِهِ، فيتوجَّـهُ إِليهِ بالنداءِ في قولـِهِ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وعرف المسـند إِليـهِ بالعلمية في قولِـهِ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ﴾، وذلـك لإِحضارهِ وتعيينهِ له بإِسم يختصُ بهِ في ذهنِ السامعِ.

ويستشعر من النداء في قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ العطف الشديد والشفقةَ المشوبة بالخوف والقلق، عَلَّهُ يستجيب بهذهِ الطريقةِ، فهو يريد من هذا النداءِ إِيمان ابنهِ وهدايته وركوبه معه السفينة.

لأن اسـتعمال النداء بألفاظ البنوة والأبوة تفتح مغاليق النفس، وتشـرع أبـواب القبـول للتوجيهـات، ولذلـك حتى مع علم نـوح بكفر ابنـه طيلة مدة الدعـوة إلا أنـه ما يزال يناديه بـ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ لعل هذا النداء في وقت الغوث والفزع يتغلغل في حنايا قلبه فيلين ويستجيب.

وأداة النـداء (يا) وما تشـتمل عليـه من مد تتعاون مـع باقي التراكيب في رسم الحسـرة والألم اللذين ألَمَّا بنوح عليه السلام، فالمد الذي يوجد بحرف النداء يساعد في تصوير صرخات نوح عليه السلام النفسية وأناته الطويلة حزنًا على ابنه.

(١) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم (٥٠٩).

ويلاحـظ أن نوحـًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قـالَ ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ولم يقلْ (يا ولـدي) وذلك لأنه يخاطبُ ولـده الذكر، فكلمةُ (ابن) لا تطلق إلا على الذكر، أَمَّا (الولد) فيطلق على الابن والابنةِ معًا، مما يشهد بدقة التعبير القرآني.

وَكُنِّـيَ بقولـهِ ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ عن رغبة نوح القويـة في إيمان ابنه وعدم انغماسه في الكفر والضلال، فهو حث وتحضيض من نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنهِ بالإيمانِ بطريقةٍ غير مباشـرةٍ، فالكنايةُ هنا عن صفةِ الإيمان، لأنه يقول بعد ذلك: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وهذه الكناية تصور قلق الأب الحنون وشـدة خوفه على ابنه الضال كما توضح حرصه الشديد على إيمانه وهدايته.

فاسـتخدام التعابيـر غير المباشـرة، والألفاظ المسـتعارة عنـد التوجيه والطلـب للإنقيـاد كما عبر نوح بطلـب ابنه الركوب معهـم وليس الدخول في الإسـلام لعلـه يجد منه اسـتجابة في وقت أحـاط الغرق بأهـل الأرض إلا من ركب معه، لأنه يعلم أن في ثنايا الركوب في السفينة نجاة في الدنيا والآخرة.

ثم يأتي حذف المفعول من قوله: ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ والتقدير: (اركب معنا السفينةَ)؛ لتَعينه ولِضِيقِ المقام لأن بين نجاة من نجا، وهلاك من هلك لحظات خاطفـة، ولأن الحـرص على المعيَّةِ والنَصَّ عليها أَهمُ مـن تعيينِ المفعولِ في هذا المقام[1].

والمراد من النهي في قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ النصح والإرشـاد إلى ما فيه الخير لابنه، وهذا النهي يمتزج بقلقِ أَبٍ ملهوفٍ، والحسرةُ على ابنٍ لعِبتْ بأفكارِهِ الأهواءُ.

(١) الحوار في القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم عبد العزيز (٤٢).

فتوضيح المربي أسباب التوجيه الذي يعطيه حتى يتحقق معرفة دواعي ذلك الأمر، فقد يسري في النفس بالطاعة والإنقياد، ولذلك أوضح نوح عليه السلام السبب من طلبه ابنه الركوب معه، وهو أن عدم ركوبه سيحيط به ويجعله في عداد الكافرين الذين سيغرقهم الموج.

وفي الآية التالية: يأتي رد الابن المغرور ذلك الابن العاق، يقول تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾.

ويستشعر من قول الابن هذا تهكُمٌ من قولِ أَبيهِ وَفِعلِهِ ﴿ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ...﴾ الآيةُ.

وفصل قوله: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ ﴾ عما قبله لما بينهما من شبه كمال الاتصال حيث أن القول السابق أثار سؤال تقديره: (ماذا قال الولد عقب طلب أبيه له بالركوب معه) فقيل: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ ﴾، وبلاغة هذا الضرب تكمن في أن الجملة الأولى تثير في النفس خواطر وهواتف، فتأتي الثانية مجيبة عن هذه الخوالج، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الجملة الأولى، وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل، ثم إن في طي هذه الهواتف وترك الإفصاح عنها والتعبير الجهير بها ضرب من وجازة الكلام واختصاره ودمجه واكتنازه، ولو ذهبت تبسط ما حقه البسط لرأيت وراء كل جملة من هاتيك الضروب جملة قد تطول أو تقصر، ولكنها أضمرت في تلك الجملة، واكتفي في الإبانة عنها باللمحة والإيماضة السريعة التي انعكست في تحريك السامع واستثارة حسه[1].

(١) دلالات التراكيب، لـ د/ محمد محمد أبو موسى (٣١٢).

والتعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ﴾ لاستحضار صورة الإيواء والاعتصام بالجبل فهو يحاول إقناع أبيه.

وتنكير ﴿جَبَلٖ﴾ يوحي بعظم هذا الجبل وشدة ارتفاعه، فالجبل الذي يبحث عنه الولد هو الجبل الشاهق شديد الارتفاع الذي لا تطوله الماء.

وأما التعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ فللإشعار باستمرار الاعتصام بالجبل في وقت الغرق، فالابن يعتقد أنه سيعتصم بالجبل فترة كبيرة حتى ينتهي الطوفان.

ومع هذا العناد تبرز عاطفة الأبوةِ العاقلةِ المدركةِ لفداحةِ الأمرِ وهولِهِ، فيرسلُ الأبُ نداءهُ الأخيرَ الواعي لابنـهِ الذي لا يدركُ خطرَ الأمرِ، فيقول له: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أَي: لا جبالَ ولا مخابئَ ولا عاصمَ من أمرِ اللهِ إلا مَنْ أرادَ اللهُ أَنْ يرحمهُ ويعصِمَهُ. وهذا من الإسنادِ المجازي لعلاقةِ المفعوليةِ بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ أَي: لا معصومَ إلا مَن رَحِمَه اللهُ.

ويلاحظ في هذا القول أيضًا: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ القصر البديع إِذْ أنهُ قصر العصمةَ على مَنْ يرحمه الله في هذا اليوم بطريق النفي والاستثناء، وقدْ أفادَ هذا القصرُ تأكيدَ مضمونِ الجُملةِ معَ الإيجازِ، وهذا القصر يوضح احتياج الناس الشديد إلى رحمة الله ورأفته في هذا اليوم العصيب.

وَكُنِيَ بهذا القولِ: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ عن عِصمةِ المؤمنين الموجودين في السفينةِ ونجاتهم، وعدم عصمة غيرهم ونجاتهم.

وكان مقتضى الظاهر في الآية أن يكون الكلام هكذا: (لا عاصم من أمر الله إلا اللهُ) لكنه قال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾.

وفي العُدولِ إلى الموصولِ... زيادةُ تفخيمٍ وتحقيقٌ لرحمتهِ، وأَنَّ رحمتهُ هي المعتصم لا إلى الجبلِ وهو أقوى الوجوهِ[١].

والمراد من قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، أي: لا عاصم اليوم من الماءِ. وعبَّر بذلك تفخيمًا لِشأن ذلك الماءِ، وتهويلًا لأمرِهِ وتنبيهًا لابنِهِ على خطئِهِ في تسميتِهِ، وتوهمهِ أنه كسائرِ المياهِ التي يتخلصُ منها بالهربِ إلي بعضِ المهاربِ المعهودةِ.

فقرن ذكر المصالح والمفاسد بالتوجيه، حيث قد يكون جهل الابن وقلة إدراكه لحجم الخطر وسوء العواقب حائلًا دون الاستجابة للتوجيه، ولذلك عقب نوحٌ عليه السلام على جواب ابنه ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ موضحًا أن الأمر أكبر مما تتوقع ويحيط به خيالك وفكرك.

وفصلُ قولهِ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ﴾، عن جملةِ ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ﴾؛ لأنَّ الجملةَ الثانيةَ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ﴾ وقعت جوابًا لسؤال أثارتهُ الجملةُ الأولي فكأنهُ قِيلَ: أهذا يمكنُ؟ فكان الجوابُ ﴿لَا عَاصِمَ﴾، وفصل بينهما لشبه كمال الاتصال.

وحيلولةُ الموجِ في آخرِ المحاورةِ تشيرُ إلى سرعةِ فيضانِ الماءِ في حينِ المحاورةِ[٢].

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ إشارةٌ موجزةٌ إيجازًا بديعًا لأنها تشير لغرقِهِ وغرق من معه من الفئةِ الكافرةِ، وبلاغةُ هذا الإيجازِ تتضحُ في سرعة قضاء الله بهلاكِ الهالكين.

(١) حاشية الشهاب علي تفسيرِ البيضاوي، للشهاب الخفاجي (٥/ ١٠٠).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٧٧).

وإِيثارُ ﴿كَانَ﴾ في التعبيرِ على (صار) للمبالغةِ في كونهِ من المغرِقِين.

وبنهاية الحوار تنتهي حياة الابن على الرغم من حرص الأب على بقائها، وبهذا تنتهي قصة الابن العاق المغرور العنيد، وبقي من بعده الأب المكلوم الحزين الذي مافتئ يسأل الله فيه ويثني الطلب بالعفو عنه حتى جاءه النهي من الله أن يسأله ماليس له به علم على طريقة الجاهلين.

المبحث الثاني

حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام

يقول تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠-١١٠].

في هذه الآيات يصور لنا القرآن الكريم حوار إبراهيم عليه السلام مع ابنه تصويرًا بديعًا، ذلك الحوار الذي يصور لنا الأب الشيخ الهَرِم الذي طالما انتظر ابنه، وطال هذا الانتظار حتى دعا ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فأجاب ربه هذه الدعوة، ثم بعد ذلك يستأذنه في ذبحه، والابن يرد عليه ردًّا إيمانيًا هادئًا، رد المؤمن الورع المطمئن ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾، وليس هذا فحسب، وإنما يعده بأن يكون صابرًا، لكن الله سبحانه وتعالى أمتن على الأب الحنون المتعلق بابنه، والابن الطائع البار؛ بأن أنزل عليهما الفداء الذي يخلص الأب من معصية الرب، وذبح الولد.

وتبدأ هذه الآيات الكريمات بدعاء أبي الأنبياء الذي فيه يناجي ربه بأن يرزقه ولدًا.

يقول تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، ويلاحظ أن إبراهيم عليه السلام لم يذكر حرف النداء مع ﴿ رَبِّ ﴾ في قوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي... ﴾ الآية، ولكنه أتى به مجردًا، وهذا يعبر عن شعور إبراهيم بقربه من ربه، وقربه تعالى منه عليه السلام، وأنه لا توجد عوائق بينهما ولا وسائط.

وعَبَّرَ عن هذا بلفظ: (الهبة)؛ ليشعرنا بأن هذا سيكون تفضلًا وتكرُمًّا من قِبلِ رب العالمين، وهذا المعنى ليس موجودًا في لفظ: (ارزقني).

والأمر في قوله: ﴿هَبْ﴾ مراد به الدعاء، فإبراهيم عليه السلام توجه إلى ربه بالدعاء متضرعًا أن يرزقه ولدًا، وليس أي ولد، وإنما يرجو أن يكون ولدًا صالحًا بارًّا، ولِهذا قال: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وجاء النص القرآني باسم الفاعل مجموعًا؛ للإشعار بأن الصلاح المراد هو: الصلاح الثابت الدائم، وليس هذا فحسب، بل إنّه عليه السلام أراد أن يكون ابنه مشتهرًا بالصلاح معروفًا به، كل هذا فُهِمَ من التعبير باسم الفاعل المجموع مما يشهد بدقة التعبير القرآني.

وعلى الفور بشَّره تعالى بِغُلامٍ سيكون حليمًا في المستقبل.

يقول تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، فالله عز وجل يخبره في هذه الآية بأنه سيرزقُه ولدًا سيكون حليمًا في كِبَرِهِ فكأنه بُشِّرَ ببقاءِ ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك، فكانت البشرى من الملائكة[1].

وأطلق لفظ ﴿حَلِيمٍ﴾ وهو لا يكون كذلك بمجرد مولده، وإنما تحدث له هذه الصفة المثلى بعد ذلك بسنين[2]. على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وفي هذا المجاز مزيد من البشارة، وتعجيل بالمسرة.

وحينما جاء الولد الحبيب الذي سيكون حليمًا، وبدأ يسعى معه في بعض الأمور، أوحى الله إليهِ في منامهِ بِسِعَّةِ صدرٍ وصَبرٍ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٥٥٤٣).

(٢) البيان بين عبد القاهر والسكاكي، لـ د/ علي البدري (١٤٧). وانظر: علم البيان، لـ د/ عبد الفتاح لاشين (١٤٦).

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. وجاء أمر الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه في صورة رؤيا إكرامًا لإبراهيم عليه السلام حتي لا ينزعج بأمر اليقظة ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ وهذا جواب لسؤال نشأ من قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ ﴾، فكأنه قيل: ماذا حدث بعد بلوغ السعي؟ فقيل: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ ﴾، وفصل بين الجملتين لما بينهما من شبه كمال الاتصال.

وفي قوله: ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ خرج النداء إلى الشفقة والترحُمِ.

وعبر بالفعل المضارع ﴿ أَرَىٰ ﴾ بدلًا من الفعل الماضي (رأيت)؛ لاستحضار الصورة الماضية، فإبراهيم عليه السلام أراد أن يستحضر الحالة الماضية لولده؛ ليجعله وكأنه يشاهدها ويرى الرؤية معه. وفي هذا من استجلاب الطاعة والتسليم من الولد ما لا يخفى.

والمراد من الأمر في قوله: ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ الاستشارة والترغيب في الطاعة؛ لأن هذه الطاعة طاعة لله تعالى قبل أن تكون طاعة للأب.

ويأتي الجواب غير المتوقع من غلام في هذه السن، لكن بالتأمل نجده متوقعًا من غلام بشّر الله بحلمه في المستقبل، غلام ابن نبي وسيكون نبيًّا، ومن نسله خاتم الأنبياء والمرسلين، والجواب هو: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾. ويلاحظ أن الغلام قد نادى أباه مع أنه قريب منه بحرف النداء (يا)، وذلك للإشعار ببعد المنزلة والمكانة توقيرًا له وتعظيمًا، فلم تتأثر مكانته عليه السلام عند ولده بأمر الذبح الذي أخبره به.

وقد طبع قوله: ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ بطابع الإيجاز بحذف فاعل ﴿ تُؤْمَرُ ﴾ والجار والمجرور به، وهذا يوضح مدى سرعة امتثال الغلام إسماعيل لأمر ربهِ الكريم وأبيه الحنون المحزون.

والأمر في قوله: ﴿ٱفۡعَلۡ﴾ مراد منه التسليم والتفويض، فالغلام قد استسلم لأمر ربه ورغبة أبيه في تنفيذ أمر الله ﷻ، فالقدوة في التربية أسرع سبيلًا وأقصر طريقًا لامتثال الأبناء للتوجيه، فامتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله وسرعة تنفيذه جعل إسماعيل عليه السلام يمتثل أمره ويحث والده على تنفيذ الأمر.

وعدل عن أن يقول: (اذبحني) إلى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ للجمع بين الفعل وتعليله، أي: أذنت لك أن تذبحني؛ لأن الله أمرك بذلك، ففيه تصديق لأبيه، وتصديق لأمر الله فيه[(١)].

وأوثر التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾؛ للدلالة على أن الأمر متعلق به مستمرٌّ إلى حين الامتثال به[(٢)].

ثم يخبر الولد أباه بأنه ليس جازعًا من الأمر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، أي: أنه سيكون بعد فعلته من المعروفين بالصبر مبالغًا في صبره، ولِذا أوثر أن يقال: ﴿مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل مجموعًا بدلًا من (صابر) اسم الفاعل مفردًا.

وحينئذٍ استسلم إبراهيم عليه السلام لأمر رب الأنام واستعد لذبحِ ابنه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾.

والقرآن عبر عن هذا الاستسلام بطريق الإيجاز، فالكلام محذوف منه المتعلق وجواب ﴿لَمَّا﴾؛ لأن الكلام على تقدير فلما أسلما لأمر الله، وتلَّه للجبين كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما، وشكرهما لله على ما أنعم عليهما[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣/ ١٥٢).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٤/ ٤١٦).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي بتصرف (٧/ ٢٨١)، وينظر: الفوائد المشوق إلي علوم القرآن وعلم البيان، لابن النقيب (١٠٢).

وفي لحظة تنفيذ الأمر ولم يبق إلا أن تزهق الروح، ويسيل الدم، يفاجئه ربه بندائه العظيم ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ليكافأ على امتثاله لأمر ربه وتصديقه رؤيته التصديق المخلص الذي جعله يبذل في سبيل الله أي شيءٍ حتى ولو كان هذا الشيء هو فلذة كبدهِ أو نفسه.

وفي قوله: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ ﴾ اسناد هذا النداء إلى نفسه تعالى، وهذا يوحي بمدى رضا الله وإعجابه بطاعة إبراهيم عليه السلام له تعالى، وطاعة ولده له.

ويلاحظ نداء الله تعالى لإبراهيم بأداة النداء (يا) دلالة على عِظَمِ الأمر وتفخيمًا لشأنهِ، وليسرع المنادى بالامتثال والإجابة.

وأكدَ تعالى تصديق إبراهيم عليه السلام، وتنفيذه الأمر بقوله: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ﴾ حيث اقترن الفعل الماضي بـ﴿ قَدْ ﴾ وهذا يشعر بالمبالغة في تحقيق التصديق؛ إذ إن التعبير بالفعل الماضي يفيد غالبًا تحقق الوقوع وحتميته.

وأكد النص القرآني المعنى بـ(إن)، واسمية الجملة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ حتى لا يتبادر إلى الذهن أدنى شك في أن الله عز وجل يجازي المحسنين.

والتعبير باسم الإشارةِ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ للإشعار بفخامة هذا الجزاء، وتصويره بأنه جزاءٌ كبيرٌ عظيمٌ لا يقدر قدره ولا يدرك كنهه ولا مثيل له ولا حد؛ إذ إن هذا الجزاء هو جزاء الصبر على أمر من الصعوبة بمكان، فلا يخفى على أحد أن ذبح ولدٍ وحيدٍ مجلل وعصيب.

ثم يقرر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ما حدث لإبراهيم عليه السلام وابنه ما هو إلا بلاء عظيم فمن الصعب على النفس جرح الولد وإيجاعه، وليس ذبحه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾.

وجاء النص القرآني بـ﴿ إِنَّ ﴾ واسمية الجملة؛ للإشعار بأن هذا الأمر لا شك فيه ولا مراء، فما من شك أن هذا الأمر بلاء كبير لا يقوى عليه أحد.

وأكد هذا المعنى بوصف البلاء بـ﴿ ٱلْمُبِينُ ﴾، فالبلاء وضحٌ والألم كبير

ويتضح القصر في الآية حيث قصر ما حدث لإبراهيم عليه السلام على كونه بلاء مبين قصرًا حقيقيًّا، والطريق الذي استخدم في هذا القصر قليل الاستعمال، وهو: ضمير الفصل.

وقد ساعد هذا الطريق على الإشعار بعظم الأمر وفخامة القصة.

والتعبير بالفعل الماضي يشعر بتحقق الفداء، ووقوعه بشكل مؤكد، وأن هذا الأمر كتب منذ الأزل.

وتنكير ﴿ بِذِبْحٍ ﴾ يشعر بأن هذا الفداء كان بكبشٍ كبيرٍ بالغِ العِظَمِ في الحَجمِ، وأكدَ هذا المعنى بكلمة ﴿ عَظِيمٍ ﴾، ثم يشير الله عز وجل إلى منزلة إبراهيم عليه السلام، وخلود ذكرهِ، وبقائهِ إلى يوم الدين في كتابه الباقي؛ إذ تختم الآيات بقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

فقد نكر المسند إليه ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ للإشعار بعظمة هذا السلام وفخامته عظمة وفخامة لا يدرك كنهها إلا الله.

وكررَّ ذلك الجزاء مبالغةً في الثناء، ثم علَّل بأنه كان من الراسخين في الإيمان مع الإيقان والاطمئنان(١).

هذه قصة إبراهيم عليه السلام، وهو أبٌ، وقد أبرزها القرآن الكريم في شكلِ قصة في سورة الصافات الكريمة حتى يستوعبها السامع.

---

(١) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني (٣/ ٣٧)

والقصة وهي إحدى الجوانب الخصبة في الأدب العربي كانت بعض الخصائص البيانية في أسلوبِ القرآن الكريمِ إِلَّا أنه نهجَ فِيها نهجًا فريدًا، فهو يكررها بعباراتٍ متنوعةٍ، وألوانٍ مختلفةٍ؛ كقِصةِ موسى، وإبراهيم، وبعض الأنبياء عليهم السلام، وقد يجيءُ بها متكاملةً في موضِعٍ واحدٍ كَقِصَةِ يُوسُفَ عليه السلام، وأهل الكهف[1].

(١) من البعد النفسي للتذوق البلاغي لأسلوب القرآن الكريم (٢٠).

المبحث الثالث

حوار يعقوب مع ابنه يوسف عليهما السلام وخوفه عليه من حسد إخوته

يقول تعالى في سورة يوسف: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٤-٦].

هذه الآيات الثلاث تمثل قَصِة يوسف رؤياه على أبيه وهو صغير، وطلب أبيه منه أن يمتنع من قص تلك الرؤيا على إخوته، خوفًا من الحسد والكيد له، وتعبير تلك الرؤيا له، وما فيها من البشارة وحسن العاقبة، والتنبيه على عِظمِ شأنِه عند المولى عز وجل وعند الناسِ[١].

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾.

بدأ هذا الموقف بالكناية عن الوقت الذي قُصَّتْ فيه الرؤيا، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾ فكلمة ﴿ إِذْ ﴾ مع الفعل الماضي ﴿ قَالَ ﴾ إشارة إلى الوقت الذي قُص فيه الرؤيا، وهو الماضي حيث تستعمل ﴿ إِذْ ﴾ للماضي غالبًا، وليست شرطية[٢].

(١) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (١٢/ ١١٤)

(٢) لمسات بيانية، للدكتور فاضل السامرائي (١٦٥)، تفسير آية: (٨٦: الأعراف)

ويلاحظ تعريف المسند إليه ﴿يُوسُفُ﴾ بالعلمية، وذلك لأن القرآن يقصد بهذا إحضاره بعينه في ذهن السامع أو القارئ ابتداءً باسم مختص به، حتى يحدده ولا يبعد الذهن عنه.

وأُثِرت (يا) في النداء في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مع أنَّ أباه كان حاضرٌ قريبٌ منه، وذلك للإشعار بأهمية الخبر الملقى، فينزل المخاطب الحاضر منزلة الغائب المطلوب حضوره، وهو كناية عن الاهتمام[1].

ويدل على إنصات يعقوب واهتمامه بكلام ابنه أنه يحكي له الأمر حكاية المستريح الهادئ، ويقص عليه كامل الرؤيا دون ضجر من الوالد أو استعجال.

وأشار الإمام الألوسي عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ إلى أن المراد من النداء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التوقير والتعظيم، لذلك قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ولم يقل: (يا أبي)، وهذا مفهوم من إبدال الياء تاءًا؛ لأنها تدل على المبالغة والتعظيم له[2].

والرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام كانت محققةً مؤكدةً؛ إذ جاء النص القرآني مؤكدًا بأكثر من مؤكد في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾، فقد أكد النص بالجملة الاسمية، و(إِنَّ) للإشعار بأن هذه الرؤيا وقعت وقوعًا حقيقيًّا لا شك فيه ولا مراء.

وتكرار فعل ﴿رَأَيۡتُ﴾ تفخيمًا لطول الكلام[3]، وإشارة إلى ضخامة الأمر وعظمته، وهذا الإطناب كان من العوامل التي ساعدت في تأكيد أمر الرؤيا فيوسف عليه السلام بعقل الطفل الصغير رأى ضرورة لتكرار فعل الرؤيا،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ٢٠٧).

(٢) روح المعاني، للألوسي (١٢/ ١٧٨).

(٣) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ٧٢٢).

وكأنـه توقـع عليه السلام من أبيه اسـتغرابًا، أو إنـكارًا لما رآه منامًـا، ولا بدع في هذا التوقع من يوسف إن صحَّ، إِذْ كان يومئذٍ في ميعة الصِبَا.

وإيثار التعبير بالفعل الماضي ﴿رَأَيْتُ﴾ يؤازر التكرار في الإشعار بتحقق رؤياه لِما في الفعل الماضي من تحقق الوقوع.

وقدم قوله: ﴿أَحَدَعَشَرَكَوْكَبًا﴾ وأَخَّرَ كُلًّا من ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، ولـم يندرجا في عموم الكواكب؛ لإظهار مزيتهما وشرفهما[1].

كما يلاحظ تقديم الشمس على القمر في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، وذلك إِمَّا لكونها: أعظم جرمًا، وأسطع نورًا، وأكثر نفعًا من القمر. وإِمَّا لكونها أعلى مكانًا منه، وكون فلكها أبسط من فلكهِ[2].

ويلاحظ أن: وضـع (الكواكـب) في خانـة، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ في خانـة أخـرى، كان على قـدر رائع من البلاغة للدلالة على أن والدته سـوف تتوقف عن الحمل، وقد حصل، وأن زوجة أبيه وأم إخوته سـوف تكون من الهالكين قبـل زوجهـا وقبل أبنائهـا، ولو لـم يكن قد حصـل لما رأينـا الحديث عنها في الرحلة قد كان صفرًا[3].

ويتضح التصوير في قوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ حيـث شـبهت الكواكـب والشـمس والقمر بأُناس يعقلون، ثم حذف المشبه به، وذكر شيء من لوازمه، وهو: السـجود على سبيل الاسـتعارة المكنية. وهذه الاستعارة تصور الطاعة العمياء والانقياد التام من الكواكب والشـمس والقمر ليوسف عليه السلام وذلها له، مما يوحي بفضل الله العظيم عليه.

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٥)، وينظر: روح المعاني، للألوسي (١٢/ ١٧٩).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ١٧٨).

(٣) في التذوق الجمالي لسورة يوسف دراسة نقدية ابداعية، لمحمد علي أبو حمدة (٥٣).

ووصف الكواكب والشمس والقمر بجمع العاقل ﴿سَٰجِدِينَ﴾؛ لأنه جعلهم كالإنس في السجود والطواعية فجعلهم كالإنس في الجمع والتذكير[1].

وقد وصف فعل غير العاقل بوصف العاقل، وهو السجود؛ للدلالة على أنها إلهام لا مجرد أضغاث أحلام[2].

✧ والكواكب والشمس أجرام سماوية فلا يأتي منها ما يأتي من العقلاء، وقد أجراها القرآن في هذه الآية مجرى العقلاء في موضعين:

✓ **أولهما:** أعاد في قوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ﴾ حيث أعاد عليها الضمير الذي يعاد به على العقلاء، وكان حق التعبير أن يقال: (رأيتها)، وفي هذا فائدة تكرار الجمل والعبارات التي يحتاجها المحاور في حواره، وتظهر أهميته في التنبيه للاستيقاظ إذا طال الكلام وخشيت نسيان الأول، أعيد ثانية تطرية له وتجديدًا لعهده[3].

✓ **ثانيهما:** في قوله ﴿سَٰجِدِينَ﴾ حيث أجري عليه الوصف الذي من حقه أن يجري على العقلاء، وكان حق التعبير أن يقال: (ساجدة)، لا ﴿سَٰجِدِينَ﴾.

ولتوجيه ذلك طريقان:

أولهما -ذكره المفسرون- وهو: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء -وهو السجود، وإن كان سجود كل شي بحسبه ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض[4]- أجري عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير

(١) ينظر: معاني القرآن، للأخفش (٢/ ٥٨٧).
(٢) تفسير المنير، للزحيلي (١١/ ٢٠٦).
(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣/ ١٠٤).
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢١/ ٢٨٤).

شائع في كلامهم أن يلابس الشيء من بعض الوجوه، فيعطي حكمًا من أحكامه إظهارًا لأثر الملابسة والمقاربة، وهذا توجيه حسن مقبول.

ثانيهما: أن تكون رموزًا وكنايات عن عاقلين حيث صرح المفسرون بأن المراد من: (الكواكب) إخوته، (والشمس والقمر): أبواه - لما كانت كذلك - عوملت معاملتهم فأجري عليها ما جري عليهما.

والفرق بين التوجيهين: أن الأول عام يمكن أن ينتفع به في غير هذا الموضوع، والثاني خاص به دون سواه[1].

يظهر من هذا أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان غلامًا ليس كالغلمان، ولا صبيًّا كالصِبيان؛ لأن أكثر ما يُتخيَّلُ في رؤيا الصبيّ للكواكب أن يراها حواليه أو بجواره. أمَّا أن يراها ساجدةً فهذا هو العجب مما يشعر بأن هذا الصبيَّ له في المستقبل شأن عظيم. ذلك الأمر جعل أباه يحذره من أن يقص تلك الرؤيا على إخوته حتى لا يكيدوا له.

وفي الآية التالية: يحذر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ولده يوسف من قص رؤياه على إخوته خوفًا من كيدهم له؛ إذ إن الشيطان كيده واضح مؤثر.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [يوسف: ٥].

ويلاحظ أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد نادى ابنه يوسف بلفظ البنوة مصحوبًا بحرف النداء (يا) في قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ مع وجوده معه في المكان ليحفز الذهن لاستقبال النصح، والتنبيه على أن ما سيأتي مهم، وللإشارة إلى بعد منزلة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تنزيلًا لبعد المنزلة منزلة بعد المكان.

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لـ د/ عبد العظيم المطعني (١/ ٤٧٩).

وقد نادى يعقوب عليه السلام ولده بصيغة التصغير فقال ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، وذلك لأن المقام مقام شفقة وعطف وحنو.

وأُثر في التعبير صيغة النهي ﴿لَا تَقۡصُصۡ﴾، وذلك للإشعار بالقلق الزائد من الأب على الابن، فزيادة المبنى أسهمت في زيادة في المعنى (التحذير) مما يوحي بحرص ذلك الأب على نجاة ولده.

وإضافة الرؤيا إلى ضمير يوسف عليه السلام في قوله: ﴿رُءۡيَاكَ﴾، للإشعار بأن هذه الرؤيا عظيمة في مغزاها ومؤداها، وكأنها بإضافتها هذه اكتسبت الشرف والعظمة من المضاف إليه.

وتنكير ﴿كَيۡدًاۖ﴾ للتعظيم والتهويل، فيعقوب عليه السلام يعلم أن ذلك الكيد سيكون عظيمًا هائلًا لذا نكر لفظ ﴿كَيۡدًا﴾، فقال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾، ولم يقل: فيكيدوا لك الكيد، وفي هذا مزيد من النصح والتحذير ليوسف عليه السلام.

وآثر التعبير القرآني لفظ (الكيد) على لفظ (المكر) مع أنهما متقاربان في المعنى، فالمكر مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر إلا أن الكيد أقوى من المكر، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير قهرًا سواء علِمَ أو لا.

وقد أوقع أبناء يعقوب عليه السلام بأخيهم المكروه دون علمه في ما بعد؛ لذا كان لفظ (الكيد) أنسب في التعبير عن المعنى المراد.

ثم يعلل القرآن على لسان يعقوب التحذير بجملة ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾، وهذه الجملة واقعة استئنافًا بيانيًا؛ إذ إن الجملة السابقة عليها قد أثارت سؤالًا، تقديره: (لماذا يقع منهم هذا الكيد؟)، فقيل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ ...﴾، ففصلت هذه الجملة عمَّا قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال.

ولما كان يوسف متعجبًا مما أخبره به أبوه كان كمن ينكر الأمر؛ لذا تزاحمت المؤكدات على هذه الجملة ﴿إِنَّ﴾، وإسمية الجملة تنزيلًا ليوسف منزلة المنكر في أمر عداوة الشيطان للإنسان.

وتعريف المسند إليه ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ يوحي بأن يوسف يعلم تلك العداوة، وأنها هي العداوة المعهودة من الشيطان لابن آدم؛ إذ أن (ال) في قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ للعهد، وهذا يشعر بأن يوسف ليس صبيًّا كالصبيان العادية، فلا يوجد صبي يخاطب من أبيه كما خُوطِبَ يوسف عليه السلام.

وقرن التعليل بالتوجيه مناسب لسرعة الإمتثال من الأبناء عند توجيههم، فعلل يعقوب عليه السلام سبب توقعه وجود مكيدة ليوسف بسبب وسوسة الشيطان التي لا تفارق ابن آدم إلا بمنة الله عليه.

وتقديم الجار والمجرور في قوله ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾ على ﴿عَدُوٌّ﴾ يوحي بعداوة الشيطان القديمة، وملاصقته لبني آدم، فلا يفتر أبدًا عن إغوائهم وإضلالهم ولا يمل، وفي ذلك منتهى التحذير منه.

وتنكير المسند ﴿عَدُوٌّ﴾ يوحي بأن هذه العداوة من ذلك الشيطان كثيرة هائلة تستطيع أن تحرض أخًا على الكيد لأخيه، والإضرار به.

وهذا يدل على أن الأبناء معرضين لوقوع الحسد والكيد فيما بينهم مما علت مرتبتهم في الفضل، وحسن التربية، ولذلك لابد للوالدين من التنبه لهذا، وإخماد كل شرارات العداوة التي قد تكون.

ثم ينتقل يعقوب عليه السلام من تحذير ابنه إلى تبشيره بتفضيله -كتفضيل أبويه من قبل، وإتمام النعمة عليه- وأن هذا سيكون على وفق علم الله وحكمته.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٦].

صدَّر يعقوب عليه السلام قوله بكلمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى العناية الربانية المدلول عليها من الرؤيا، وكذلك جاءت لتعقد التشبيه بين الاختيارين، فالمشبه هو اختيار ربه له، واصطفاؤه على البشر، والمشبه به هو الاجتباء البعيد الذي شوهد آثاره من خلال سجود تلك الكواكب له، ووجه الشبه هو الاصطفاء والاختيار العجيب.

وذكرت ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ هنا لعقد التشبيه لما في هذا الأمر من عجب وغرابة، وهذا شأن استعمالها في التشبيه، والتشبيه يوحي بعلو منزلة يوسف عليه السلام عند ربه وارتفاع شأنه.

والمراد من التشبيه بيان المضاهاة..... أي: كما سخرت لك تلك الأجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة[١].

وفي قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ تقديم للمفعول (كاف الخطاب) على الفاعل ﴿ رَبُّكَ ﴾؛ لأن الغرض هنا -والله أعلم- بيان من وقع عليه فعل الاجتباء.

فالاجتباء واقع على سيدنا يوسف عليه السلام، وبيان هذا كان أهم عند يعقوب عليه السلام ولذا قُدِّمَ.

وآثر التعبير القرآني لفظ ﴿ يَجْتَبِيكَ ﴾ بدلًا من (يختارك) أو (يفضلك)، لأن ﴿ يَجْتَبِيكَ ﴾ مشتق من جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك[٢]، واجتباء الله

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ٨٠).
(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: "ج-ب-ى".

العبد تخصيصه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النِعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء، وبعض ممن يقاربهم من الصديقين والشهداء[1]، فمادة (جبى) تدور حول معاني الصفوة من الشيء، والاستخلاص، والاختصاص الحاصلة للمصطفى بدون أي سعيٍ منه، وهذه المعاني غالبًا ما تكون من الله لعبده، وهذه الدلالات والايحاءات لا يتحملها لفظ (يختار) أو (يفضل) لذا كان لفظ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ أنسب للمقام.

وتعريف المسند إليه بالإضافة في قوله: ﴿رَبُّكَ﴾؛ وذلك للإشعار بتشريف وتعظيم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أضفت الإضافة على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عظمة وفخامة.

والغرض من الخبر في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ إظهار الغبطة والسرور، وإدخال البشرى على قلب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإعلامه بالخير المتوقع له.

ورتب التعليم على الاجتباء؛ لأنه يكون الاختيار ثم التعليم، ذلك التعليم الذي يجعله عظيم الشأن، وليس هذا فحسب، بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُتِم نعمته ومنَّته عليه.

وآثر التعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾؛ وذلك لاستحضار مشهد التعلم واستشعار هذه المنة، وكأنها مشاهدة في لحظة الإخبار، وفي هذا من البشرى ما لا يخفى.

ويتضح التشبيه في قوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ حيث شبَّه إتمام نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومنته على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بإتمام نعمة الله على آبائه من قبل، والأداة التي عقدت الصلة بين المشبه والمشبه به (الكاف)، ووجه الشبه إتمام النعمة وكمالها وتحققها للطرفين.

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٨٧)، وانظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية (١/ ١٠٦).

وفي هـذا التشـبيه تذكيـر بفضـل الله على يوسـف وآبائه عليهم السلام مـن قبله، وإدخـال الأنـس والطمأنينـة في قلب يوسـف عليه السلام بأن مصيره سـيكون نفس مصير آبائه من الفضل والنعمة.

وقوله: ﴿أَبَوَيْكَ﴾ كناية عن الأجداد، وهذه الكناية تصور الصلاح والبركة الذين يمتدان إلى أجداد يوسف عليه السلام.

وفي التعبيـر عنهمـا بـالأب مع كونهمـا أبا جده وأبـا أبيه إشـعار بكمال ارتباطه بالأنبياء عليهم السلام، وتذكير معنى الولد سـر أبيه لِيُطَمئِنَ قلبهُ بما أُخبِرَ به[1]؛ ولأن الجد أب في استعمال العرب.

وفي قولـه: ﴿مِن قَبْلُ﴾ إيجاز بحذف المضاف إليه، والتقدير: من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه، أو من قبلك. وهذا الإيجاز يكشف عما في نفس يعقوب من رغبة قوية في تبليغ يوسـف عليه السلام بالبشـرى بأقصى سرعة ممكنة حتى ولو كان عن طريق حذف كلمة أو حتى حرف.

وقولـه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وقـع تذييلًا يقرر مضمون الجملة السـابقة ويؤكده ويحققه؛ لأن كل ما سبق يحدث على وفق مراد الله وحكمته، وهو من باب الإطناب.

وجملـة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ استئناف بيانِي، فقد أثارت الجملة السابقة عليها سؤال تقديره: كيف يتم الله نعمته على يوسف عليه السلام، فقيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ فالفصل لشبه كمال الاتصال.

....

(١) روح المعاني، للألوسي (١٢/ ١٨٨).

المَبْحَـثُ الرابع

حوار يعقوب عليه السلام مع أبنائه وعتابه لهم حينما ضيعوا أخاهم بنيامين

يقول تعالى في سورةِ يُوسُفَ: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨١-٨٧].

هـذه الآيات الكريمات توضـح الحوار الذي حـدث بين يعقوب عليه السلام وأبنائه حول السـرقةِ التي اتهم بها أخوهم، فأخوهم الذي أرسله معهم أبوهم، ووعدوه بحفظه وقد حُجِزَ منهم.

فكان هذا الأمرُ صعبًا عليهم، واستيأسوا، فأشار كبيرهم بأنْ يرجعوا إلى أبيهـم، ويخبروه بأن ابنه سـرق، وأُخِذَ بما سـرق، وما قلنا إلا مـا علمناه، وما توقعنا أن يحدثَ، لأن هذا غيبٌ، وما كُنَّا حافظين له.

يقول تعالى: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾.

ويتضح الإيجاز في الآية، وقد تحقق الإيجاز بالحذفِ، والتقدير: ارجعوا

إلى أبيكم وأخبروه بالقصةِ(١).

والمراد من الأمر في قوله: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ -فَقُولُواْ﴾ الالتماسُ، فأخوهم الأكبر يلتمس منهم أن يلقوا إلى أبيهم ذلك الخبر؛ لأنه لا يستطيع مواجهته.

ويلاحظ النداء بـ(يا)، وإضافة الأب إلى ضمير المتكلمين (نا) في قولهِ: ﴿يَٰٓأَبَانَآ﴾؛ وذلك لتذكير أبيهم بما يوجدُ بينهم وبينه مِنْ وشيجةِ دَمٍّ وآصِرةِ نَسَبٍ، لأنهم يعلمون أن ذلك الخبر قد يُنسيهُ ما بينه وبينهم، والخبر هو: عودتهم من غير أخاهم بنيامين وسرقته. وهذا ليس بالأمرِ الهينِ على أبٍ قد حُرِمَ من ابنٍ له من قبلُ.

ويأتي تعريف المسندِ إليهِ ﴿ٱبۡنَكَ﴾ بالإضافةِ ليؤكد المعنى السابق: التذكير بوشيجة الدم وآصرة النسب تعظيمًا لأبيهم وإجلالًا له، فهم يستعظمون سرقةَ أخيهم ويستنكرونها، فهم يريدون أن يقولوا أن أخيهم هذا لم يكن ابن أي أحدٍ، وإنَّما هو ابن نبي جليل، وقد رباه على الأخلاقِ والصلاحِ.

وقيل: في تعليل قولهم: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ﴾، ولم يقولوا (أخانا)؛ لأنه ليس شقيقًا لهم، أو لِكَثرةِ مَعَزَّةِ أبيهم له.

وقيل: أن الحسد لم يبق في قلوبهم شيئًا من الأخوة، فهو من التعريض بتبرئة أنفسهم من صنيعه(٢).

وقوله: ﴿سَرَقَ﴾ على الإيجازِ، والتقديرُ: إنَّ ابنك سرق في قولِ الملكِ وأصحابِهِ(٣).

(١) البحر المحيط، لأبي حيان (٦/ ٣١٣).

(٢) أورده الاستاذ الدكتور عبد الفتاح خضر في مدارسة بملتقى أهل التفسير ٢٠/ ١٢/ ١٤٢٧.

(٣) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ١٩٣)، ولا داعي لهذا التقدير لأنهم ذكروا ماظهر لهم، وهو توضيح أن سبب فقده هو أنه سجن بسبب السرقة حتى لايتهمهم بأنهم تسببوا في إيذائه.

وهذا الحذف يشعر بأن أخوة يوسف غير مقتنعين بسرقة أخيهم، فهم يعلمون جيدًا بأن تلك السرقة مزعومة، وأن أخاهم بريء من تلك السرقة. كما يكشف هذا الإيجاز عن رغبتهم القوية في إيصال فكرتهم بأقصى سرعة لأبيهم حتى يفكر معهم في حلٍ لإنقاذ أخيهم من ورطته.

ويتضح القصرُ في قولِه: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ حيث قصروا شهادتهم على الذي يعلمونه فقط. وهذا القصر قد جاء عن طريق النفي والاستثناء، وهو الذي يناسب المقام؛ إذ أن هذ المقام يحتاج إلى تأكيدٍ، والقصر يوحي بصدقهم فيما يقولون، وبراءتهم مما يظنه أبوهم من أنهم السبب في ضياعِ أخيهم، كما يشعر هذا القصر بأنهم لم يقطعوا بسرقة أخيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ احتراس، فهم يحترسون عمَّا يفهمه أبوهم من قطعهم بسَرِقَةِ أخيهم، وهو إمَّا لِقَصدِ التلطفِ مع أبيهم في نِسبةِ ابنهِ إلى السرقةِ، وإمَّا لأنهم علموا من أمانةِ أخيهم ما خالجهم الشَّكُ في وقوعِ السَرِقَةِ منهُ[1].

وتأتي الآية التي توضحُ عِلمهم بأنَّ أباهم لا يصدقهم فيما يقولون، وفيها يطلبون من أبيهم أن يسأل أهل مِصرَ بنفسِهِ، والقافلة التي كانوا فيها.

يقول تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

والمراد من الأمر في قوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ التضرع والتوسل، فهؤلاء الأبناء يتضرعون لأبيهم ويتوسلون إليه بأن يسأل أهل القرية التي كانوا فيها، ويتأكد مما قالوه له.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ٣٩).

ويمكننا القول بأن لفظ ﴿ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ به مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إِذْ أطلق المحل، وأراد الحال فيه. وهذا المجاز صور التلازم الشديد والعلاقة القوية بين القرية وأهلها بحيث يمكن التعبير بأحدهما عن الآخر.

وفي قوله: ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا﴾ مجاز بالحذفِ أيضًا، لأنّ المسئولين هنا هم أهل العِير.

وفي العدول عن الحقيقة إلى المجاز إشارة إلى ذيوعِ أمرِ السرقة واشتهارها إلى درجة أنه لو سئلت القرية والعِير -أي: الجمادات والحيوان- لنطقت بها وأجابت(١).

وجاء النص القرآني ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ مؤكدًا بإسمية الجملةِ، و(إنَّ) الداخِلة على الخبر، لأنهم يعلمون أن أباهم منكِرٌ لكلِ ما يقولون، فجاء التأكيد مطابقًا لِمُقتَضي الحالِ.

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٢].

هذه الآية استئناف بياني، ولِذا فُصِلَ بينها وبين ما قبلها؛ لأنها جواب لِسؤالٍ أُثِيرَ من الجملِ التي قالوها لأبيهم. والتقدير: ماذا قال أبوهم عندما سمع منهم ذلك)؟ فقيلَ: قال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا....﴾ الآية.

والتنكير في قوله: ﴿أَمۡرٗا﴾ يشعر بالتحقير، فأبوهم يرى أن ما فعلوه حقيرٌ، وفيهِ اتهامٌ لهم بأنهم هم الذين دبروا ذلك، كما يوحي التنكير بتكذِيبِهِ لهم، وعدمِ تصديقهم.

---

(١) علم البيان دراسة تحليلية لمسائلَ البيان، لبسيوني عبد الفتاح (١٥٨)، قلت وهذا:على القول بأن القافلة والعير هي مراده بعينها على رأي بعضهم

ويتضح الحذف في قوله: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾، ويحتمل أن يكون حذفًا للمسند إليه، والتقدير: فأمري صبر جميل، ويحتمل حذف المسند، والتقدير: فصبر جميل أجمل، والغرض من الحذف على الاحتمالين تكثير الفائدة.

وللسيوطي رأي آخر في سرِّ الحذف، إذ يقول الظاهر أن الحذف هنا لضيق المقام[1].

وسواء أكان الحذف للمسند إليه أم للمسند فقد أفاد المعنى وأضفى عليه مبالغة.

وتعريف المسند إليه بالعلمية في قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾، وذلك للتبرُكِ والتلذُذِ بإسمِ اللهِ ﷻ، وطمأنة نفسه وإدخال الأنس في قلبه.

وكلمة ﴿جَمِيعًا﴾ في قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ تشعر بثقة يعقوب عليه السلام القوية بربه، وتؤكد أن أبناءه سيعودون إليه معًا، وتمنع احتمال أن أحدهم هو الذي يأتي يعقوب والآخر لا يأتي لقوله تعالى: ﴿بِهِمۡ﴾.

وجاء النص القرآني: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ مؤكدٌ ب (إِنَّ) وإسميةِ الجملةِ، وضمير الفصلِ، وذلك لتنزيل أبنائه منزلة مَنْ يُنكِرُ علم الله وحكمته توبيخًا لهم وتبكيتًا.

ويتضح القصر عن طريق ضمير الفصل، وتعريف المسند ب(ال) في القول السابق: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ إذ قصر العلم والحكمة على الله ﷻ، والقصر يشعر بأن هاتين الصفتين مختصتان بالله ﷻ ولا تتعداه إلى غيرهِ.

ثم يأتي المشهدُ الذي يصورُ الأبُ المنكوب بصورةٍ حزينةٍ يبعدُ فيها عن

(١) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي (٢١).

أبنائِهِ، ويتفجع على يوسف عليه السلام، لأن هذا الذي حدث قد أثار أحاسيسه الكامنة، وقد كان هذا الحزن بالغًا لدرجةِ أنه ذهب بصرُهُ فتحول من مُبصِرٍ إلى أعمى.

وبين (أسفى) و(يوسف) جناس الاشتقاق، وقد أدى هذا الجناس إلى ثراء المعنى وتنبيهِ الذهنِ، كما أضفى هذا الجناس جمالًا وعذوبة رقيقة هادئة تتناسب وجو الحزن والأسى الذي يخيم على المكان.

وعطف جملةِ ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ على جملةِ ﴿ قَالَ ﴾ لما بينهما من التوسطِ بين الكمالين لاتفاقهما في الخبريةِ لفظًا ومعنى، والفاعل فيهما واحد، وقد اشتركا في تصوير ما عليه يعقوب عليه السلام من حزن وألم.

وكنى القرآن الكريم عن ذهابِ بصرهِ وعماه بقولِهِ: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ ﴾، وهذه الكناية تصور مدى الألم والحزن الذي كم قاساه، وكمية البكاء الذي بكاه يعقوب عليه السلام بسبب فراق أبنائه.

ويأتي التصوير الاستعاري في قوله: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ حيث شبَّه قلبه المليء بالحزن على يوسف عليه السلام بالقربةِ الممتلئة بالماءِ، وشبَّهه في صبرهِ، وتركهِ الشكوى إلى غيرِ اللهِ برابطٍ ربط على فم القربة المليئةِ بالماءِ، حتى لا يخرج منها شيء، وهذا هو معنى الكَظْمِ[1] على سبيل الاستعارةِ التصريحيةِ، وهذه الاستعارة تصور مدى الحزنِ والضِيقِ في صدرِ يعقوب عليه السلام ومدى صبرهِ بحيث يجعله كالرابطِ على صَدرِهِ.

وعلى الرغم مما حدث لأبيهم من حزنٍ بالغٍ إلا أن حِقدهم منعهم من أن يخففوا عن أبيهم، بل قالوا له ما يدل على حَنقهم، وضِيقِهم من ذكره ليوسف عليه السلام.

---

(١) القرآن إعجازه وبلاغته، لـ د/ عبد القادر حسين (٨٤).

يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ [يوسف: ٨٥]

تبدأ الآية بالقسم ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ ﴾، وهو على الإيجاز بحذف حرفٍ، والتقدير: تالله لا تفتأُ.

وتقدير (لا) هنا مقصود، وسوغ حذفها لزوال اللبس، إذْ لو أريد الإثبات لقال (لتفتأنَّ)، فلمَّا لم يؤكد دلَّ على إرادةِ النفي، فقُدّر حرفه[(١)].

لكن الدكتورة عائشة عبد الرحمن ترى: أن تقدير الحرف هنا لا معنى له؛ لأنه متى جاء السياق والمعنى واضح مستغنًا عن الحرف المحذوف، فتقديره أو تأويله فضول من القول، فهي تقول: "والذي نفهمه أنه متى أطرد الحذف فالسياق حتمًا مستغنيًا عن المحذوف، ولا وجه إذن لتقدير الحرف، وكان ذكره من الفضول أو الحشو الذي يتنزه عنه الكلام البليغ، فضلًا عن البيان المعجز".

وهذه الآية تحوي فنًّا بديعًا جميلًا، وهو المسمَّى بـ(ائتلاف اللفظ مع المعنى)[(٢)].

إذ إنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لما أتي بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة لأخواتها، -فإن (التاء) أقل استعمالًا، وأبعد عن أفهام العامة، و(الباء والواو) أعرف عند الكافة، وهي أكثر دورانًا على الألسنة واستعمالًا في الكلام- أتى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها، فإن (كان) وما قاربها أعرف عند الكافة من (تفتأ)، وهم لـ(كان) وما قاربها أكثر استعمالًا منها.

(١) الإكسير في علوم التفسير، للطوفي البغدادي، (٢٢٥)

(٢) ائتلاف اللفظ مع المعنى: "هو أن تكون ألفاظ المعنى المراد متلائمة بعضها مع بعض ليس فيها لفظة نابية أو قلقة على أخواتها بحيث يمكن استبدالها"، إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين الدرويش (٥/ ٣٧).

وكذلك لفظ (حرضًا) أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخيًّا لِحُسنِ الجوار[(١)].

والأبناء يقصدون من قَسَمِهم هذا أن ينكروا على أبيهم تَذَكُرِهِ المستمر ليوسف عليه السلام، وأتوا بفعل ﴿ تَفۡتَؤُاْ ﴾؛ للدلالة على ذلك الاستمرار، وقد بلغ الإعجاز في هذه الآية مبلغًا عظيمًا لدرجة جعلت العلماء يتفننون في القول عنها.

فها هو أبو الهلال العسكري يقول عن هذه الآية: "تحير في فصاحته جميع البلغاء، ولا يوجد مثله في كلام البشر"[(٢)].

وها هو عبد الكريم الخطيب يقول مبينًا الإعجاز فيها: "هل تجد نبرة تخدش أذنك، واقرأها فهل تجد حرفًا يتعثر على شفتيك أو يضطرب في لسانك، وانظر في هذه الكلمات..... واقرأها مفردة، ثم اقرأها مجتمعة (تالله، تفتأ، حرضًا) إنها من غير شكٍ ثقيلةٌ على الأذن، وعلى اللسان".

ولكنها حين أصبحت في نظم قرآني خفَّ ثقيلها ولان يابسها، وسلس جماحها، وانقاد وذل نافرها، فإذا هي عارية عرائس مجلوة تخطر في روضٍ نضيرٍ! ولكأنَّ القرآن قد تخير عن عمدٍ هذه الكلمات الثلاث، وجاء بها من أجل ثقلها هذا ليقيم فيها شاهدًا من شواهد إعجازه[(٣)].

وحينما قالوا له قولتهم السابقة المشتملة على قَسَمِهم الذي يدل على حنقهم وحقدهم ردَّ يعقوب عليهم بأنه يشكو حزنه وهمه إلى الله وحده، لأنه هو الذي يعلم ما بداخلهِ.

---

(١) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٧٧، ٧٨).
(٢) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، (١٩٦).
(٣) إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، لعبد الكريم الخطيب (٢٧١)، وإن كان لا يوافق على لفظ (عمد) كون ألفاظ القرآن جاءت مقصودة بحروفها ومعانيها ومواضعها.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

ويتضح القصر في الآية حيث قصر يعقوب عليه السلام بثه وشكواه على الله قصرًا حقيقيًّا، وذكرت ﴿إِنَّمَآ﴾ دون النفي والاستثناء مثلًا، لأن شكوى يعقوب عليه السلام إلى الله وحده أمر مألوف ومأنوس في النفس ومتوقع منه عليه السلام في الظروف التي مر بها، وهذا الأصل في القصر بـ﴿إِنَّمَآ﴾، والقصر يصور احتياج يعقوب عليه السلام الشديد إلى ربه، وأنه لا يشكو أبدًا إلى غيره.

وقد ذكر بعض أهل اللغة[١] أن يوجد مماثلة بين قوله: ﴿بَثِّي﴾ ﴿وَحُزۡنِيٓ﴾ فـ﴿بَثِّي﴾ قال في معناه ابن عباس: "همَّي"، وقيل: أشد الحزن[٢].

وقد أعقب كلامه بقوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ لينبههم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلموه أو يلوموه[٣].

وقوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ تعريض بوقوع ما يُعْتَقَدُ أنه محال من عودة يوسف عليه السلام وأخيه.

وقد عدَّ ابن أبي الإصبع هذه الآية من الضرب الأول من الانسجام، فهو يقول: "فأنت ترى سهولة هذا النظم، وعذوبة هذه الألفاظ، وما في هذا الكلام من الانسجام مع ما فيه من التعطف في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، و﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾، وهو أوجز من الأول؛ ليأتي في الكلام تعطف يزيده حسنًا، وفيه زيادة خضوع وترقيق مع تمكين فاصلة الآية"[٤].

(١) **المماثلة:** هي تماثل الألفاظ في المعنى مع اختلاف اللفظ. انظر: بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (١٠٧). وقد أنكرها بعض المحققين، لأن كل لفظ في القرآن له دلالته المستقلة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٤٨٠).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ٤٥).

(٤) بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (١٦٦).

ثـم بعد ذلك يوجه يعقوب عليه السلام أبناءه لكـي يبحثوا عن أخويهم واثقين بـالله ورحمتـه غير يائسـين مـن روح الله؛ لأنه لا ييـأس من رحمتـه إلا الذين يكفرون به تعالى.

فقـال لهـم: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وناداهـم بلفظ البنوة إظهارًا للشـفقةِ والحب، على الرغم مما فعلوه فيه من ضياع ولديه، ليكون أدعى في القبول والامتثال.

وهذا يثبت أن قلوب الآباء لا تزال تمتلئ بالشـفقة والعطف على الأبناء مهما فعلوا أو اقترفوا.

والمراد من الأمر في قوله: ﴿ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ ﴾ التوجيه والإرشاد، فيعقوب عليه السلام يوجههم ويرشـدهم إلى البحث عن أخويهم، وتلمسهما، والعودة بهما. وهذا يشـعر بعدم تسـليمه عليه السلام بكلامهم القديم من أن يوسف قد أكله الذئب، وأن إنـكار أبنائه السـابق في قوله: ﴿ تَاللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ لـم يترك عنده أثرًا، ولم يثبط إحساسه بأنهم إليه عائدون.

والمـراد مـن النهـي في قولـه: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ بـث الأمل وشـعور بالثقة، فهو يرشدهم إلى الثقة بالله، وعدم اليأس من فرجه أبدًا.

ووصـل جملة ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾ بجملـة ﴿ فَتَحَسَّسُواْ ﴾ وذلك لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الإنشائية لفظًا ومعنًى، والفاعل فيهما واحد وهـو الضمير العائـد إلى أبناء يعقـوب عليه السلام، والجملتان تشـتركان في تصوير الأمل الذي أراد يعقوب عليه السلام أن يبثه في نفوس أبنائه.

وفي هـذا فائـدة تربوية بأن يفسـح للأولاد مجال في تصحيـح إخطائهم، وكأنَّ ردهم السابق يحتاج إلى زيادة تحرٍ وتدقيق ليحصلوا المطلوب.

وواضح ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

مـن قصر فهـو يقصر اليأس مـن روح الله علـى الكافرين قصـرًا حقيقيًّا طريقـه النفي والاسـتثناء، وفي هذا القصـر تخويف وتحذير لأبنائـهِ من نتيجة اليأس من رحمة الله.

وفصل بين جملة ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ...﴾ عمَّا قبلها لشـبه كمال الاتصال؛ لأن الجملـة التي قبلها قد أثارت سـؤالًا تقديره: (لمـاذا لا تيأس؟) فقيل: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ...﴾ إلخ.

....
....

الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث مع التوصيات والمقترحات:

١- الحـوار ليس سـمة للمجتمع البشـري فقط، بل قـد كان حاضرًا في خطاب الله تعالى مع الملائكة، وحتى مع إبليس والمخلوقات.

٢- لا تتبدل لغة الحنان والعطف من الآباء للأولاد مهما كانت الظروف والمواقف.

٣- يقـوم حوار الآباء مع أولادهم على أسـاس حفظ كرامة الابن مهما كان تصرفـه سـيئًا، ويتضح مـن خلال حوار نوح مـع ابنه الكافـر الذي مازال يتحنن عليه، ويناديه بنداء البنوة.

٤- القـدوة مطلـب للتأثيـر والتربية، ويتضـح جليًّا من خـلال النظر في توجيهات الأنبياء عليهم السلام في حواراتهم.

٥- بث الأمل بالله وحده، وإسناد الأمور كلها للخالق الواحد المتصرف يثبت أركان العقيدة الصحيحة في نفوس الأبناء كما فعل يعقوب في كل مواقف الضنك التي مر بها.

٦- الحـوار من أسـرع وأنجع طـرق التعليم والتواصـل المثمر وتغذية العقل بالفهم الصحيح لمجريات الأحداث وحقائق الأمور.

وتوصي الدراسة بـ:

١- الاهتمام باستخراج الأسرار والدلالات البلاغية في القرآن الكريم؛ لإبراز روعة وعظمة التعبير القرآني.

٢- عدم التكلف في استخراج السر البلاغي، فالقرآن لا يحتاج إلى التكلف؛ لأن القرآن غني بألفاظه الموجبة، ومعانيه المعجزة.

٣- دراسة منهج القرآن في توطيد علاقة الأولاد بالآباء من خلال توجيهات القرآن وأسرار خطابه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. «أساس البلاغة». الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. تحقيق: عبد الرحيم محمود، د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٣. «أساليب البيان والصور القرآنية». د.محمد إبراهيم شادي. د.ط، دار وافي الإسلامية، ١٩٩٥.

٤. «أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا». د.عبد الغني محمد سعد بركة. د.ط، القاهرة: مكتبة وهبة، د. ت.

٥. «إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها». عبدالكريم الخطيب. د.ط، دار الفكر العربي ومطابع دار الكتاب العربي، ١٩٦٤.

٦. «الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ – دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن». د/ محمد الأمين الخضري. د.ط، مطبعة الحسيني الإسلامية، د. ت.

٧. «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق». د.عائشة عبدالرحمن. د.ط، دار المعارف، د.ت.

٨. «الإكسير في علوم التفسير». الطوفي البغدادي. تحقيق: د. عبد القادر حسين، د.ط، دار الأوزاعي، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٩. «البحر المحيط». أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

١٠. «البعد النفسي للتذوق البلاغي لأسلوب القرآن الكريم». أ.د. عبدالرحيم محمود زلط. د.ط، د.ن، د.ت.

١١. «البيان بين عبد القاهر والسكاكي». د.علي البدري. د.ط، دار السعادة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٢. «التبيان في إعراب القرآن». للعكبري. تحقيق: علي محمد البيجاوي، د.ط، إحياء الكتب العربية، د.ت.

١٣. «التحرير والتنوير». ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت.

١٤. «التعبير الفني في القرآن الكريم». د. بكري شيخ أمين. د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٤م.

١٥. «الجامع لأحكام القرآن». القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد. د.ط، دار الشعب، د.ت.

١٦. «الجمان في تشبيهات القرآن». ابن ناقيا البغدادي. تحقيق: د. مصطفي صادق الجويني. د.ط، د.ن، د.ت.

١٧. «الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه». د/ منى إبراهيم اللبودي. ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٨. «الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية». محمد إبراهيم عبد العزيز. د.ط، مكتبة الشروق، د.ت.

١٩. «الصناعتين». العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. تحقيق: علي محمد البجاوي. د.ط، د.ن، ١٣٧١هـ.

٢٠. «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان المنسوب خطئًا لابن القَيِّمِ الجوزية». تحقيق جماعة من العلماء. د.ط، دار الكتب العلمية، د.ت.

٢١. «القامـوس المحيط». الفيروز أبادي، مجـد الدين محمد بن يعقوب. ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٢. «الكشَّـاف عن حقائـق التنزيل وعيـون الأقاويل في وجـوه التأويل». الزمخشـري، محمود بن عمر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤٣٠هـ.

٢٣. «المطول في شـرح تلخيص المفتاح». التفتازاني، سعد الدين التفتازاني. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. د.ط، دار الكتب العلمية، د.ت.

٢٤. «المعجم الوسيط». مجمع اللغة العربية. د.ط، د.ن، ٢٠٠٤.

٢٥. «بحث التكـرار في القرآن الكريم مظاهره وأسـراره». المهدي، كمال محمد. مجلة الزهراء، (٨)، ١٤١٠ - ١٩٩٠، ٢٠٢.

٢٦. «بديع القرآن». ابن أبي الإصبع المصري. تقديم وتحقيق: د. محمد حفني شـرف. د.ط، مصر: دار النهضة، د.ت.

٢٧. «تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار». محمد رشيد رضا. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٢٨. «تفسـير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن كثير القرشـي الدمشقي. تحقيق: سامي السلامة. د.ط، دار طيبة، د. ت.

٢٩. «تفسير المراغي». د.ط، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٣٠. «تفسير المنير». د/ وهبه الزحيلي. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١١ هـ - ١٩٩١.م.

٣١. «حاشية الشهاب علي تفسيرِ البيضاوي». د.ط، بيروت: إحياء التراث العربي، د.ت.

٣٢. «حجة القراءات». أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٣. «خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية». د. عبد العظيم المطعني. د.ط، وهبة، ١٩٩٢.

٣٤. «دلالات التراكيب دراسة بلاغية». د/ محمد محمد أبو موسى. ط٢، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

٣٥. «دلائل الإعجاز». الجرجاني، عبد القاهر. تحقيق: الشيخ محمود شاكر. د.ط، القاهرة: دار المدني، د.ت.

٣٦. «شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان». السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. د.ط، مصر: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٣٧. «صحيح مسلم». مسلم بن الحجاج. تحقيق: نظر محمد الفاريابي. د.ط، دار طيبة، د.ت.

٣٨. «صفوة التفاسير». الصابوني، محمد علي. د.ط، دار الصابوني، د.ت.

٣٩. «علم البيان دراسة تحليلية لمسائلَ البيان». بسيوني عبدالفتاح فيود. د.ط، مؤسسة المختار للنشرِ والتوزيعِ ودار المعالم الثقافية الإحساء للنشرِ والتوزيعِ، ١٤١٨هـ.

٤٠. «علم البيان». د عبدالفتاح لاشين. د.ط، د. ن، ١٩٩٥م.

٤١. «في التذوق الجمالي لسورة يوسف». أبو حمدة، محمد علي. د.ط، عمان: دار البشير، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

٤٢. «لسان العرب». ابن منظور. تحقيق: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، د.ط، بيروت: دار صادر، ودار لسان العرب، د.ت.

٤٣. «معـاني القـرآن». الأخفش. تحقيـق د. عبد الأميـر محمد أمين الـورد. د.ط، عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥.

٤٤. «معجم الألفاظ والأعلام القرآنية». د.ط، د.ن، د.ت.

٤٥. «معجـم الألفـاظ والعـلام القرآنية». محمد إسـماعيل إبراهيـم. د.ط، بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.

٤٦. «مفـردات في غريب القرآن». الراغب الأصفهاني، الحسـين بن محمد بن المفضل. تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٤٧. «من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة». د./ عبد الفتاح لاشين. د.ط، الرياض: دار المريخ للنشر بالرياض ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الثالث

الاستفهام الإنجائي في الحوار القرآني
"دراسة تأصيلية" تطبيقية

الباحث: د / حامد بن راضي بن مصلح الروقي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن- كلية القرآن الكريم- بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- حصل على درجة **الماجستير** من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
بأطروحته: تفسير القرآن بالقرآن من بداية المائدة إلى نهاية التوبة...
- حصل على درجة **الدكتوراه** من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
بأطروحته: تحقيق المحرر الوجيز لابن عطية من بداية غافر إلى نهاية الحجرات.

أهم النتاج العلمي:

- بحث الحجج التي أبطلها القرآن.
- نصوص من الناسخ والمنسوخ للإمام أحمد جمعًا ودراسة.
- تقوية الآثار الغريبة بلغة العرب صحيفة الضحاك انموذجًا.

البريد الإلكتروني: *hamad_alroga@hotmail.com*

مستخلص البحث

لقد دار هذا البحثُ حولَ تحديد معنى مصطلح (الاستفهام الإلجائي) الوارد في القرآن، وذلك من جهتين:

- **الجهة الأولى:** الجهة التأصيلية؛ وذلك بتعريف المصطلح لغة واستعمالًا، وذِكر أساليبه، وثمراته.
- **الجهة الثانية:** الجهة التطبيقية؛ حيث تم دراسة ٢٠ موضعًا من المواضع التي ذكر فيها العلماء أنَّ فيها استفهامًا إلجائيًّا.

وقد كان البحثُ من الأهمية بمكان من جهة حاجةِ الباحثين في علم التفسير إلى تحرير جميع المصطلحات الواردة في هذا العلم، وهذا المصطلح لم أجِد مَن تحدَّث عنه بالتفصيل لا في كتب علوم القرآن وأصول التفسير ولا في كتب البلاغة، فأحببتُ أن أجمع ما كُتِبَ عنه في مكان واحدٍ.

وقد كان مِن نتائج البحث:

- أنَّ الاستفهام الإلجائي مستعملٌ من قِبَل طائفة من المفسرين ليست بالقليلة من لدن الإمام الطبري إلى عصرنا اليوم.
- في الاستفهام الإلجائي نوعُ إفحامٍ، فلأجل ذلك يجب الاهتمام به في المجادلات.
- من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام التي جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- بلغت عدد المواضع المدروسة (١٨) موضعًا.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، الإلجاء، الحوار القرآني.

مجلة تدبر

Compulsory Question in the Qur’anic Dialogue: a Thorough Applied study

Prepared by:

Dr. Hamid bin Radi bin Muslih Ar-Rouqi

Assistant Professor at the Department of Tafsir and the Qur’anic Sciences, the College of the Noble Qur’an, the Islamic University of Madinah

Email: hamad_alroga@hotmail.com

Summary:

This research deals with the meaning of the term “compulsory question” in the Noble Qur’an, from two aspects:

The first detailed aspect is based on the linguistic and technical definition of the term in question, its methods and advantages.

The second applied aspect explores twenty instances of compulsory question according to the views of the scholars concerned.

The research is of paramount importance, especially because the researchers of the Science of Tafsir are badly in need of editing all the related terms. As far as I know, no one discussed this term in detail neither in the Qur’anic sciences, the Principles of Tafsir nor rhetoric. That’s why I like to collect all that was written about it in this very study.

Findings of the Study:

- Compulsory question is used by a group of exegetes, from the time of Imam Al-Tabari until now.

- Compulsory question is confutative, and thus more attention should be focused on it with respect to polemics.

- It is noticeable that this method is frequently used in the verses of the chapter of Al-An'ām to establish the sound Islamic faith.

- The places studied number 18.

Key words: question, compulsion, Qur'anic dialogue.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمـد لله أحمده وأَسـتعينه، وأُصَلِّي وأُسَـلِّم علـى المبعوث رحمة للعالمين...

أما بعد:

فهذا بحثٌ لطيفٌ، بَحَثَ عبارةً تكررت في بعض كتب التفسير في مواطن عدة وفي كتب مختلفة، أراد أن يُبيِّن حقيقتها، ومراد العلماء المستخدمين لها.

وذلك أنَّ المصطلح إذا استُخْدِم على طريقةٍ ومنوالٍ غير معهودين، كان لا بُدَّ من بيانه وتحريره، وتوضيحه للقارئين؛ لئلا يشـكل عليهم بمصطلحات أخرى، أو بمعانٍ لغوية غير مقصودة.

والمصطلـح الـذي قد تَكـرر في مواطن مـن كتب التفسـير هو مصطلح **(الإلجاء)** المسـتخدم في مواضع اسـتُخدم فيها الاستفهام في القرآن الكريم في معرض الحوار القرآني الكريم، فكان المراد من هذا البحث القيام بدراسة هذا المصطلح من جهتين:

- **الجهـة الأولى:** الجهة التأصيليـة؛ وذلك بتعريف هذا المصطلح من الناحيـة اللغوية والاسـتعمالية، وذكر أسـمائه وعلاقته ببعـض المصطلحات الأخرى المستخدمة في أنواع الاستخدام، وأساليبه، وثمراته.

- **والجهـة الثانيـة:** الجهـة التطبيقية؛ وذلك بجمـع مواضعه في القرآن الكريم، ودراسـة هـذه الآيات بجمع أقوال المفسـرين فيهـا، ونحو ذلك مما يتعلق بموضوع الدراسة والبحث.

وذلـك لكـي لا يبقـى هـذا المصطلح محـلَّ اسـتفهام واستشـكال من الباحثين والمتخصصين والقارئين.

وقـد جاء هـذا البحثُ بعنوان **(الاسـتفهام الإلجائي في الحـوار القرآني: دراسة تأصيلية تطبيقية)**.

أسـأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُتَمِّم بالخير، وأن يعين على إتمام المراد، إنه القادر على كل شيء، وبه المستعان وعليه التكلان.

موضوع البحث:

دراسة أسلوب الاستفهام الإلجائي في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

عدم وجود البحوث الشافية حول هذا الأسلوب المستخدم في القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

- ما معنى الاستفهام الإلجائي؟
- ما مواضع استعماله؟
- ما ثمرات استخدامه؟
- ما المواضع القرآنية التي استُخدم فيها هذا الأسلوب؟

حدود البحث:

بلغت عدد المواضع التي تمت دراستها في هذا البحث ثمانية عشر موضعًا.

مصطلحات البحث:

الاستفهام – الإلجاء – القرآن الكريم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ – الاسـتفادة من هذا الأسـلوب القرآني الذي يُلجئ غير المؤمنين إلى

الإقرار بصحة المسائل الإيمانية، وبالاعتراف بما لا سبيل إلى جحده، بحسب المقام الذي خُوطِبوا فيه، كإقرارهم بالربوبية التي تدل على الإقرار بالألوهية، ونحو ذلك.

٢- تحرير معنى بعض المصطلحات والألفاظ المستخدمة في كتب التفسير، والذي قد لا يُتَنَبَّه له بسبب عدم كثرة دورانه؛ مثل مصطلح **(الإلجاء)**.

٣- عدم وجود البحوث السابقة التي تتحدث عن هذا الموضوع، فأردت إثراء المكتبة الإسلامية ورَفْد متخصصي التفسير بهذا البحث اللطيف.

٤- توجيه أنظار الباحثين إلى وجود مصطلحات في كتب التفسير، لا يكثر تداولها، ويقل تكرارها، وهي صالحة للبحث؛ لتحرير هذا المصطلح، ومَن يستخدمه، وما المصطلحات المرادفة له... إلخ.

٥- زيادة فهمنا للقرآن الكريم، ولماذا استُخْدِمَت هذه الأساليب في هذه المقامات، وأيضًا ليستفيد منها المسلمون في محاوراتهم مع غيرهم من أصحاب التوجهات الأخرى؛ في سبيل إقناعهم، ومحاورتهم بالتي هي أحسن.

٦- بيان نوعٍ من أنواع البلاغة المستخدمة في القرآن الكريم.

٧- لاحظَ الباحث أثناء تدريسه مقرر التفسير ورود هذا الأسلوب الاستفهامي في أكثر مِن موطن، مِمَّا جذبه لدراسته.

٨- أسلوب **(الاستفهام الإلجائي)** الذي لا يترك للخصم مجالًا للحجَّة والبرهان؛ هو أسلوب لم يدرس كثيرًا، ولم يُطَبَّق على آيات الاستفهام الإلجائية في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لـم أجد -بعـد البحث والاطّـلاع- أي كتابـةٍ سـابقةٍ متخصصة في هذا الموضوع، إلا ما هو موجود في ثنايا كتب التفسير المختلفة. وقد تمت مراجعةُ كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومعاني القرآن، وكتب البلاغة عمومًا.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستفهام لغةً، واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الإلجاء لغةً، واصطلاحًا.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماؤه.

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

المطلب الثالث: ثمرات الإلجاء.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس، والمشتملة على:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سينهج البحث نهجًا تأصيليًّا لتأصيل مفهوم الاستفهام الإلجائي، ثم نهجًا استقرائيًّا لاستقراء جميع المواضع وتحليلها بحسب ما يُحتاج إليه من الأدوات التي يحتاجها المفسر.

وسيتبع البحث ما يلتزم به الباحثون في العرف الأكاديمي أثناء كتابة البحوث المحكمة، مثل:

- الالتزام بكتابة البحث بالإملاء الحديث، ومراعاة علامات الترقيم.
- الالتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وفق أحد برامج النشر المكتبية.
- الالتزام بخدمة البحث من جميع النواحي المحتاج إليها، تعليقًا، وشرحًا، وفهرسةً، ونحو ذلك.

التمهيد

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: الاستفهام لغةً واصطلاحًا.

الاستفهام لغةً:

طلب الفَهم. واستَفْهَمه: سأله أن يُفهِمه. واستَفْهَمني الشيءَ فأفهمتَه وفهَّمتَه تفهيمًا[(١)].

والاستفهام اصطلاحًا:

إنَّ الاستفهام في اصطلاح علماء اللغة والمفسرين داخلٌ ضمن الإنشاء الطلبي.

ومِن المعلوم أنَّ كلام العرب ينقسم إلى قسمين: إخبار، وإنشاء.

والإنشاء نوعان: طلبي، وغير طلبي. وكلا النوعين تحته أنواع.

ويعتبر الاستفهام من أنواع الإنشاء الطَّلبي.

والأصل في الاستفهام أنَّه: طلَبُ الإفْهامِ والإعْلامِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِم[(٢)].

وقد يُقال في تعريفه: طلبُ خبرِ ما ليس عندك[(٣)].

وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصليِّ له؛ فيكون المستفهِم لا يُريد فهم شيء أو معرفة شيء لا يعلمه، وإنما يريد شيئًا آخر، ويُسْتَدَلُّ على المعنى الآخر المراد بالقرائن القوليَّة أو الحالية[(٤)].

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٣٨).
(٢) البلاغة العربية، للميداني (١/ ٢٥٨).
(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي (ص٧٨).
(٤) البلاغة العربية، للميداني (١/ ٢٥٨).

وفيما يلي هذه المرادات مجملةً في النقاط الآتية على سبيل الاختصار[(١)]:

١- **استفهام الإنكار والنفي**، كقوله سبحانه: ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩]؛ أي: لست تنقذ من في النار.

٢- **استفهام التقرير**، ويطلب بهذا الاستفهام حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، كقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢]؛ أي: أنا ربكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]؛ أي: الله كافي جميع عباده. فليس المراد في الآيتين حقيقة السؤال، وإنما حمل العباد على الإقرار بربوبية الخالق، وكفايته لخلقه.

٣- **استفهام التوبيخ**، كقولـه تعالـى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٥].

٤- **استفهام التعجب**، كقوله تعالـى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨]، ونحوه قوله سبحانه: ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [النمل: ٢٠].

٥- **استفهام العتاب**، والمراد منه معاتبة المخاطَب على فعلٍ ما، كقوله تعالـى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[(٢)]. ومنه قوله سبحانه معاتبًا رسوله ﷺ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣].

---

(١) ومن أراد التوسع فلينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٣٢٨)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ (٤/ ٢٣١٩، ح٣٠٢٧).

٦- استفهام التذكير، والمراد بهذا الاستفهام تذكير المخاطَب بأمرٍ ما، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٣٣]. وعلى هذا النحو قوله سبحانه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

٧- استفهام الافتخار، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، قصد فرعون بذلك الافتخار على موسى عليه السلام.

٨- استفهام التهويل والتخويف، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٣]، ومنه قوله سبحانه: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٥٠].

٩- استفهام التفخيم، وهو استفهام يراد منه تفخيم أمرٍ ما، كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩]؛ أي: ما الذي أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]؛ أي: إن شأنهم عظيم عند الله.

١٠- استفهام التكثير، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٦]، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء. وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

١١- استفهام التسوية بين أمرين، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]؛ أي: إنذاركم وعدمه سواء.

١٢- استفهام الأمر والطلب، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي: انتهوا؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: "انتهينا يا رسول الله"[(١)]. ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]؛ أي: أسلموا.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٣٧٨)، وأبو داود في سننه (٣/ ٤٤٤، ح٣٦٧٠)، والنسائي في سننه (٨/ ٢٨٦)، ونقل ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٩) عن ابن المديني: "هذا إسناد صالح صحيح".

١٣- **استفهام التنبيه والتفكر**، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، والمعنى في هذا ونحوه: انظر بفكرك في هذه الأمور، وتنبه لما تحمله من دلالات وإرشادات. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة:١٣٠].

١٤- **استفهام الترغيب**، وهو استفهام يراد منه الترغيب في فعل أمرٍ ما، كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة:٢٤٥]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف:١٠].

١٥- **استفهام النهي**، كقوله تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٣]؛ أي: لا تخشوا الكفار. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار:٦]؛ أي: لا تغتر.

١٦- **استفهام الدعاء**، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ أي: لا تهلكنا. وجعل بعضهم من هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة:٣٠]؛ أي: لا تجعل في الأرض من يفسد فيها؛ إذ هم لم يستفهموا؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

١٧- **استفهام التمني**، كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مُنظَرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]، فهذا منهم على جهة التمني والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

١٨- **استفهام الاستبطاء**، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨]، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ [الإسراء:٥١]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

١٩- استفهام التحضيض، بمعنى الحض على فعل ما، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، والمراد: التحضيض على التوبة والصدقة والترغيب فيهما. ونحو ذلك قوله سبحانه: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ ﴾ [النور:٢٢].

٢٠- استفهام التجاهل، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠]، قالوا ذلك على سبيل التجاهل والوقاحة. ومنه قوله سبحانه: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ:٧]، يعنون به النبي ﷺ، والتعبير عنه ﷺ بذلك من باب التجاهل.

٢١- استفهام التحقير، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢١]، فالمراد من الاستفهام هنا تحقير هذه الآلهة. ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء:٧٠]، استفهام بمعنى التحقير.

٢٢- استفهام الاستبعاد، كقوله سبحانه: ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات:١٧]، والمعنى: أيُبعث أيضًا آباؤنا؟ على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل؛ ونحوه كقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥].

٢٣- استفهام التهكم والاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧]، قالوا له ذلك على سبيل التهكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، إذ لا مشاركة بينهم وبين الله في العلم حتى يسأل: أهم أزيد علمًا أم الله؟ ولكن ذلك على سبيل التهكم بهم والاستهزاء.

٢٤- استفهام الإخبار، كقوله تعالى: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [النور:٥٠]، فالآية تخبر عن المنافقين، وأن أمرهم لا يخرج عن أن يكون في قلوبهم مرض لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون

أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١].

ومن المهم أن تعلم أن المفسرين قد يختلفون في بعض مواضع الاستفهام فيرجح بعضهم معنى، ويرجح آخر معنى غيره؛ لدليل يصلح لهذا الترجيح. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه:١٧]، فقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام هنا على أنه للتقرير، وحمله ابن عاشور على أنه للتنبيه[١]، فتأمل، ولا يفوتنَّك هذا.

المطلب الثاني: الإلجاء لغة واصطلاحًا.

❑ الإلجاء لغة:

مأخوذ من يلجأ: يعوذ، وفعله لجأ ولجئ يلجأ، والتجأ، وألجأه إلى الشيء: اضطره، وألجأه: عصمه، والملجأ: المعاذ، وجمعه: ألْجاءٌ[٢].

فالإلجاء يأتي لثلاثة معانٍ:

✓ **المعنى الأول: معنى الاضطرار إلى الشيء والقَسْرُ والتضييق والحاجة إليه،** وهو المعنى الأشهر، والنصوصُ عن العلماء كثيرة في هذا المعنى، أذكر منها ما يلي:

قال الخليل: "ألجأنا الأمرُ إلى كذا؛ أي: اضطرني إليه"[٣].

(١) وممن حمله على التقرير: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢/ ٢٤٨)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٩٢)، ومكي في الهداية (٧/ ٤٦٢٥) وغيرهم. وانظر كلام ابن عاشور في: التحرير والتنوير (١٦/ ٢٠٧).

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١/ ٥٥١).

(٣) العين، للفراهيدي (٦/ ١٧٨). وانظر أيضًا: إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١/ ٥٥١)، وتهذيب اللغة، للأزهري (١١/ ١٣١)، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء، للعسكري (١/ ١١٥)، ومختار الصحاح، للرازي (ص٢٧٩).

وقال الزبيدي: "ألجأه إلى كذا: اضطره إليه وأحوجه"[١].

فعلى هذا يكونُ الإلجاءُ عكسَ الاختيار[٢].

✓ **والمعنى الثاني: إسناد الأمر إلى الغير.**

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده وفوضه"[٣].

وجاء في القاموس الفقهي: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده"[٤].

✓ **والمعنى الثالث: حماية الشخص.**

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ الشخصَ: حماهُ من مكروه"[٥].

❑ الإلجاء اصطلاحًا:

قبل أن نُبَيِّن معنى (الاستفهام الإلجائي) لا بُدَّ أن يتضح لنا معنى الإلجاء في اصطلاح علماء أصول الدين والفقهاء والمفسرين؛ حيث إن مُصْطلح الإلجاء يستخدم في هذه العلوم على معنيين، لا بُدَّ من تبيينهما لأنَّ معنى (الاستفهام الإلجائي) يرجع إلى أحد هذين المعنيين فقط.

أما المعنى الاصطلاحي الأول: فهو الإكراه والقَسْرُ.

قال ابن العربي في تفسير بعضهم: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]: "ومنهم مَن قال: إن معناه: إلا أن يشاء الله إلجائي إليه، وهذا فاسد؛ فإنَّ الله لو ألجأه إليه لم يُتَصَوَّر التكليف فيه بالإلزام؛ لأن الإكراه على فعل الشيء مع الأمر به عندهم محال، فلا وجه لقولهم بحال"[٦].

---

(١) تاج العروس، للزبيدي (١/ ٤١٩).

(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري (ص٥٤٤).

(٣) المعجم الوسيط (٢/ ٨١٥).

(٤) القاموس الفقهي، لأبو حبيب (١/ ٣٢٨).

(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٨١٥).

(٦) أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٢٣١).

ويقول الصرصري: "لا يعني بالإلجاء إلا: اضطراره إلى الفعل على وجه لا يمكنه التخلص منه"[(١)].

ومنه قول الشهاب: "جعلوا الإرادة قسمين: إلجائية قسرية، وغيرها"[(٢)].

فالإلجاء ضرورة تُنافي الإرادة والمشيئة، كما قال ابن عاشور: "ولا حاجة بنا إلى الخوض في مسألة التكليف الإلجائي، ومنافاة الإلجاء للتكليف"[(٣)].

وأما المعنى الاصطلاحي الثاني: فهو عدمُ وجود مجالٍ لصاحب القلبِ والعقلِ السليمين إلا بأن يتجه إلى اختيار خيارٍ واحدٍ في المسألة التي أُلْجِئَ فيها.

ومنه ما يذكره العلماء مِن أنَّ الإيمان بأمور الغيب ليس إيمانًا ضروريًّا ملجئًا، بعكس ما لو رأى الإنسانُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أو رأى الملائكة، أو عاين ذلك عند الموت، فإنَّه يصبح الإيمان إلجائيًّا ضروريًّا.

فليس المقصود مِن ذلك أنَّ الإنسان يُضْرَب أو يهدد حتى يؤمن، لا... بل المقصود هنا أنه لا يجد قلبُه وعقلُه مفرًّا وطريقًا لعدم الإيمان، وذلك لمشاهدته الأمر بعينه وإحساسه له بحواسِّه.

قال ابن العربي: "الإيمان في الدنيا نظري؛ لأن الدلائل الدالة عليه نظرية، إذ لو أظهرها الله تعالى الظهور البيِّن لصارت ضرورية، فيكون الإيمان إلجائيًّا ضروريًّا"[(٤)].

وقال صاحب التنوير: "وإنما لم يقبل التوبة عند الغرغرة لأنها توبة

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للطوفي (١/ ٤٦٨).
(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي، للشهاب (٥/ ١٤٨).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٤٢).
(٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي (٣/ ٥٨٥).

إلجاء؛ فقد شاهد هول المطلع ورأى الملائكة: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]"(١). وهذا ليس إلجاءً قسريًّا لا يمكن التخلص منه؛ فإنَّ إبليس قد رأى مِن ذلك شيئًا وعرفه ومع ذلك لم يؤمن.

ولأجل ذلك يقول الألوسي: "سُنة الله تعالى تكليف الناس بالإيمان من دون إلجاء"(٢).

وقال القاضي صدر الدِّين مَوْهُوب الجَزَرِيُّ: "البارئ -جَلَّتْ قُدرَته- له أساليبُ مختلفة على مجاري تصريف أقداره؛ فإنَّه كان قادرًا على إلجاء المشركين إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٤]، ولكنه سبحانه أرسل رسولَه على أساليبِ الأسباب والْمُسَبَّباتِ وجاري العَوائِد الوَاقِعَة مِن أهل الزَّمان"(٣).

وقال الشيخ الشعراوي: "كذلك يقول الحق في موضع آخر بالقرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، ذلك أنه عندما يصاب الإنسان بحادث جسيم فهو لا يكذب على نفسه، حتى الكافر بالله عندما يجد أن كل الأسباب المادية التي أمامه لا تنفعه فهو يلجأ ويعترف بأنَّ هناك إلهًا واحدًا خالقًا، فيقول: يا رب"(٤).

وقد جاءت الشريعة بأنواعٍ مُلْجِئَةٍ للناس إلى الاعتراف بالحق من المعنى الإلجائي بمعناه الاصطلاحي الثاني؛ فمن ذلك المباهلة، يقول ابن عاشور: "وهذا الدُّعاء إلى المباهلة إلجاء لهم إلى أن يعترفوا بالحق أو يكُفُّوا"(٥).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٣/ ٤٠٦).
(٢) روح المعاني، للألوسي (١٠/ ٦١).
(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ١٢٢).
(٤) تفسير الشعراوي (٤/ ١٩٥٢).
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢٦٥).

ومن ذلك ما يشاهده الناس قبل يوم القيامة من علامات الساعة؛ قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢]: "وجملة: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ تعْلِيل لإظهار هذا الخارِق للعادة؛ حيث لم يُوقِن المشركون بآيات القرآن، فجعل ذلك إلجاء لهم حين لا ينفَعُهُم"(١).

ومن ذلك تسليط العذاب عليهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾؛ أي: العذاب الدنيوي مما يلجئ إلى الرجوع، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨]، فسلَّط الله عليهم العذاب الدنيوي إلجاءً لهم إلى الرجوع وإلى التوبة.

ومن ذلك إلزامهم بتمني الموت، كما في قوله تعالى: ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الجمعة: ٦]، والمعنى: إن كُنتم صادقين في زعمكم فتمنَّوا الموتَ. وهذا إلجاء لهم حتَّى يلزمَهُم ثُبُوت شَكِّهِم فيما زعموه(٢).

وإذا ما استمعنا لنستمع إلى ما يقوله الطاهر بن عاشور في آيات إحياء الأرض وحيثية استعمال (مِن) في آية العنكبوت وجدناه يلمس هذا المعنى البلاغي فيقول: "ولما كان سياق الكلام هنا في مساق التقرير كان المقام مقتضيًا للتأكيد بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ [العنكبوت:٦٣] إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم، فلذلك لم يكن مقتضًى لزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في آية البقرة، وفي آية الجاثية: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة: ١٦٤، والجاثية: ٥]"(٣).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ٣٩).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٢١٦).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).

بل إنَّ بني إسرائيل استخدموا هذا النوع من الإلجاء مع موسى عليه السلام؛ وذلك كما ذكره عنهم عز وجل في قوله تعالى: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنَّ ﴿لَن﴾ تدلُّ على استغراق النفي لأزمنة فعل ﴿نَّصۡبِرَ﴾ مِن أوَّلها إلى آخرها، وهو معنى التَّأبيد، وفي ذلك إلجاء لِموسى أَن يُبادِر بالسُّؤال، يظُنُّون أنَّهم أيأسوه مِن قبول المنِّ والسَّلوى بعد ذلك الحين(١).

والإكراه في اصطلاح فقهاء الحنفية قالوا: "الإكراه قسمان: مُلجئٌ، وغير ملجئ.

فأمَّا الملجئ فهو الذي يكون بالتهديد بإتلاف النفس أو عضو منها، أو بإتلاف جميع المال، أو بقتل مَن يهمُّ الإنسان أمره. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يعدم الرضا ويفسد الاختيار دون أن يُعْدِمَه.

وأما الإكراه غير الملجئ فهو الذي يكون بما لا يُفَوِّتُ النفس أو بعض الأعضاء، كالحبس لمدة قصيرة والضرب الذي لا يخشى معه الموت أو تلف شيء من الأعضاء. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يُعْدِمِ الرضا؛ لكنه لا يفسد الاختيار، لعدم اضطرار المكره إلى إتيان ما أكره عليه لتمكنه من الصبر على تحمل ما هُدِّد به، بخلاف القسم الأول"(٢).

وقد بيَّن الراغبُ الأصفهانيُّ نوعي الإلجاء غاية البيانِ بل وزاد عليهما ثالثًا في كلام طويل نقلتُه لتوضيح المعنى هنا غاية الإيضاح، حيث يقول: "ما يستحق به من الأفعال اللوم وما لا يستحق به ذلك الأفعال ضربان: إرادي، وغير إرادي.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٢١).

(٢) المصباح المنير، للفيومي (٢/ ٦٦٦)، والمبسوط، للسرخسي (٢٤/ ٤٨)، ورد المحتار، لابن عابدين (٥/ ٨٠).

والإرادي ضربان: ضرب عن روية، وضرب لا عن روية.

فالذي عن روية ضربان؛ أحدهما: الذي عن روية تظن في غاية الشرف، وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة، ويسمى الاختيار، وهو طلب ما هو خير له، ويستحق به أبدًا الحمد إذا كان على الحقيقة اختيارًا.

والثاني: عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف، وذلك إما بحسب القوة الغضبية: وهو دفع ما يضره، وإما بحسب القوة الشهوية. وكل منهما إذا كان بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد، وإذا كان زائدًا أو ناقصًا عما يوجبه العقل يستحق به الذم.

والإرادي الذي عن غير روية واختيارٍ ضربان:

أحدهما: ما يفعله في نفسه. **والثاني:** ما يفعله بغيره.

وكل واحد منهما ضربان: نفع وضر. فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد، وما قصد به نفع غيره فقد يستحق به الحمد والشكر معًا، وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم، وما قصد به ضر غيره فقد يستحق به الذم والعتب عليه.

وغير الإرادي ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: أن يكون قسريًّا، وهو: ما يكون مبدؤه من خارج ولا يكون من أربابه معونة بوجه، كمن دفعته ريح فسقط على آنية فكسرها، فلا ملامة فيه بوجه.

والثاني: أن يكون إلجائيًّا كمن أكرهه سلطان على أن يفعل فعلًا ما، وهذا متى كان الملجأ إليه قبيحًا جدًّا، والسبب الملجئ إليه خفيفًا، يستحق مرتكبه الذم، كمن يُضرب ليقتل إنسانًا. ومتى كان الملجأ إليه ليس بجد قبيح،

والسـبب الملجئ إليه عظيمًا، لا يستحق مرتكبه الذم، كمن يوضع على حلقه السـيف ويُهـدَّد أن يُقتل إن لـم يتكلم بكلام قبيـح، وكلاهما يقال لـه: إكراه. والثالث: الخطأ، وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه"[(١)].

وأمَّا الإلجاء في الاستفهام فهو أن يُضْطَرَّ المسـؤول إلى إجابة معينةٍ على وجهٍ لا يمكن التخلُّصُ منه.

فيتبين مما سـبق أنَّ الإلجاء في هذا المقام ليس إلجاءً حِسِّـيًّا يُدْفَع الناسُ إليـه دفعًا لا يجدون محيصًا عنه، وإنما هو إلجاء معنويٌّ عقليٌّ، **فهو من معنى الإلجاء الاصطلاحي الثاني**؛ حيث إن السـامع والمسـؤول لو فكَّـر في إجابة سـؤال السائل لَمَا وَجَدَ غير هذه الإجابة إن كان يُفَكِّر بطريقة سليمة بعيدة عن الهوى والتعصب، وإلا فيمكن للقائل عنادًا أن يجيب عن السؤال والاستفهام الإلجائي بما يخالف العقل والواقع.

وخلاصة القول: أنَّ الإلجـاء في هـذا المقـام يُضْعِـفُ الاختيـار ويُعْدِم الرضـا، ولكنـه لا يُعْدِم الاختيار. ويدل على ذلك مـا دلَّت عليه بعضُ الآياتِ التي اسـتخدم فيها الاستفهام الإلجائي مِن أنهم أرادوا ألَّا يُقِرُّوا بالجواب، قال الألوسـي: "وقولـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] تقريـر للجـواب نيابة عنهـم، **أو إلجـاء لهم إلى الإقرار** بأنَّ الكل له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وفيه إشـارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام[(٢)]- في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: **وفيه إشارة إلى أنهم تثاقلوا في الجواب** مع تعينه"[(٣)].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني (ص٢٩٦).
(٢) المقصود بالإمام هو الرازي، وانظر قوله في: مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٨٨).
(٣) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

المبحث الأول

الدراسة التأصيلية

المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماؤه.

لما كان مصطلح (الاستفهام الإلجائي) ليس بالمصطلح الرائج الشائع، أحببتُ أن أذكر جملةً من المفسرين مِمَّن ذكروا هذا الاستفهام؛ فقد ذكر هذا النوع من الاستفهام مجموعةٌ من المفسرين، وإن اختلفت عباراتهم في وصفه واسمه.

وسأذكر العلماء الذين ذُكِر عنهم الاستفهام الإلجائي بطريقة صريحة، وأمَّا مَا أشار إلى معنى الإلجاء بحيث لا يُفْهَم إلا بالنظر والتأمُّلِ فقد أوردتُ كلامَه في قسم التطبيق.

☑ أولًا: الحسن البصري:

عن ابن جرير قال: حدَّثنا بِشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] **إلجاءٌ إلى نَسبه**؛ فقال الله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف:٥٠] الآية، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[1].

فهُنا نُلاحظ أن الاستفهام الوارد في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ فيه إلجاءٌ للمستفهم منه إلى الاعتراف بكونه أخطأ في اتخاذه إبليس وذريته أولياء من دون الله، كون إبليس -عليه لعنة الله- كان من الجن.

☑ ثانيًا: الطيبي (ت٧٤٣هـ):

قال: "و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام:١٢] تقرير، قيل: أي **إلجاء إلى الإقرار**.

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٤٠).

الجوهري: تقرير الإنسان بالشيء: حمله على الإقرار به. والأولى أن يكون من تقرير الشيء: إذا جعل في مكانه. الجوهري: قررت عنده الخبر حتى استقر. أي: قرر الجواب لأجلهم، فكأن قوله قولهم، لأنه لا خلاف بينه وبينهم"(١).

☑ ثالثًا: السيوطي (ت٩١١هـ):

قال السيوطي: "قال الطِّيبي: يعني إذا سئلوا عن قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؟ [الأنعام:١٢]، لا محيد لهم إلا أن يقولوا: الله، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]. اهـ. قوله: (تقرير لهم). قال الشيخ سعد الدين: أي: **إلجاء إلى الإقرار بأن الكل لله**، لأنَّ هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره"(٢).

☑ رابعًا: أبو السعود (ت٩٨٢هـ):

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ [الأنعام:٨١] ناطقٌ ببُطلانه حتمًا فإنه كلام مرتَّبٌ على إنكار خوفِه -عليه الصلاة والسلام- في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مَسوقٌ **لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه** -عليه الصلاة والسلام- **لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقِهم لما هم عليه**، وإنما جيءَ بصيغة التفضيلِ المُشعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رُتبة المكابرةِ والاعتسافِ بسَوْق الكلام على سَنن الإنصاف، والمرادُ بالفريقين: الفريقُ الآمنُ في محل الأمن، والفريقُ الآمنُ في محلِّ الخوف، فإيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ على أن يُقال: فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؛ **لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علَّة الحُكم**

(١) فتوح الغيب، للطيبي (٦/ ٣٢).
(٢) نواهد الأبكار، للسيوطي (٣/ ٣٣٧).

والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ المفعولُ إما محذوفٌ تعويلًا على ظهوره بمعونه المقام؛ أي: إن كنتم تعملون من أحقُّ بذلك، أو قصدًا إلى التعميم؛ أي: إن كنتُم تعلمون شيئًا، وإما متروكٌ بالمرة؛ أي: إن كنتم مِنْ أُولي العلم، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ؛ أي: فأخبروني، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنعام:٨٢] استئنافٌ من جهتِه تعالى للجواب الحقِّ الذي لا محيد عنه"[١].

☑ خامسًا: شهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ):

قال شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (وهو سؤال تبكيت) في الأساس: بكته بالحجة غلبه وألزمه ما سكت به لعجزه عن الجواب عنه، والمقصود: أنه تقريع لهم وتوبيخ. قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثبيت بأن يجعله قارًّا متمكنًا، ومنه تقرير المسألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشاف، **وعلى الأول إلجاء إلى الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر على إنكاره أحد** كما قاله النحرير[٢]"[٣].

☑ سادسًا: إسماعيل حقي (ت١١٢٧هـ):

قال: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام:١٢] **إلجاء لأهل مكة إلى الإقرار** بأن الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقًا وملكًا وتصرفًا، كأنه يقول:

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).

(٢) المقصود به سعد الدين التفتازاني؛ لأن الشهاب قال في الحاشية (٤/ ١٠١): "فقال النحرير في شرح المفتاح". وكذلك في (٤/ ١٦٥).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٧).

هل لكم سبيل إلى عدم الإقرار بذلك، مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر أحد على إنكاره"[1].

وقال: "﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٩] **إلجاء لهم إلى الإقرار** بإشراكهم؛ إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره لاشتهارهم به"[2].

☑ سابعًا: محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ):

قال: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٢]؛ أي: قُل أيُّها الرَّسول لِقومك الجاحدين لِرسالتك الْمُعرضين عمَّا جِئْتَهُم به مِن أمر التَّوحيد والبعث والْجَزَاء: لِمَن هذه المخلوقات في العالم كُلِّه عُلوِيِّهِ وسُفْلِيِّهِ؟ السُّؤال تمهيد لِحُجَّة جديدة، وقد بَيَّنَّا في تفسير الآياتِ السَّابِقة أنَّ العَرَبَ كانت تؤمن بِأنَّ الله تعالى هو خالق السَّماوات والأرض، وأنَّ كلَّ ما فيهما ومَن فيهما مِلْك وعَبِيد له، ولفظ ﴿مَّا﴾ يشمل العُقلاء معَ غيرهم، وجَزَمَ في الكَشَّاف[3] بأنَّ السُّؤال للتَّبْكِيت، وأنَّ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خِلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تَقْدِرُون أَن تُضِيفُوا شيئًا مِنهُ إلى غيره. وقال غيره: تقريرٌ للجواب نيابةً عنهم، **أو إِلْجَاء لهم إلى الإِقْرَارِ**، وقال الرَّازِيُّ: أَمَرَهُ بالسُّؤال أولًا، ثُمَّ بالجواب ثانيًا[4]. وهذا إنَّما يَحْسُنُ في الموضِع الَّذي يكون الجواب فيه قد بَلَغَ في الظُّهُور إلى حيث لا يَقْدِرُ على إنكاره مُنْكِرٌ ولا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ دَافِعٌ"[5].

---

(١) روح البيان، للقنوجي (٣/ ١٣).
(٢) روح البيان، للقنوجي (٣/ ١٧).
(٣) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٨).
(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢/ ٤٨٩).
(٥) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٧١).

وقال: "﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام:٨١] هي بيان أنَّ هذه المقابلة عامَّةٌ لكلِّ مُوَحِّدٍ ومُشْرِكٍ، مِن حيث إنَّ أحد الفريقين مُوَحِّدٌ والآخر مُشْرِكٌ، لا خاصَّة به وبهم، فهي مُتَضَمِّنَةٌ لِعِلَّةِ الأمن. وقيل: إنَّ نُكْتَتَهُ الِاحْتِرَازُ عن تزكية النفس، واسمُ التَّفضيل على غير بابه، فالمراد أيُّنا الحَقِيق بالأمن، ولكنَّه عبَّر باسم التَّفْضِيل ناطِقًا في اسْتِنزَالِهِمْ عن مُنتهى الباطِل -وهو ادِّعاؤهم أنَّهُم هم الحقيقون بالأمن، وأنَّه هو الحقيق بالخوف- إلى الوسط النَّظَرِيِّ بين الأمرين، وهو أيُّ الفريقين أحَقُّ، واحْتِرازًا عَن تَنفيرهم مِن الإصغاء إلى قوله كُلِّه، ثمَّ قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أيُّهما أحقُّ بالأمن -أو إِن كُنتُم مِن أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر- فأخبروني بذلك، وبَيِّنُوه بالدَّلائل، **وهذا إِلْجَاءٌ إلى الاعتراف بالْحَقِّ** أَوِ السُّكُوتِ على الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ"[1].

☑ ثامنًا: الألوسي (ت١٣٧٠هـ):

قال: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩] تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأنَّ الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام- في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: وفيه إشارة إلى أنهم تثاقلوا في الجواب مع تعينه لكونهم محجوجين"[2].

☑ تاسعًا: المراغي (ت١٣٧١هـ):

قال المراغي: "﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: قل أيها

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٨٢).
(٢) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

الرسول لقومك الجاحدين لرسالتك المعرضين عن دعوتك: لمن هذه المخلوقات علويّها وسفليّها؟

قد كانت العرب تؤمن بأنَّ الله خالق السموات والأرض، وأنَّ كل ما فيهما ملك وعبيد له، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

والمقصود من السؤال التبكيت والتوبيخ.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ هذا تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له سبحانه ولا خلاف بيني وبينكم في ذلك ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا آخر إليه"(١).

وقال: "﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]، الفريقان: فريق الموحدين الذين يعبدون الله وحده ويخافونه ويرجونه دون غيره، وفريق المشركين الذين استكبروا تأثير بعض الأسباب فاتخذوا ما اتخذوا من الآلهة والأرباب، ونسبوا إلى بعضها النفع والضر كالشمس والقمر والملائكة- أي فأي هذين الفريقين أحق وأجدر بالأمن على نفسه من عاقبة عقيدته وعبادته.

ونكتة التعبير بـ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن؛ الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد، والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر فأخبروني بذاك وبيّنوه بالأدلة، **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق**، أو السكوت على الحمق والجهل"(٢).

(١) تفسير المراغي (٧/ ٨٦).

(٢) تفسير المراغي (٧/ ١٧٨).

☑ عاشرًا: عبد الكريم الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ):

قال: "قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء- عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمّرة، التي تدكّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعه، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾؟

وإنه لا يجرؤ أحد منهم أن يجيب بأن آلهتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر...

فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخّر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدّمى يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهًا وضلالًا؟ وبلى إنه السّفه والضلال والضّياع أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب الذي أجابوا به نطقًا، **أو إلجاءً، وإلزامًا**، إذ لا جواب لهم غيره! ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾"[(١)].

وقال: "قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣].

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٤).

وهذا سؤال آخر يسأله المشركون: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَآ﴾؟ فما جوابهم على هذا؟

لقد أقروا -طوعًا أو كرهًا- أنَّ الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر.. إذ كان ذلك أمرًا لا يمكن المجادلة فيه، ولا يجد معه أيَّ عقل- مهما لَجَّ في الضلال والعناد- سبيلًا إلى المماراة، والتمحك..

وعلى هذا، فإنه وقد سلّم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر، لا بد أن يسلّم بأنه سبحانه هو الذي يملك كل ما في السموات وما في الأرض، وأنه هو سبحانه الذي يصرّف كل شيء فيهما..

فما ينزل من السماء من ماء، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره.. وما يحدث هذا الماء من آثار في الأرض، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره..

وإذن، فلا جواب لهؤلاء المشركين إلا الإقرار، بأن الله هو الذي نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.. فهذا من ذاك، أو من بعض ذاك..

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هو تعقيب على هذا **الإقرار، الذي ألجأ المشركين إليه**، ما طلع عليهم من آيات الله، فأتوا إليه مذعنين..

وهذا مما يجدد للمؤمن نظرًا إلى نعم الله، حيث قهر جلالُها المشركين الضالين، فاعترفوا برب هذه النعم، وأضافوها إليه.. وإن الحمد والولاء لله، هو ما ينبغي أن يسبّح به المؤمن في هذا المقام، مقام تلك النعمة الجليلة، وهي نزول الماء من السماء، وما لهذا الماء من آثار في بعث الحياة في الحياة!"[1].

☑ حادي عشر: ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ):

ابن عاشور هو أكثر من اعتنى ببيان هذا النوع مِن المفسرين.

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٥).

في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام:١٢] قال: "ولِكَوْنِهِ مُرادًا به الإلجاءُ إلى الإقرارِ، كان الجواب عنه بما يريده السائلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيصَ عنه؛ إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو الْمُغالَطة، فلذلك لم ينتظر منه جوابًا"(١).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦]، قال ابن عاشور: "وهو استفهام مُسْتَعْمَلٌ في التَّقرير يُقصد مِنه إلجاء السَّامعين إلى النَّظر في جوابه، فيُوقِنوا أنَّه لا إله غيرُ اللهِ يأتيهم بذلك؛ لأنَّه الخالق للسَّمع والأبصار والعقول، فإنَّهم لا يُنكرون أنَّ الأصنام لا تخلق"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤]، قال ابن عاشور: "والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ في التقرير والإلجاء"(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ [القصص:٦٢، ٦٣]، قال ابن عاشور: "وكان هذا المقصِد إلجاءً من الله إياهم لِيُعْلِنوا تنَصُّلَهُم مِن ادِّعاء أنَّهم شُركاء على رُؤُوس الملَإِ"(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣]، قال

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ١٥٩).

ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم:٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]، ولَمَّا كان سياق الكلام هنا في مَساق التَّقرير كان الْمَقام مُقتضيًا لِلتَّأكِيد بِزيادة ﴿ مِنۢ ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ **إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم**؛ فلذلك لم يكن مُقتضًى لزيادة (مِن) في آية البقرة، وفي الجاثية [٥] ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾"[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤]، قال: "انتَقَلَ إلى الاستدلال على بطلان نفي صِفة الإلهيَّة عن أصنامهم، فجملة: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ ﴾ أمرٌ بإلقاء الدَّليل على إبطال الإشراك، وهو أصل ضلالهم.

وجاء هذا الاستدلال بأسلوب المناظرة، فجعل النبي ﷺ مُواجِهًا لهم بالاحتجاج؛ **ليكون إلْجَاءً لهم إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة حُجَّتِه**، وكذلك جرى الاحتِجاج بعده ثلاث مرَّات بطريقة أمر التَّعجيز بقوله: ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ ﴾. و﴿ أَرَءَيۡتُم ﴾ استفهام تَقْرِيرِيٌّ، فهو كناية عن معنى: أَخْبِرُونِي، وقد تقدم في سورة الأنعام"[(٢)].

☑ ثاني عشر: الشيخ الهرري (من المعاصرين: ت١٤٤١هـ):

قال: "وعبارة المراغي هنا قوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢] هذا تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأن الكل له سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ، ولا

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٩).

خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا آخر إليه. وإتيان السائل بالجواب يحسن إذا كان ما يأتي به هو عين ما يعتقده المسؤول أو يغفل عنه أو ينكره لجهله أو غفلته عن كونه لازمًا لما يعرفه ويعتقده انتهت"[(١)].

وقال أيضًا: "﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعًا أنه هو الآمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَئِنْ لَقِيْتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ ... أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ[(٢)]

أي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذاك وبيِّنوه بالأدلة. **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق**، أو السكوت على الحمق والجهل. والمعنى: أي إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات، ومعبودكم هي تلك المخلوقات.. فكيف تخوفوني بها"[(٣)].

☑ ثالث عشر: مجمع البحوث:

في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١]، ورد ما نصه: "أَي: فأينا في موقف الأمن من وقوع المكروه الذي تخوفوننا به؟!

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٢/ ٢٢٨).

(٢) البيت بلا نسبة في شرح التصريح، للأزهري (٢/ ٤٤)، والمحتسب، لابن جني (١/ ٢٥٤)، ومغني اللبيب، لابن هشام (ص١٤١)، وهمع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥١).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨/ ٤٣١).

وفي هذا إلجاءٌ لهم إلى الاعتراف باستحقاقه -عليه الصلاة والسلام- الأَمن والطمأْنينة دونهم"[1].

ثانيًا: أسماؤه:

يتبين مما سبق أنَّ علماء التفسير يسمونه: إلجاءً، وتقريرًا.

والفرق بين الإلجاء والتقرير:

يظهر من تعاريف بعض العلماء أنهم لا يُفَرِّقُون بين الإلجاء والتقرير.

قال الرضي: "ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه"[2]. وقال في موضع آخر: "وإذا دخلت همزة الاستفهام على (لمْ) و(لَـمَّا) فهي للاستفهام على سبيل التقرير، ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨]، و﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وقوله:

إليكم يا بني بكر إليكم ... ألَـمَّا تعرفوا منَّا اليقينا[3]"[4].

وقال الطيبي: "تقرير، قيل: أي إلجاء إلى الإقرار"[5].

وقال عبد الخالق عضيمة: "التقرير، ومعناه: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره"[6].

(١) التفسير الوسيط لمجمع البحوث (٣/ ١٢٧٩).
(٢) شرح الكافية، للرضي (٢/ ٢٥١). وانظر: همع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥٦).
(٣) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته. انظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني (١/ ٢٣٠).
(٤) شرح الكافية، للرضي (٤/ ٨٣). وانظر: دراسات لأسلوب القرآن، لعضيمة (٢/ ٦١٠).
(٥) فتوح الغيب، للطيبي (٦/ ٣٢).
(٦) دراسات لأسلوب القرآن، لعضيمة (٢/ ٦١٠).

والحق أنَّه يوجد فرقٌ لطيفٌ بين التقرير والإلجاء، وضحَّه ابن عاشور بقوله: "والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ مجازًا في التَّقْرِيرِ. والتَّقرير هنا مُراد به لازِم معناه، وهو تَبْكِيت المشركين، وإلجاؤُهم إلى الإقرار بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّركي، فهو مُسْتَعْمَلٌ في معناه الكِنائِيِّ معَ معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكِنَائِيُّ.

ولكونه مُرادًا به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجوابُ عنه بما يُرِيدُهُ السَّائِلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيص عنه؛ إذ لا سَبِيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلِذلك لم ينتظر السائلُ جوابَهم، وبادرهم الجواب عنه بنفسه"[(١)].

فبيَّن أن الإلجاء من لازم معنى التقرير، فهو معنًى كنائيٌّ وليس معنًى صريحًا، فتبيَّن بهذا الفرق بين التقرير والإلجاء وأنهما ليسا بنوعٍ واحد.

ومما يدل على التغاير بينهما أيضًا أنَّ الألوسي فرَّق بينهما فقال: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، **أو إلجاء لهم إلى الإقرار** بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"[(٢)]؛ فاستخدامه (أو) بين التقرير والإلجاء يدلُّ على أنه يوجد فرق بينهما.

ومما يدل على ذلك أيضًا ما قاله شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثبيت بأن يجعله قارًّا متمكنًا، ومنه تقرير المسألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشاف، **وعلى الأول إلجاء إلى الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر**

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).

(٢) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨). وانظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٧١).

على إنكاره أحد كما قاله النحرير"[1]. فهذا واضحٌ في أن التقرير له معنيان، وأنَّ الإلجاء أحد معنييه.

ويدل على ذلك أيضًا أنَّ ابن عاشـور جعل الإلجاء نتيجة للتقرير، فقال في قولـه تعـالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦]، قال ابن عاشور: "**وهو استفهام مُسْتَعْمَلٌ في التَّقرير يُقصد مِنه إلجاء السَّامعين** إلى النَّظر في جوابه"[2]، فجعل الإلجاء هو مقصود التقرير، وهذا يدلُّ على التغاير بينهما.

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

للإلجاء أساليب أربعة، وهي:

الأسلوب الأول: أن يسـأل السائلُ سـؤالًا، ثم يتولَّـى السَّائلُ الجوابَ لنفسـه بنفسه بما يريده؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك، أو يضطره للجواب بما يريد السائل لأنَّه لا يَقْدِرُ أن يُكَابِرَ وَيَجْحَد. نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، فَقد ذكر الجواب.

الأسلوب الثاني: ألا يُذْكَرُ جواب مِن المسؤولين، بل يجيب السائل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد:١٦] إذ لا سبيل إلى الجحد.

الأسـلوب الثالث: أن يُخَيِّرَ السائلُ المسؤولَ بين أمرين، وأحدهما لا يمكـن أن يجيب به، فيُلجِئُه إلـى الإجابة الثانية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

﴿يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه: ٨٥، ٨٦]، قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أنَّ طول العهد لا يمكن ادعاؤه"(١).

وكما في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١](٢).

الأسلوب الرابع: أن يأتي على طريقة المناظرة.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال ابن عاشور: قال: "انتَقَلَ إلى الاستدلال على بطلان نفي صِفة الإلهيَّة عن أصنامهم، فجملة: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ﴾ أَمرٌ بإلقاء الدَّليل على إبطال الإشراك، وهو أصل ضلالهم.

وجاء هذا الاستدلال بأسلوب المناظرة، فجعل النبي ﷺ مُواجِهًا لهم بالاحتجاج؛ ليكون إلْجَاءً لهم إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة حُجَّتِه، وكذلك جرى الاحتِجاج بعده ثلاث مرَّات بطريقة أمر التَّعجيز بقوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ﴾. و﴿أَرَءَيۡتُم﴾ استفهام تَقْرِيريٌّ، فهو كناية عن معنى: أَخْبِرُونِي، وقد تقدم في سورة الأنعام"(٣).

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).
(٢) انظر ما قاله الشيخ الهرري في تفسير حدائق الروح والريحان (٨/ ٤٣١) عند هذه الآية.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٩).

المطلب الثالث: ثمرات الاستفهام الإلجائي.

• **أولًا: التقرير والاهتمامُ بما بعدَ فِعْل الأمر،** قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢]، فقوله: ﴿لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سؤال تبكيت، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله، لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا منه إلى غيره(١).

• **ثانيًا: تَبْكِيتُ المشركين.**

• **ثالثًا: اعتراف المسؤول بالمراد؛** بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّرْكِيِّ.

قال البقاعي: "مِن أبلغ المقاصد وأوضح التقرير: إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد"(٢).

• **رابعًا: دَمْغُهم بالحُجَّة،** فهؤلاء القوم المقدَّر إلجاؤهم إلى الجواب، سواء أنصَفُوا فأَقَرُّوا حَقِّيَّةَ الجوابِ، أم أنكروا وكابروا، فقد حصل المقصود من دَمْغهم بالحُجَّة. وذلك كما نرى من فرعون عندما ناظره موسى عليه السلام في الآيات المذكورة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]، ثم سأله تلك الأسئلة التي لم يجد لها حيلةً في مناظرتها كقوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:٣٠]؟ فلم يجد فرعون بدًّا ولا حيلةً من الاستجابة، فلجأ إلى التهديد والوعيد الذي يلجأ إليه من أُسْقِط في يده.

قال الزمخشري: "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنزله الله، فإنَّهم لا يقدرون أن يُناكروك، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٨).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).

إلزام الحجة"[١].

• **خامسًا: إبلاغ الْحُجَّةِ**؛ لِأَنَّ الكلام مَسُوقٌ مَسَاقَ إبلاغ الحُجَّة، مُقَدَّرَة فيه محاورة، وليس هو محاورة حقيقية، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.

• **سادسًا: جذب الانتباهِ والتشويق لِما بعدَه**؛ إذ إنَّ السامع مُتَلَهِّفٌ لمعرفة الجواب.

• **سابعًا: هذا الأسلوب أبلغ تأثيرًا**. قال السمعاني: "أمره بالجواب عقيب السؤال؛ ليكون أبلغ في التأثير، وآكد في الحُجَّة؛ لأنَّ مَن سألَ غيرَه عن شيء، ثُمَّ عَقَّبَه بالجواب، كان ذلك أبلغ تأثيرًا"[٢]. وقال البغوي: "أَمَرَهُ بالجواب عَقِيبَ السُّؤالِ؛ ليَكون أبلغ في التأثير، وآكد في الحُجَّةِ"[٣].

• **ثامنًا: تركيب الاحتجاج القاطع على السؤال**. كما قال الزمخشري فيما ذُكِر سابقًا: قال في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٢]: "فإذا تَحَيَّروا ولم يُجيبوا قل: لله.

وقالت فرقة: المعنى: أنَّه أُمِر بهذا السؤال، فكأنهم لَمَّا لم يُجيبوا ولا تَيَقَّنوا سألوا، فقيل له: قل لله.

والصحيح: أنَّ الله ﷻ أمر محمدًا ﷺ بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد؛ ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، **ثم يتركب احتجاجه عليه**، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾".

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤).
(٢) تفسير السمعاني (٢/ ٩١).
(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ١١١).

• **تاسعًا: الإشارة إلى ظهور الجواب بما لا يُقْدَر على ردِّه.** قال الألوسي:

"وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكِر، ولا على دفعه دافِع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن -كما قال الإمام- في موضع يكون فيه الجواب كذلك"(١).

....

(١) روح المعاني، للألوسي (٤/ ٩٨).

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء في القرآن الكريم

◆ **الآية الأولى: قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾، فيه إلجاءٌ لهم إلى أن يختاروا الإجابة بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾. قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد مِن الملائكة، ومن حيث كان الأمر بَيِّنًا في نفسه أنَّ الملائكة كافية، بادر المتكلم إلى الجواب؛ ليبني ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿بَلَىٰٓ﴾، وهي جواب المقررين، وهذا يَحْسُنُ في الأمورِ البيِّنة التي لا محيد في جوابها، ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩]"(١).

◆ **الآية الثانية: قوله تعالى:** ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢].

هذه الآية مِن أكثر الآيات التي تحدَّث عنها المفسرون وأثبتوا فيها الاستفهام الإلجائي، وذلك أنَّه عندما سألهم: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، لم يجِدُوا إجابةً يُجيبون بها إلا إجابة واحدةً، وهي: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾، قال الماتريدي في تفسير هذه الآية: "تقديره: فإن أجابوك وإلا فقل: لله، وقيل: تقديره: فقل لله، **فإنهم لا ينكرون**"(٢).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٥٠٣).
(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (١/ ٣٥٤).

قال الزمخشري: "فإذا تَحيَّروا ولم يُجيبوا قل: لله، وقالت فرقة: المعنى أنَّه أُمِر بهذا السؤال، فكأنهم لَمَّا لم يُجيبوا ولا تَيقَنَّوا سألوا، فقيل له: قل: لله، والصحيح أنَّ الله ﷻ **أمر محمدًا** عليه السلام **بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد،** ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، ثم يتركب احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، والوجه في المحاجّة **إذا سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه**: أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة إلى الحجة"[(١)]. فقوله: "الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد"، و"سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه" بَيِّنٌ في الإلجاء.

وقال الزمخشري: "قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: سؤال تبكيت، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾: تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا منه إلى غيره"[(٢)]. فقوله: "لا تقدرون" هو معنى الإلجاء.

وقد قال بمثل قول الزمخشري: أبو حيان[(٣)]، والثعالبي[(٤)]، وإسماعيل حقي[(٥)].

وقد فصَّل ابن عاشور ذلك ووضَّحه أيما توضيح بقوله: "جملة ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تَكْرِيرٌ في مَقامِ الاستدلال، فإنَّ هذا الاستدلال تَضَمَّنَ استِفْهامًا تَقْرِيرِيًّا، والتقرير مِن مقتضيات التَّكْرِيرِ، لذلك لَمْ تُعْطَف الجملة.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٢٧١).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٨).
(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٤/ ٤٤٦).
(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٢/ ٤٤٨).
(٥) روح البيان، للخلوتي (٣/ ١٣).

ويجوز أن يُجْعَل تَصْدِيرُ هذا الكلام بالأمر بأن يقوله مَقْصُودًا به الاهتِمامُ بِمَا بَعْدَ فِعْلِ الأمرِ بِالقوْلِ على الوَجْهِ الَّذي سَنُبَيِّنُهُ عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ في هذه السُّورة [٤٠]، والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ مجازًا في التَّقْرِيرِ.

والتَّقرير هنا مُراد به لازِمُ معناه، وهو تَبْكِيت المشركين، وإلجاؤُهم إلى الإقرار بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشِّركي، فهو مُسْتَعْمَلٌ في معناه الكِنائيِّ معَ معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكِنَائِيُّ.

ولكونه مُرادًا به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجوابُ عنه بما يُرِيدُهُ السَّائِلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقًا لا محيص عنه؛ إذ لا سَبِيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلِذلك لم ينتظر السائلُ جوابَهم، وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تَبْكِيتًا لهم؛ لأنَّ الكلامَ مَسُوقٌ مَسَاق إبلاغ الحُجَّةِ مُقَدَّرَةً فيه محاورة، وليس هو محاورةً حقيقيةً، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من مُتَكَلِّمٍ واحد.

فهؤلاء القوم المقدَّر إلجاؤهم إلى الجواب، سواء أنصفوا فأَقَرُّوا أَحَقِّيَّة الجواب، أم أنكروا وكابروا، فقد حصل المقصود من دَمْغِهم بالحُجَّةِ، وهذا أُسْلُوبٌ مُتَّبَعٌ في القرآن، فتارةً لا يُذْكَر جوابٌ منهم، كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الرعد:١٦]، وقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١]، وتارة يَذْكُرُ ما سيُجِيبُونه به بعد ذكر السؤال منسوبًا إليهم أنَّهم يُجِيبُون به، ثُمَّ ينتقِلُ إلى ما يَتَرَتَّبُ عليه من توبيخ ونحوه، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]"[(١)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠).

◆ **الآية الثالثة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

في هـذه الآيـة الكريمة جاء الاسـتفهام بقولـه تعالـى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾، بعد أن هدَّدهم بأخذ سـمعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، وبعد تخيُّل هذه الحالة حيث يُصْبِح الإنسـان ضائعًا في ظلمـات العمى والصَّمَـم والجهل، فكان هذا الاستفهامُ ملجئًا لهم إلى الإيمان بأنَّه لا يمكن أن يأتيهم بسمع وبصر وعقل إلا الله. قال ابن عاشور: "﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾ مُعَلِّقٌ لِفعل الرُّؤية؛ لِأنَّه استفهام؛ أي: أَعَلِمْتُم جواب هذا الاستفهام أم أنتم في شكٍّ، وهو استفهام مستعمل في التَّقرير، **يُقصد منه إلجَاءُ السَّامِعِين إلى النَّظر في جوابه، فيُوقنون أنَّه لا إله غير الله يأتيهم بذلك؛** لأنَّه الخالق للسَّـمع والأبصار والعقول، فإنهم لا ينكرون أنَّ الأصنام لا تخلق، ولذلك قال لهم القرآن: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]"(١).

◆ **الآية الرابعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

جـاءتْ هـذه الآية بوصفِ حـالٍ تكونُ عليـه العربُ في أسـفارها، وهو ضياعُهـا في ظلمـات الـبرِّ والبحـرِ، وخاصَّة البحـر، حيث يكون الإنسـان في ظلمات لا يسـتطيع الهروب منها، والافتكاك عنها، فيتأمَّلُ الإنسـانُ نفسَـه في ذلـك الوقت، مَـن الذي يمكن أن ينجيـه من ظلمات البر والبحـر هذه، فكان العـربُ في تلـك الأوقـات لا يلجـأون إلا إلـى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتركون ما يعبدونه مـن الأوثان والأصنام، فبعد أن اسـتفهمهم بقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، ألجأهـم إلى الإجابة بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾.

قال القاضي أبو محمد: "وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ الآية، **سبق في المجادلة إلى الجواب؛ إذ لا محيد عنه**"(١). وقوله: "لا محيد عنه" هذا هو معنى الإلجاء.

وقال ابن عاشور: "وقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤] استِئْنَافٌ ابتِدائيٌّ، ولَمَّا كان هذا الكلامُ تهديدًا، وافتُتِح بالاستفهام التقريريِّ، تعيَّن أنَّ المقصودَ بضمائر الخطاب هم المشركون دون المسلمين، وأصرح من ذلك قولُهُ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾.

وإعادةُ الأمرِ بالقول للاهتمام، كما تقدَّم بيانُه عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [الأنعام: ٤٠] الآية، **والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ في التقرير والإلجاء**؛ لكون ذلك لا يُنازَعُون فيه بحسب عقائد الشِّرْك"(٢).

◆ الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١].

هـذه الآيـة تتحـدَّثُ عن وقـوفِ النـاسِ بين يـدي الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، حيث جاءَ في ذلك اليوم مَن أطاعه، وجاء مَن عصاه وأشرك معه غيرَه، ففي ذلك الموقف يسأل الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هذا السؤال لهؤلاء الأقوام الذين

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٣٠٢). وانظر: الجواهر الحسان، للثعالبي (٢/ ٤٧٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).

ضلوا وعبدوا معه غيره، فقال سبحانه: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِ﴾، ثم جاءت الإجابة التي لا يستطيعون الفرارَ منها! فكيف يكون آمنًا من عصاه وأشرك معه غيره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِ﴾ ناطقٌ ببُطلانه حتمًا؛ فإنه كلام مرتَّبٌ على إنكار خوفِه -عليه الصلاة والسلام- في محل الأمن، مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مَسوقٌ **لإلجائهم إلى الاعتراف** باستحقاقه -عليه الصلاة والسلام- لما هو عليه من الأمن، وبعدم استحقاقِهم لما هم عليه، وإنما جيءَ بصيغة التفضيلِ المُشعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رُتبة المكابرةِ والاعتسافِ بسَوْق الكلام على سَنن الإنصاف، والمرادُ بالفريقين: الفريقُ الآمنُ في محل الأمن، والفريقُ الآمنُ في محلِّ الخوف، فإيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ على أن يُقال: فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؛ **لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علّة الحُكم**، والتفادي عن التصريح بتخطئتهم، لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس"[١].

وقال الهرري: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعًا أنه هو الآمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَئِنْ لَقِيْتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ   أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ

أي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذاك وبيِّنوه بالأدلة. **وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوت على الحمق والجهل**"[1].

◆ **الآية السادسة: قوله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

عندما بُعِثَ النبي ﷺ؛ كذَّبه أُمَمٌ مِن الناس وطوائف، ومِن هؤلاء الذين كذبوه أُمَّة اليهود، الذين بالغوا في التكذيب به حتى قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾، وهُنا بعد مقولتهم هذه جيءَ بسؤالٍ واستفهامٍ يسألهم عن الكتاب الذي أُنزِل عليهم: ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، وهو سؤال لا يستطيعون إلا أن يجيبوا عنه بإجابةٍ واحدةٍ لا محيد عنها، وهو: الله الذي أنزل هذا الكتاب، فيكونُ ردًّا على نفيهم عدم نزول شيءٍ مِن قِبَلِ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على عباده، فكان هذا الاستفهام استفهامًا إلجائيًّا.

قال الزمخشري: "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنزله الله، **فإنَّهم لا يقدرون أن يُناكروك**، ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك **بعد إلزام الحجة**"[2].

وقال أبو السعود: "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أمرٌ لرسول الله ﷺ بأن يُجيبَ عنهم **إشعارًا بتعيُّن الجوابِ بحيث لا محيدَ عنه، وإيذانًا بأنهم أُفحموا ولم يقدِروا على التكلم أصلًا**"[3].

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨/ ٤٣١).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤).
(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٦٢).

وقال ابن عاشور: "قد جَهِلُوا ما يُفْضِي إلى الجهل بصفةٍ من صفات الله تعالى التي هي صفة الكلام، وجهِلوا رحمته للناس ولطفَه بهم.

ومَقالُهُم هذا يَعُمُّ جميع البشر؛ لوقوع النكرة في سياق النفي لنفي الجنس، ويعمُّ جميع ما أنزل باقترانه بـ ﴿مِّن﴾ في حيِّز النَّفْيِ للدَّلَالة على استغراق الجنس أيضًا، ويَعُمُّ إنزالَ اللهِ تعالى الوحيَ على البشر بِنَفْيِ المتعلِّق بهذين العُمُومَيْنِ.

والمراد بـ ﴿شَيۡءٖ﴾ هنا شَيْءٌ من الوحي، **ولذلك أمر اللهُ نبيَّه بأن يُفْحِمَهم باستفهام تقريرٍ وإلجاء** بقوله: ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ **فذَكَّرهم بأمرٍ لا يستطيعون جحدَه**؛ لتواتره في بلاد العرب، وهو رسالة موسى، ومجيئه بالتوراة، وهي تُدْرَس بين اليهود في البلد المجاورِ مكَّةَ، واليهودُ يَتَرَدَّدُون على مكةَ في التجارة وغيرها، وأهلُ مكة يَتَرَدَّدُون على يَثْرِبَ وما حولها، وفيها اليهودُ وأحبارُهم، وبهذا لم يُذَكِّرْهم الله برسالة إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّهم كانوا يجهلون أنَّ اللهَ أنزل عليه صُحُفًا، فكان قد يَتَطَرَّقُهُ اختِلَافٌ في كيفية رسالته ونُبُوءَته، وإذا كان ذلك لا يسع إنكارَه كما اقتضاه الجوابُ آخِرَ الآيةِ بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، فقد ثَبَتَ أنَّ الله أنزل على أحدٍ من البشر كتابًا، فانتقضَ قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ على حَسَبِ قاعدة نقض السالبةِ الكليَّةِ بمُوجَبةٍ جُزْئِيَّةٍ"[(١)].

وقال: "وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جوابُ الاستفهام التقريري، **وقد تولَّى السائلُ الجوابَ لنفسه بنفسه؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك؛ لأنَّه لا يَقْدِرُ أن يُكابِرَ**، على ما قَرَّرْتُهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام:١٢]"[(٢)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٣٦٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٣٦٨).

◆ **الآية السابعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

في هذه الآية إلزامٌ للمشركين الذين لم يرضوا أن يُوَحِّدوا الله ﷻ ويتركوا عبادة الأوثان، جاءت هذه الاستفهامات المتتالية الإلجائية التي تلجئهم إلى أن يقولوا: إنَّه لا يفعل ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. قال الزمخشري: "قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ حتى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢]، فكأنَّهم كانوا يُقِرُّون بألسنتهم مرّةً، ومرّةً كانوا يتلعثمون عنادًا وضرارًا وحذارًا من إلزام الحجة، ونحوه قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:١٦]، **وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم**"[١].

وقال ابن عطية: "هذا توقيف وتوبيخ **واحتجاج لا محيد عن التزامه**"[٢].

◆ **الآية الثامنة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس:٣٤].

احتوت هذه الآيةُ على استفهامٍ إلجائيٍّ، أُلْجِئ فيه المشركون إلى الإقرار بأنَّ الله هو المستحق للعبادة، وذلك عن طريق استفهامهم عن إبداء الخلق وإعادته هل يفعل ذلك أحدٌ من شركائهم؟ فلمَّا كانت الإجابة لا؛ كان ذلك إلجاءً لهم إلى الاعتراف بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٨١).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ١١٧).

قال أبو جعفر الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس:٣٤]. يقول –تعالى ذِكْره– لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ يعني: مِن الآلهة والأوثان ﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ يقول: مَن يُنشئ خَلْق شيءٍ مِن غير أصل، فيُحْدِث خلقَه ابتداءً، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يقول: ثم يُفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، **فإنَّهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها، وفي ذلك الحجة القاطعة والدَّلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أربابٌ**، وهي لله في العبادة شركاء، كاذبون مفترون، فقل لهم حينئذ يا محمد: الله يبدأ الخلق، فينشئه من غير شيء"[(١)].

ففي قوله: "فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها" معنى الإلجاء، وإن لم ينصَّ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقريبٌ من هذا ما قاله الزمخشري[(٢)].

◆ **الآية التاسعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

في هذه الآيات استفهامان إلجائيَّان متتاليان: أولهما كان فيه السؤال عن الشركاء الذين يُشرك بهم مع الله: أيُوجَد فيهم من يهدي إلى الحق؟ فلمَّا لم يستطيعوا أن يُثْبِتوا ذلك لغير الله؛ جاء الاستفهام الإلجائي الثاني: أيكون الاتِّباعُ لمن يهدي إلى الحقِّ؟ أم يكون الاتباع لِمن لا يستطيع أن يهتدي إلا بهداية غيره له؟!

(١) جامع البيان، للطبري (١٥/ ٨٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٣٤٦).

قال ابن جرير: "**فإنَّهم لا يقدرون أن يدَّعوا أنَّ آلهتهم وأوثانهم تُرْشِدُ ضالًّا**، أو تهدي جائرًا، وذلك أنَّهم إن ادَّعوا ذلك لها أَكْذَبَتْهُمُ المشاهدةُ، وأبان عجزَها عن ذلك الاختبارُ بالمعاينة، فإذا قالوا: لا، وأقرُّوا بذلك، فقل لهم: فالله يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق"(١).

◆ الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦].

هذه الآية مثل آيات سابقَةٍ أُلْجِئ فيها المشركون إلى الإقرار برب السموات والأرض. قال الماوردي: "قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أَمَر اللهُ تعالى نبيَّه أن يقول لمشركي قريش: ﴿ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، ثُمَّ أمره أن يقول لهم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ **إن لم يقولوا ذلك إفهامًا قالوه تقريرًا؛ لأنَّه جعل ذلك إلزامًا**"(٢).

وقريب منه قول الزمخشري(٣).

◆ الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [طه: ٨٥، ٨٦].

عندما ذهب موسى للقاء ربِّه ترك قومَه مع أخيه هارون موصيًا إياهم بالاستقامة على حدود الله واتباع شرعه، ولكنهم -كعادة بني إسرائيل-

(١) جامع البيان، للطبري (١٥/ ٨٧).
(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣/ ١٠٥).
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٥٢٢).

خالفوا أمره، وعبدوا العِجْلَ من بعده، فجاءهم بهذا الاستفهام مخيِّرًا إياهم بين خيارين لا يستطيعون إلا اختيار أحدهما، فكان الاختيار بين أمرين: هل طال عليكم العهد؟ وهذا لا يمكن أن يختاروه، وكان الخيار الثاني: هل أردتم أن يحل عليكم غضبٌ من ربكم؟! فألجأهم إلى اختيار هذه الإجابة وإن كانوا لم يريدوا ذلك أصلًا.

قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، **وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف** بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أنَّ طول العهد لا يمكن ادعاؤه"(١).

◆ الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

وهذه الآية شبيهةٌ بآيات سابقة كان فيها إلجاءٌ إلى الإقرار بأحقيَّةِ الله بالعبادة دون مَن سواه.

قال القاضي البيضاوي: "﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إن كنتم مِن أهل العلم، أو مِن العالمين بذلك، فيكون استهانةً بهم، وتقريرًا لفرط جهالتهم، حتى جهلوا مثل هذا الجَلِيِّ الواضح؛ **إلزامًا بما لا يمكن لِمَن له مَسْكَةٌ مِن العلم إنكارُه**، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يُجيبوا، فقال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ **لأنَّ العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظرٍ إلى الإقرارِ بأنه خالقها**"(٢). فقوله: "إلزامًا"، و"قد اضطرهم" جليٌّ في معنى الإلجاء.

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٣٢٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٩٣).

وقال ابن كثير: "﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾؛ أي: مَن مالِكها الذي خلقها ومَن فيها مِن الحيوانات والنباتات والثمرات، وسائر صنوف المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾؛ أي: فيَعْتَرِفُون لك بأنَّ ذلك لله وحده لا شريك له"[1]. فقوله: "فيعترفون لك" هو بسبب إلجائهم.

◆ الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧].

وهذه مثل سابقتها[2].

◆ الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

وهذه مثل سابقتها[3].

◆ الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٢، ٦٣].

في هذه الآية إلزامٌ في مقامٍ لا ينفع معه الالتزام، فإنَّ هذا السؤال يكون في عرصات يوم القيامة، حيث لا ينفع ندمٌ ولا إجابة، ويُراد بهذا الإلزام إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل في ذلك المقام حتى لا يبقى لدى أحدٍ مُسْكَةٌ من شكٍّ. قال ابن عاشور: "وكان هذا الْمَقْصِدُ **إِلْجَاءً مِن الله إيَّاهم** لِيُعْلِنوا تَنَصُّلَهُم مِن ادِّعاء أنَّهم شُركاء على رؤوس الملأ"[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٨٩).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٢٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ١٥٩).

◆ **الآية السادسة عشرة: قوله تعالى:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

تُقَرِّرُ هذه الآية كما تُقَرِّرُ سابقاتُها وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ربوبيته، والتي يُلتزم بها وحدانيته في ألوهيته، ولنذكر في هذا المقامِ ما قاله عبد الكريم الخطيب في أسلوبٍ جماليٍّ حيث يوضح المراد من الإلجاء هنا بقوله: "﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء- عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمّرة، التي تدكّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعه، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾؟

وإنه لا يجرؤ أحد منهم أن يجيب بأن آلهتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر...

فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخّر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدّمى يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهًا وضلالًا؟ وبلى إنه السّفه والضلال والضّياع أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب الذي أجابوا به نطقًا، **أو إلجاءً، وإلزامًا**، إذ لا جواب لهم غيره! ﴿ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾"(١).

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١/ ٤٦٤).

◆ **الآية السابعة عشرة: قوله تعالى:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣].

ما زالتِ الآياتُ تَرِدُ في مقام إقرار استحقاق الله للوحدانية دونَ مَن يُعْبَدُ معه مِن قِبَلِ المشركين، فجاءُ الإلزام لهم والإلجاء بأن يقولوا: الله هو الذي نزل الماء من السماء، وهو الذي يحيي الأرض بعد موتها.

قال ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم:١٩]، ولَمَّا كان سياق الكلام هنا في مَساق التَّقرير كان الْمَقام مُقتضيًا لِلتَّأْكِيد بِزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ **إلجاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم**؛ فلذلك لم يكن مُقتضًى لزيادة (مِن) في آية البقرة، وفي الجاثية [٥] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾"[1].

◆ **الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

وهذه إحدى الآيات التي يُحتج بها على أنَّ الرازق هو الله، فهو المستحق للعبادة، لأنَّه لا يمكن أن يقولوا: إنَّه يوجد خالقٌ غير الله.

قال ابن عطية: "أمر الله تعالى نبيَّه على جهة الاحتجاج وإقامة الدليل على أنَّ الرزاق لهم من السماوات والأرض مَن هو، ثم أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السؤال؛ إذ هم في بهتة ووَجمة من السؤال، **وإذ لا جواب لهم** ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله، وهذه السبيل في كل سؤال جوابه

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٩).

في غاية الوضوح؛ لأنَّ المحتجَّ يُريد أن يقتضب ويتجاوز إلى حُجَّةٍ أخرى يوردها، ونظائر هذا في القرآن كثيرة"(١). وهنا فصّل في بيان معناه مِن حيث هو سؤال وجواب من نفس السائل ألجأهم به حيث قال: "وإذ لا جواب لهم ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله".

وقال ابن عاشور(٢) بما يُفيد معنى ما قاله ابن عطية.

فهذا تطبيق عملي من المفسرين -رحمهم الله تعالى- في بيان هذا النوع من الاستفهام وأهميته. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٤١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ١٩٢).

الخاتمة

توصلت مِن خلال دراستي لآيات الإلجاء إلى ما يلي:

١- أنَّ طائفة ليست بالقليلة مِن المفسرين من لدن الإمام الطبري وحتى عصرنا هذا قد تكلموا عن هذا الاستفهام الإلجائي.

٢- في الاستفهام الإلجائي دلالةٌ على قُوَّة الحُجَّة والبيان في القرآن الكريم، حيث أُفْحِم قريشٌ بجنس ما برعوا فيه، وهو الفصاحة والبلاغة في الخطاب.

٣- الاستفهام مستعمل في التقرير والإلجاء، كما أنَّه مستعمل في الإنكار، وفي التهكم والسخرية، وهَلُمَّ جَرّا.

٤- أنَّ المتكلم يُبادر إلى الجواب ليبني ما يستأنف مِن قوله عليه، فيقول: جوابًا عن المقررين: بَلى، حيث كان الأمر بينًا في نفسه، وهذا يحسن في الأمور البينة التي لا محيد في جوابها.

٥- إبلاغ الحجة؛ لأنَّ الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجة، مقدرة فيه محاورة، وليس هو محاورةً حقيقية، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.

٦- جذب الانتباه والتشويق لما بعده؛ إذ إنَّ السامع متلهف لمعرفة الجواب، فهو أبلغ تَأْثِيرًا.

٧- من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام، ومن المعلوم والمتقرر عند أهل التخصص أنَّ هذه السورة قد جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٨- بلغت عدد المواضع (١٨) موضعًا.

وأوصي طلبة العلم بمزيد اعتناء بهذا النوع من الاستفهام؛ إذ فيه ما سبق ذكره، وفيه من التقرير والفصاحة ما يظهر إعجاز القرآن.

المصادر والمراجع

١. «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د. ط، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. «أحكام القرآن». المالكي، محمد بن عبد الله؛ ابن العربي المعافري الإشبيلي (ت٥٤٣هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣. «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)». العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ). د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤. «الألفاظ». ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ). تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.

٥. «الإملاء والترقيم في الكتابة العربية». إبراهيم، عبد العليم (المتوفى بعد ١٣٩٥هـ). د. ط، مصر: مكتبة غريب.

٦. «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية». الطوفي، أبو الربيع؛ نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت٧١٦هـ). تحقيق: سالم بن محمد القرني. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.

٧. «أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)». البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨. «إيضاح شواهد الإيضاح». القيسي، أبو علي؛ الحسن بن عبد الله (ت القرن السادس). دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٩. «البحر المحيط في التفسير». الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٠. «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١١. «البلاغة العربية». الميداني، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (ت١٤٢٥هـ). ط١، دمشق: دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين. د. ط، دار الهداية، د. ت.

١٣. «التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت١٣٩٣هـ). د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٤. «تفسير الشعراوي». الشعراوي، محمد متولي (ت١٤١٨هـ). د. ط، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٥. «تفسـير القرآن العظيـم». ابن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر القرشـي البصري ثم الدمشـقي (ت٧٧٤هـ). تحقيق: سـامي بن محمد سـلامة. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٦. «تفسـير القرآن». السـمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المـروزي التميمـي الحنفي ثم الشـافعي (ت٤٨٩هـ). تحقيق: ياسـر بـن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧. «التفسـير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم يونـس (ت بعد ١٣٩٠هـ). د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

١٨. «تفسـير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ). ط١، مصر: شـركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٩. «تفسـير المنـار». رضا، محمد رشـيد (ت١٣٥٤هـ). د. ط، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٠. «التفسـير الوسـيط للقرآن الكريـم». مجموعة من العلماء بإشـراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢١. «تفسـير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. «التلخيص في معرفة أسـماء الأشـياء». العسـكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سـهل بن سـعيد (ت نحو ٣٩٥هـ). عني بتحقيقه: د. عزة حسـن. ط٢، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م.

٢٣. «التنوير شرح الجامع الصغير». الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت١١٨٢هـ). تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم. ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٤. «تهذيب اللغة». الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٥. «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر (ت٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع». الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت١٣٦٢هـ). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

٢٧. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥هـ). تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٢٨. «حاشية السندي على سنن النسائي». السندي، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين (ت١١٣٨هـ). ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٩. «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)». الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ). د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

٣٠. «دراسات لأسلوب القرآن الكريم». عضيمة، محمد عبد الخالق (ت١٤٠٤هـ). د. ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

٣١. «درر الحكام في شرح مجلة الأحكام». أفندي، علي حيدر خواجة أمين (ت١٣٥٣هـ). تعريب: فهمي الحسيني. ط١، دار الجيل، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٢. «الذريعة إلى مكارم الشريعة». الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ). تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. د. ط، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٣. «رد المحتار على الدر المختار». ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ). ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٤. «روح البيان. الخلوتي»، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت١١٢٧هـ). د. ط، بيروت: دار الفكر.

٣٥. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٦. «شرح التصريح على التوضيح». الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد (ت٩٠٥هـ)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧. «شرح المعلقات السبع». الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت٤٨٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٨. «العيـن». الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت١٧٠هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. د. ط، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

٣٩. «غرائب التفسير وعجائب التأويل». الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين المعروف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ). د. ط، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية/ بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د.ت.

٤٠. «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب». الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت٧٤٣هـ). ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤١. «القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا». أبو حبيب، د. سعدي. ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٢. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله (ت٥٣٨هـ). ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤٣. «اللباب في علوم الكتاب». ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٤. «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ). ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٥. «المبسوط». السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت٤٨٣هـ)، د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٦. «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها». ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت٣٩٢هـ). د. ط، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٧. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٨. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت٤٥٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩. «مختار الصحاح». الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط٥، بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ). د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٥١. «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت٥١٠هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢. «معجم اللغة العربية المعاصرة». عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ). ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥٣. «المعجم الوسيط». مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د. ط، دار الدعوة، د.ت.

٥٤. «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب». ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت٧٦١هـ). تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

٥٥. «مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)». الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت٦٠٦هـ). ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٦. «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين». الأشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ). عني بتصحيحه: هلموت ريتر. ط٣، ألمانيا: دار فرانزشتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٧. «الموسوعة الفقهية الكويتية». وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

٥٨. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت٨٨٥هـ). د. ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٥٩. «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ). تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٠. «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد». البسيلي، أبو العباس التونسي (ت٨٣٠هـ). تقديم وتحقيق: محمد الطبراني. ط١، الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦١. «نواهـد الأبـكار وشـوارد الأفكار (حاشـية السـيوطي على تفسـير البيضـاوي)». السـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الديـن (ت٩١١هـ). د. ط، مكة: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

٦٢. «همع الهوامع في شـرح جمع الجوامع». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. د. ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الرابع

بِنَاءُ سُورَةِ ٱلْحَاقَّةِ عَلَى تَعْظِيمِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُقْتَضَى ٱلْعُبُودِيَّةِ

ٱلْبَاحِثُ: د/ تَوْفِيق عَلِي زَبَادِي

الباحث في مركز تفسير للدراسات القرآنية (سابقًا)

وعضو هيئة التدريس بمعهد مكة للدراسات القرآنية

❁ حصل على درجة **الماجستير** في التفسير وعلوم القرآن جامعة أم درمان الإسلامية **بأطروحته:** (منهج القرآن في مدح القلة وذم الكثرة).

❁ حصل على درجة **الدكتوراه** في التفسير وعلوم القرآن جامعة أم درمان الإسلامية **بأطروحته:** (الإصلاح والإفساد في ضوء القرآن).

أهم النتاج العلمي:

❁ إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية.

❁ نحو ختمة قرآنية تدبرية ارتقائية في الفكر والسلوك (جمعية المحافظة على القرآن الكريم) في الأردن.

❁ أثر التفسير الموضوعي في الارتقاء بالعلوم الطبيعية لكرسي الدراسات القرآنية بجامعة الملك عبد العزيز.

❁ مناسبة القصص لمقاصد السور، مجلة الوحيين.

❁ مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة (تفسير - حديث).

❁ استنباط الأحكام الشرعية من الأمثال القرآنية مجلة المدونة، المجمع الفقهي في الهند.

❁ الأخوة المُعِينة في ضوء القرآن الكريم، مجلة (مجمع) الماليزية التابعة لجامعة المدينة الماليزية.

❁ **البريد الإلكتروني:** *Towfeekali@hotmail.com*

مجلة تدبر

مستخلص البحث

هـذا البحث يوضح ويبين كيف أن السـورة القرآنيـة تُظهر عظمة الله من خـلال أفعاله، وما يجب على العباد من مقتضى العبودية، وأسـلوب السـورة القرآنية في تقرير العظمة في قلوب العباد؛ فلكل سـورة أسلوبها الخاص في بيان العظمة وما يجب نحوها من العبودية.

تنـاول هـذا البحـث: المـراد بالتعظيـم، ومـا الألفـاظ المقاربة له، ومفهـوم العبوديـة ومقتضاها، والمقصود باسـم الله العظيـم وصفته العظمة، وأثر السـورة القرآنية في زيادة الإيمان بالعظمة الإلهية، ومقصد سورة الحاقة، وأغراض سورة الحاقة، وآثار اسم الله العظيم وصفته العظمة في سورة الحاقة، وأفانين سورة الحاقة في تقرير العظمة الإلهية ومقتضى العبودية.

وكانت أهم النتائج:

١- لكل سـورة من سور القرآن أسلوبها الخاص في تعظيم الله ومقتضى العبودية، من قصص، وأمثال، وأقسـام، ومواعظ، وحـوارات، وآيات كونية، وأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، والسنن الإلهية، وغير ذلك من الأساليب.

٢- التناسـق بيـن أفانيـن السـورة الواحـدة، في تقريـر العظمـة الإلهية، ومقتضى العبودية بالصورة التي تنير العقول وتغذي القلوب بالخشية.

وكان من أهم التوصيات:

القيام بدراسـة علمية في بيان القـرآن الكريم للتعظيم ومقتضاه، وجزائه، وأسلوب ذلك على مستوى كل سورة.

الكلمات المفتاحية : بناء- السورة- العظمة- العبودية.

مجلة تدبر

Basing the Chapter of Al-Haqqah on the Glorification of Allah (Exalted be He) and the Requisites of Devotion

Prepared by

Dr. Tawfiq Ali Zabadi

and a faculty member at Makkah Institute for Qur'anic Studies

E-mail: Towfeekali@hotmail.com

Summary:

This research clarifies how the Qur'anic chapter demonstrates the Greatness of Allah **(Exalted be He)** through His actions and the requirements of devotion that devoted worshippers must fulfill. It also shows how the Qur'anic chapter inculcates Allah's Greatness in the minds of His devoted worshippers. Each chapter has its own style of highlighting Greatness and the requisites of devotion.

This research deals with the meaning of glorification, the related close terms, the concept of devotion and its requirements, the meaning of Allah's Name "the Magnificent" and the attribute "Greatness", and the impact of the Qur'anic chapter on enhanced faith in divine Greatness. It also discusses the aims and objectives of the chapter of Al-Haqqah, how Allah's Name "the Magnificent" and His Attribute "Greatness" are portrayed in the same chapter and

the techniques it uses to confirm divine Greatness and the requirements of devotion.

Main Findings:

1- Each of the Qur'anic chapters has its own style of exalting Allah and explaining the requirements of devotion, including stories, parables, moral lessons, dialogues, cosmic wonders, the Best Names of Allah **(Exalted be He)**, His Supreme Attributes, divine normative precedents, and so on.

2- There is significant consistency between the techniques that each Qur'anic chapter uses to confirm divine Greatness and the requisites of devotion in a way that illuminates minds and nourishes hearts with awe and reverence.

Primary Recommendations:

A scientific study should be conducted on how the Noble Qur'an handles glorification, its requirements, and its recompense at the level of each chapter.

Key words: basing - chapter - Greatness –devotion.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد،،

فإنَّه لا حياة للمسلم في دينه إلا بالقرآن، ولا يوجد كتاب لإمام مجتهد، ولا لمصنف مقلد، يغني عن تدبر كتاب الله؛ في إشعار القلوب عظمة الله -تعالى- وخشيته، وحبه، **ورجاء رحمته**، والخوف من عقابه.

ومعرفة عظمته - سبحانه - في القرآن من طريقين: **أحدهما**: النظر في **أفعاله**، **والثاني**: التفكر في آياته وتدبرها؛ فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول، كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وهو كثير أيضًا.

فأما المفعولات؛ فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات؛ فإن المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه[1].

وقد عرَّفنا الله بعظمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من خلال أفعاله: الدالة على إحسانه لخلقه ورحمته بهم من إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم؛ ليبينوا لعباده طريق الحياة الطيبة، وما فيها: من الرعاية والعناية والولاية بعباده المؤمنين في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة في دار كرامته من النعيم الدائم، وما فيها: من البطش والانتقام والعقوبة لغير المعظمين له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما فعل بالقرى الظالمة في الدنيا، وما أعده لهم في اليوم العظيم من أهوال عِظام تتناسب مع عِظم الكفر بالعظيم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وعلى قدر تعظيم الله في القلوب؛ تكون الخشية والتذلل لعلام الغيوب.

وفي هذا البحث سوف أوضح وأبين كيف أن السورة القرآنية تُظهر عظمة الله من خلال مفعولاته، وما يجب على العباد من مقتضى العبودية؛ وأسلوب السورة القرآنية في تقرير العظمة في قلوب العباد، فلكل سورة أسلوبها الخاص في بيان العظمة وما يجب نحوها من الخشية.

وهذه العظمة لا يدركها أحد من البشر، قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لكن يأتي بها الموفقون على قدر طاقتهم البشرية.

نسأل الله القبول الحسن

(١) الفوائد، لابن القيم: ٢٠. بتصرف يسير.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في إبراز (بناء سورة الحاقة على تعظيم الله ومقتضى العبودية).

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن (بناء سورة الحاقة على تعظيم الله ومقتضى العبودية). من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما المقصود بـ (بناء السورة القرآنية)؟

٢- ما المراد بالتعظيم، وما الألفاظ المقاربة للتعظيم؟

٣- ما مفهوم العبودية ومقتضاها؟

٤- ما المقصود باسمه العظيم وصفته العظمة؟

٥- ما أثر السورة القرآنية في زيادة الإيمان بالعظمة الإلهية؟

٦- ما مقصد سورة الحاقة؟

٧- ما أغراض سورة الحاقة؟

٨- ما آثار اسم الله العظيم وصفته العظمة في سورة الحاقة؟

٩- ما أفانين السورة في تقرير العظمة الإلهية؟

أسباب اختيار الموضوع:

تحدث جمع من العلماء والباحثين عن الوحدة الموضوعية للسورة وكيف أن السورة تخدم موضوعًا رئيسًا، وإنْ تعدَّدت الموضوعات الفرعية فيها، **لكنها عائدة إلى موضوع واحد تأخذ فيه آياته؛ بعضها برقاب بعض؛**

لتحقيـق الموضـوع الرئيس، ولم يتطـرق أحد لموضوع **(بناء السـور القرآنية على العظمة الإلهية ومقتضى العبودية)**؛ لذلك عزمت مسـتعينًا بالله لإبراز بناء سورة الحاقة على التعظيم ومقتضى العبودية؛ كنموذج لهذا الموضوع.

أهمية الموضوع:

١- خدمة كتاب الله الكريم.

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.

٣- إبـراز أنه كيف تُبنى السـورة القرآنية على العظمـة الإلهية ومقتضى العبودية؟

الدراسات السابقة:

نُوقِشـت رسـائل علمية تناولت تعظيم الله مثل: رسـالة دكتوراه، بعنوان (المنهـج القـرآني في تعظيم الله تعالـى) قام بها الباحث سـليمان عقاب مفضي الزعبي، في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمَّان، ٢٠١٥م.

ورسـالة دكتـوراه أخرى بعنوان **(عظمة الله تعالـى في القرآن من خلال اسـم الله «الرب»)**، قامت بها الباحثة سـماح محمد عابـد المولد، جامعة أم القرى، ٢٠١٨م.

ومن الرسـائل التي نوقشـت في سـورة الحاقة رسـالة ماجسـتير بعنوان (المضامين التربوية المستنبطة من سورة الحاقة وتطبيقاتها في الواقع المعاصر)، قام بها الباحث عبد الرحمن بن عابد بن حسن الشنبري، جامعة أم القرى، قسم التربية الإسلامية، ١٤٣٦هـ.

وهذه الرسائل لم تتعرض لموضوع بحثنا.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

والمنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقرأة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة، وتحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مبحث تمهيدي:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الثاني: العظيم من أسماء الله تعالى والعظمة من صفاته.

المطلب الثالث: تعظيم الله على قدر العِلْم به.

المطلب الرابع: بناء السورة القرآنية على التعريف بعظمة الله المقتضية شدة خشيته.

المطلب الخامس: أثر السورة القرآنية في زيادة الإيمان بالعظمة الإلهية.

المطلب السادس: دلالة فواتح السور وخواتيمها، وفواتح الكتاب وخواتيمه على التعريف بالله وبيان عظمته ومقتضى العبودية.

المبحث الثاني: سورة الحاقة دراسة تطبيقية على بيان مظاهر العظمة الإلهية ومقتضى العبودية:

المطلب الأول: عظمة الله في اليوم العظيم.

المطلب الثاني: عظمة الله في إهلاك المكذبين باليوم العظيم وإنجائه المعظمين له.

المطلب الثالث: عظمة الله في مشاهد القيامة.

المطلب الرابع: ثواب المعظمين لله يوم القيامة.

المطلب الخامس: عقاب من لا يرجون لله عظمة يوم القيامة.

المطلب السادس: القَسَم العظيم ودلالته على التعظيم.

المطلب السابع: التهديد العظيم للمتقِّول على العظيم.

المطلب الثامن: الندامة العظيمة للمكذب بالقرآن العظيم، ومقتضى العبودية للعظمة الإلهية.

المبحث الثالث: أفانين السورة في تقرير العظمة الإلهية.

المطلب الأول: الأساليب.

المطلب الثاني: الوسائل.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

المبحث الأول

مبحث تمهيدي

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

بناء:

(بَنَـيَ) الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشـيء بضم بعضه إلى بعض. تقول: بنيت البناء، أبنيه(١).

السُّورَةُ:

المنزلـة الرفيعة، وسُـورُ المدينـة: حائطها المشـتمل عليها، وسُـورَةُ القرآن تشـبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السُّـور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر(٢).

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عالٍ يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن(٣).

واصطلاحًـا: قرآن يشـتمل على آيٍ، ذي فاتحة وخاتمـة، وأقلها ثلاث آيات(٤).

التعظيم لغة:

عَظَمَ:

الْعَيْـنُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَـدُلُّ عَلَى كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. فَالْعِظَمُ:

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (١/ ٣٠٢).
(٢) مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: (٤٣٤).
(٣) الكليات، للكفوي، (٤٩٤).
(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (ص٤١).

مَصْدَرُ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ[1].

والعظيم: مِنْ صِفاتِ اللهِ ﷻ العلِيُّ العَظِيمُ، ويُسبِّح العبدُ رَبَّه فَيَقُولُ: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ)؛ والعَظِيمُ: الَّذِي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عَنْ حدودِ العُقول حَتَّى لَا تُتَصَوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتهِ[2].

وَ(التَّعْظِيمُ): التَّبْجِيلُ[3].

التعظيم اصطلاحًا:

التعظيم: معرفة العظمة، مع التذلل لها[4].

الألفاظ المقاربة للتعظيم:

١- التسبِيح:

التسبِيح: تعظِيم الله وتنزيهه عن السوءِ[5].

قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]؛ أي: وصلِّ.

قيل سبَّح: صلَّى، ويقال: فرغت من سُبحتي، من صلاتي. وإنما سميت الصلاة تسبيحًا؛ لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوءِ؛ فالصَّلاة يوحَّد الله فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرئه من السوءِ؛ فلذلك سُمِّيت الصلاة السُّبحة[6].

٢- القَدْر:

قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ما عرفوا الله حق

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٣٥٥.
(٢) لسان العرب، لابن منظور: ١٢/ ٤٠٩.
(٣) مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي: ٢١٢، (ع ظ م).
(٤) مدارج السالكين، لابن القيم: ٢/ ٤٦٤.
(٥) معاني القرآن، للزجاج: ٥/ ٢٢.
(٦) المرجع السابق: ١/ ٤٠٩.

معرفته، أو ما عظَّموه حق عظمته ما يحتمل وسع الخلق[١].

٣- التكبير:

الْكِبْرُ: الْعَظَمَةُ، وَكَذَلِكَ الْكِبْرِيَاءُ[٢].

قال ﷻ: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾ [المدثر: ٣]؛ أي: عظِّم، وتعظيمه: أن يجيبه فيما دعاه إليه، ويطيعه فيما أمره، وأن يتحمل ما ألزمه عمله، فذلك هو تعظيمه[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]؛ أي: عظِّمه تعظيمًا شديدًا، ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلى كل ما يرضيه[٤].

والفرق بين الكبرياء والعظمة: أن الكبرياء متعلق بالذات، والعظمة بالصفات[٥].

وقيل: الكبرياء: الترفع والتنزه عن كل نقص، والعظمة: تجاوُز القدر عن الإحاطة[٦].

٤- الوقار:

الوَقارُ: السُّكونُ والحلمُ. يقال: هو وَقُورٌ، ووَقَارٌ ومُتَوَقِّرٌ. والوَقِيرُ: القطيعُ العظيمُ من الضأن، كأنَّ فيها وَقَارًا لكثرتها وبطء سيرها[٧].

(١) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي: ٨/ ٧٠٨.
(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٥/ ١٥٤.
(٣) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي: ١٠/ ٣٠٠.
(٤) أضواء البيان، للشنقيطي: ٣/ ١٩٠.
(٥) شرح مسند أبي حنيفة: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: ت: الشيخ خليل محيي الدين الميس: ١/ ٥٦٨.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري: ٣/ ٩٠٩.
(٧) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٨٨٠.

والوقار: العظمة المقتضية للإجلال(١).

قـال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته(٢)؛ أي: لا تخافون من بأسه ونقمته.

٥- تبارك:

برك:

البَرَكَةُ: ثبوت الخير الإلهي في الشيء(٣).

﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، تَمْجِيدٌ وَتَجْلِيلٌ(٤).

وقال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١].

تبارك: تعاظَم وتعالى(٥).

٦- الجد:

جَد:

الجَدُّ: قطع الأرض المستوية، ومنه: جَدَّ في سيره يَجِدُّ جَدًّا، وكذلك جَدَّ في أمره وأَجَدَّ: صار ذا جِدٍّ... وسمي الفيض الإلهي جَدًّا، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣]؛ أي: فيضه، وقيل: عظمته، وإضافته إليه على سبيل اختصاصه بملكه(٦).

الجَدُّ: **العظمة والجلال**(٧).

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١٩٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ٨/ ٢٣٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ١١٩.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس: ١/ ٢٣١.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ٢٣/ ٥٠٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ١٨٨.

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ٢٢٢.

قال تعالى: في سـياق تعظيم الجـن لله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

وقال الجن ذلك؛ تمهيـدًا وتوطئـةً لقولـه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾؛ لأن اتخاذ الصاحبة للافتقار إليها لأنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها، وكل ذلك من آثـار الاحتياج، والله تعالى الغني المطلق، وتعالى جـده بغناه المطلق، والولد يرغب فيه للاسـتعانة والأنس به، مع ما يقتضيه من انفصاله من أجزاء والديه؛ وكل ذلك من الافتقار والانتقاص[١].

٧- العبودية:

العُبُوديَّـة في اللغـة: إظهار التَّذلُّل، والعِبَـادَةُ أبلغُ منها؛ لأنها غاية التَّذلُّل، ولا يسـتحقُّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣][٢].

والْعِبَادَة في الاصطلاح: اسْـم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمـال الْبَاطِنَـة وَالظَّاهِرَة؛ فَالصَّـلَاة، وَالزَّكَاة، وَالصِّيَـام، وَالْحج، وَصدق الحَدِيث، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وبرُّ الْوَالِدين، وصلَة الْأَرْحَام، وَالْوَفَاء بالعهود، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالْجِهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقين، وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسـكين وَابْن السَّـبِيل والمملوك مـن الْآدَمِيِّين والبهائـم، وَالدُّعَاء وَالذِّكر وَالْقِرَاءَة، وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة[٣].

مقتضى العبودية:

لكل صفة من صفات الله عبوديةٌ خاصة هي موجبات العلم بها والتحقق

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ٢٢٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٥٤٢.

(٣) العبودية، لابن تيمية: ٤٤.

بمعرفتها، وهذا مطَّرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح[1].

فالعبودية تقوم على العلم بالصفة الإلهية والتحقق بها.

فعبودية التعظيم:

هي: معرفة العبد بجلال الله وعظمته وعِزِّه؛ تُثْمِر له عبودية قلبية هي: الخضوع، والاستكانة، والمحبة، وتُثْمِر لَهُ تِلْكَ العبودية القلبية عُبُودِيَّة على الجوارح والتي من أمثلتها:

١- **في الحج: حلق الرأس: خضوعًا وذلًّا؛** لأنه وَضْع النواصي بين يدي ربها خضوعًا لعظمته، وتذللًا لعزته، وهو من أبلغ أنواع العبودية.

٢- **في الصلاة: ركن الركوع**، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا حالة المصلي في الركوع: "... ثم يرجع جاثيًا له ظهره، خضوعًا لعظمته، وتذللًا لعزته، واستكانة لجبروته، مسبحًا له بذكر اسمه العظيم؛ فنزَّه عظمته عن حال العبد وذُله وخضوعه، وقابَل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تَطامن وطأطأ رأسه وطوى ظهره، وربُّه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه؛ فهو ركن تعظيم وإجلال[2]، كما قال ﷺ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** عَزَّ وَجَلَّ»[3].

وفي كلتا العبادتين وضع العبدُ ناصيته بين يدي مولاه خضوعًا لعظمته، واستكانة لعزته، وخشية وتذللًا لهيبته، وافتقارًا إلى عصمته ورحمته؛ لأن المناسك والصلوات هما المختصتان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لعظمته، وقد جمع الله بينهما في قوله على لسان الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم: (٢/ ٩٢).

(٢) شفاء العليل، لابن القيم: ١١٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٤٧٩)، والحديث رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خاتم المرسلين بالإتيان بهما فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ومن تعظيمه ﷺ لربه: دخوله مكة المكرمة فاتحًا **واضعًا رأسه** منحنيًا على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته، واستكانة لعزته؛ أن أحلَّ له حرمه وبلده، ولم يحل لأحد قبله ولا لأحد بعده، روى البخاري بسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**حَرَّمَ اللهُ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُعَرِّفٍ**»[(١)].

المطلب الثاني: العظيم من أسماء الله تعالى والعظمة من صفاته.

العظيم: من أسماء الجلال، وهي: العظيم، القدير، القوي، المتين، ذو الجلال، الجليل، وهي الأسماء التي توحي بعظمة الله تبارك وتعالى وبالخشية منه.

وقد ورد اسمه العظيم في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **والعلي:** ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته، و"**العظيم**": ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

والعظيم: ذو العظمة والجلال في مُلْكِهِ وسلطانه عَزَّ وَجَلَّ[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**العظيم**: الجامع؛ فجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن

(١) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: بَابٌ: لَا يُنَفَّرُ صَيْدُ الحَرَمِ، (١٨٣٣).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ٥/ ٤٠٥.
(٣) اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي: ١١١.

عظمة كل شيء، وإن جلَّت في الصفة؛ فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم"[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[2]:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعـ ظيم لا يُحصيه من إنسان

والله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يُثنِي عليه كما ينبغي له ولا يُحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يُثني عليه عباده.

ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كفِّ الرحمن أصغر من الخردلة، كما قال ذلك ابن عباس[3] وغيره، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يُعظَّم الله؛ فيستحق جل جلاله من عباده أن يُعظِّموه بقلوبهم،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي: (١/ ٣١٥).

(٢) متن القصيدة النونية، لابن القيم: (٢/ ٢١٤).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٤٥)، وأورده السيوطي في الدر (٧/ ٢٤٨)، وعزاه إلى عبد ابن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. ومن تعظيمه أن يُتَّقى حق تقاته؛ فيطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر. ومن تعظيمه تعظيم ما حرَّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]. ومن تعظيمه: ألَّا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه[1].

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيمٌ في كل شيء، عظيم في ذاته، وفي أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيمَ يدانيه.

ومن قواعد التعظيم:

١- أن يثني العبدُ عليه كما أثنى هو عَزَّوَجَلَّ على نفسه، وكما أثنى عليه رسوله ﷺ، روى مسلم بسنده عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «... **لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[2].

٢- أن تعظيم الله لا يحيط به أحد، فالتكليف بالتعظيم حسب الطاقة البشرية.

٣- تعظيم ما عظَّمه عَزَّوَجَلَّ من زمان ومكان وأعمال، وشعائر، وشرائع.

(١) الحق الواضح المبين، عبد الرحمن السعدي: (ص٢٧، ٢٨) وانظر: الكافية الشافية، أبو عبد الله؛ محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني: (ص١١٧).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: بَابُ: مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، (٤٨٦).

٤- التعظيم باللسان ثناءً، وبالقلب خضوعًا وتذللًا وتسليمًا، وبالجوارح امتثالًا وانكسارًا.

٥- على قدر العلم بالله ﷻ يكون تعظيمه والخشية منه.

۞ المطلب الثالث: تعظيم الله على قدر العِلْم به.

على قدر عِلم العبد بربه ومعرفته به؛ يكون تعظيمه له، وخشيته منه، قال تعالى في الآية التي قَرنت بين العلم بقدرة الله وعظمته وبين الخشية منه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء **العارفون** به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى- كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، وكانت الخشية له أعظم وأكثر(١).

والمراد بالعلماء في الآية: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك؛ تَقْوَى الخشيةُ، فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفة على وجهها؛ فليست علومهم بمقرِّبةٍ لهم من خشية الله، ذلك؛ لأن العالم بالشريعة لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية، فهو يفهم مواقعها حق الفهم، ويرعاها في مواقعها، ويعلم عواقبها من خير أو شر، فهو يأتي ويدع من الأعمال ما فيه مراد الله ومقصد شرعه(٢).

ويستدل من الآية على أنه: إنما يُعَظِّم الله ﷻ ويُبَجِّله حق التعظيم والتبجيل العلماءُ العافون به.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت: سلامة: ٦/ ٥٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٢/ ٣٠٥.

وسادة العلماء المعظمون لربهم الأنبياء الكرام، وأعظمهم معرفة بالله النبي محمد ﷺ، عَنْ مَسْرُوقٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "وإنما يكون القرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والخشية له؛ على حسب مَا أَمَرَ"(٢).

فعلى قدر تعظيم العبد لله سبحانه؛ يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليلٌ على تعظيم الآمر، وتعظيم الآمر سبب لخشيته.

قال سفيان الثوري، عن أبي حيان التيمي، عن رجلٍ قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالمٌ بالله عالـمٌ بأمر الله، وعالمٌ بالله ليس بعالمٍ بأمر الله، وعالمٌ بأمر الله ليس بعالمٍ بالله. فالعالم بالله وبأمر الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عَزَّ وَجَلَّ(٣).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما نقل عنه ابن القيم في تعظيم الأمر والنهي: هو أن لا يُعارَضا بترخُّص جاف، ولا يُعرَّضا لتشديد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد(٤).

---

(١) رواه الشيخان: أخرجه البخاري: كتاب الأدب: بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ، (٦١٠١)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته رقم ٢٣٥٦.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ١٥/ ١٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت: سلامة: ٦/ ٥٤٥.

(٤) الوابل الصيب، لابن القيم: ١٠.

وعلامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحيُّنها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفردًا؛ فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا[١].

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها.

وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحثات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعيةٌ إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله ﷻ إذا انتُهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا **عُصِيَ** الله تعالى في أرضه، **ولم يضلع**[٢] بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حدٍّ يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم على المنهج الوسط[٣].

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر على علةٍ تُضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ، بل يُسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممتثلًا ما أمر

(١) المرجع السابق: ١٠.

(٢) غير قادر على القيام بها.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم: ١٣.

بـه سـواء ظهرت له حكمته أو لـم تظهر، فإنْ ظهرت له حكمة الشـرع في أمره ونهيه؛ حمله ذلك على مزيد الانقياد والتسليم، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركِه[1].

وأما مراتب تعظيم الأمر:

فالتصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسـارعة إليه والمبادرة بـه رغم القواطـع والموانع، ثم بَـذْل الجهد والنصح في الإتيـان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورًا به؛ **بحيث لا يتوقف الإنسان** على معرفة حكمته فإن ظهرت له؛ فَعَلَه وإلا عطَّله، فهذا من عدم عظمته في صدره، **بل يُسَلِّم لأمر الله** وحكمتـه ممتثـلًا ما أمر به سـواء ظهرت لـه حكمته أو لم تظهـر؛ فإن ورد الشـرع بذكر حكمة الأمر أو فَقِهها العقـل؛ كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثـال، وإن لم تظهر له حكمته؛ لم يُوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله؛ فالمعظِّـم لأمـر الله يُجري الأوامـر والنواهي علـى ما جـاءت لا يعللها بعلل توهنها وتخدش في وجه حسـنها فضلًا عن أن يعارضها بعللٍ تقتضي خلافها؛ فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء[2].

المطلـب الرابـع: بناء السـورة القرآنية علـى التعريف بعظمة الله المقتضية شدة خشيته.

كلُّ سورة بُنِيَت على مقصد واحد يُدار عليه أوَّلُها وآخرُها، ويُستدلُّ عليه فيهـا، فتُرتَّب المقدِّمات الدَّالة عليه على أتقن وجـه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شـيء يحتاج إلى دليلٍ اسـتدلَّ عليه، وهكذا في دليل الدليـل، وهلمَّ جرًّا، فإذا

(١) المرجع السابق: ١٧.

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم: ٤/ ١٥٦٢.

وصـل الأمرُ إلى غايتِه خُتِـمَ بما منْه ابتدأ، ثم انعطف الـكلامُ وعاد النظر عليه على نهج آخَر بديع، ومَرَّ في غير الأوَّل منيع، فتكونُ السـورة كالشجرة النَّضيرة العالية والدَّوحة البهيجة الأنيقة الحَالِية المُزَيَّنة بأنواع الزِّينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدُّر وأفنانها منعطفةً إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلُّ دائرة منها لها شـعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السُّورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورةٍ دائرة كبرى مشـتملة على دوائر الآيات الغُرِّ البديعـة النظم العجيبة الضَّمِّ بِلِينِ تعاطف أفنائها، وحسن تواصُلِ ثمارِها وأفنانِها(١).

فمن مقتضَيات هذا أنَّ "مَنْ حقَّقَ المقصودَ مِنْ كُلِّ سُـورَةٍ عرف تناسبَ آياتها وقصصها وجميع أجزائها"(٢).

فالسُّـورةُ في تناسـب جُملها وآياتِها ونجومِها ومَعاقِدِها تُشبه الشَّـجرةَ ذات الأوراق والأغصان، والتي يسـري فيها كلِّها عصارةٌ واحدة، فلا تختلف طعومها ولا رائحتها، فجميع ثمارها سـواء، وجميع أغصانها وأوراقها سواء، هـذه العصـارة في الشـجرة هـي المقصـود والمغزى في السـورة وهـي المبدأ المُهيمن على كل شيء فيها(٣).

ولما كان لكل سورة مقصد أو غرض تام وقع بها التحدي؛ قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما كان التحدي بسـورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القـرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أمـورًا **لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مسـتوفٍ في غـرض من الأغـراض**؛ وإنما تنزل سـور القـرآن في أغراض

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، للبقاعيّ: ١/ ١٤٩. بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، للبقاعيّ: ١/ ١٤٩.

مقصـودة فلا غنًى عن مراعاة الخصوصيات المناسـبة لفواتح الكلام وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمـال والتفصيـل، وأحـكام الانتقـال من فن إلـى آخر من فنـون الغرض، ومناسـبات الاسـتطراد والاعـتراض والخـروج والرجـوع، وفصـل الجمـل ووصلهـا، والإيجاز والإطناب، ونحو ذلك ممـا يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام، **وتلك لا تظهر مطابقتها جليةً إلا إذا تم الكلام واستوفى الغرض حقه**"[(١)].

وقال في موضع آخر: "وإنما وقع التحدي بسـورة أَيْ وإن كانت قصيرةً دون أن يتحداهـم بعـدد مـن الآيـات؛ لأن من أفانيـن البلاغة مـا مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسـبب الغرض الذي سـيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض"[(٢)].

من أقوال العلماء في بناء السورة:

قال ابن القيم (ت: ٧٥١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بناء سورة الفاتحة: "اشـتملت على التعريـف بالمعبـود تبـارك وتعالـى بثلاثة أسـماء، مرجع الأسـماء الحسـنى والصفـات العليـا إليهـا، ومدارهـا عليها، وهـي: (الله، والـرب، والرحمن)، وبُنِيَت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة؛ فـ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] مبني علـى الإلهية، و﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحـة: ٥] على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة[(٣)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ٣٣٧.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ١٠٤.
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم: ١/ ٣٢.

وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) عن بناء سورة مريم: "وقد تكرر في هذه السورة **صفة الرحمن** ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات؛ فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠]"[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بناء سورة غافر: "أجرى على اسم الله تعالى- **غافر**[٢]- من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه؛ فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة"[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بناء سورة الحشر: لما تكرر في هذه السورة ذكر اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرة، منها أربع وعشرون بذكر اسم الجلالة، وست عشرة مرة بذكر ضميره الظاهر، أو صفاته العلية. وكان ما تضمنته السورة **دلائل على عظيم قدرة الله وبديع تصرفه وحكمته.**

وكان مما حوته السورة الاعتبار بعظيم قدرة الله إذ أيد النبي ﷺ والمسلمين ونصرهم على بني النضير ذلك النصر الخارق للعادة... وختم السورة بالتذكير بالقرآن الدال على الخير، **والمُعَرِّف بعظمة الله المقتضية شدة خشيته**؛ عقب ذلك بذكر طائفة من عظيم صفات الله ذات الآثار العديدة في تصرفاته المناسبة لغرض السورة زيادةً في تعريف المؤمنين بعظمته المقتضية للمزيد من خشيته،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٦٠.

(٢) قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالغفار: الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم" (تفسير الأسماء ٣٨).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٤/ ٧٧.

وبالصفات الحسنى الموجِبة لمحبته، وزيادةً في إرهاب المعاندين المعرِضين من صفات بطشه وجبروته؛ ولذلك ذكر في هذه الآيات الخواتم للسورة من صفاته تعالى ما هو مختلف التعلق والآثار للفريقين حظَّ ما يليق به منها[١].

وبالتأمل في سور القرآن كلها؛ نجد أن الله ﷻ عرَّف فيها عباده بعظمته في ذاته، وعظمته في ملكه، وعظمته في استوائه على عرشه، وعظمته في أمره ونهيه، وعظمته في إهلاك عدوه، وعظمته في رحمته بأوليائه ونصرتهم على أعدائهم وولايته سبحانه لهم وتربيته لهم، وعظمته في تنزيل كتابه العظيم رحمة بعباده وهداية لهم إلى صراطه المستقيم، وعظمته في إرسال رسله؛ ليبينوا للناس طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

بل نقول قولًا كليًا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة لتعظيم الله والإيمان به، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن:

- **إما خبر عن الله**، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التعظيم والإيمان العلمي الخبري.
- **وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعُ كل ما يعبد من دونه**، فهو التعظيم والإيمان الإرادي الطلبي.
- **وإما أمر ونهي**، وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التعظيم والإيمان ومكملاته.
- **وإما خبرٌ عن كرامة الله للمعظمين له المؤمنين به وطاعته**، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء تعظيمه والإيمان به.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٨/ ١١٨.

➢ **وإما خبرٌ عن أهل الشرك الذين لا يرجون له عظمة**، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن تعظيمه والإيمان به.

فتبين بذلك أن القرآن كله في تعظيم الله والإيمان به، وحقوقه وجزائه، وفي شأن من لا يرجون لله عظمة وجزائهم.

فإذا تدبر العبدُ السورة القرآنية؛ وجد فيها:

١- مظاهر عظمة الله عز وجل.

٢- حقوق هذه العظمة.

٣- جزاء هذه العظمة في الدنيا والآخرة.

٤- أفانين تقرير عظمة الله عز وجل.

على توسع في ذلك أو إيجاز.

فالقرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته:

- **فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال**؛ فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكِبْر كما يذوب الملح في الماء.
- **وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال**، وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدال على كمال الذات؛ فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله؛ فيصبح فؤاد عبده فارغًا إلا من محبته[١].

(١) الفوائد، لابن القيم: ٦٩.

المطلب الخامس: أثر السورة القرآنية في زيادة الإيمان بالعظمة الإلهية.

جعل الله ﷻ إنزال القرآن شفاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكانت السورة القرآنية إذا نزلت على المؤمنين؛ زادتهم إيمانًا وارتقت بهم من علم اليقين إلى حق اليقين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾، قال: كان إذا أنزلت سورة؛ آمنوا بها؛ فزادتهم إيمانًا وتصديقًا، وكانوا بها يستبشرون(١).

وقوله: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾: أضاف الإيمان إلى السُّورةِ؛ لأنه يزيد بسببها(٢)؛ لأنها أزيد لليقين والثبات، وأثلج للصدر(٣).

معنى زيادة السورة لإيمان أهل الإيمان:

لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرضُ الإقرار بها، والعمل بها بعينها، إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله حقٌّ، فلما أنزل الله السورة؛ لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه؛ فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٦/ ١٩١٥.
(٢) معاني القرآن، للزجاج: ٢/ ٤٧٦.
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٢/ ٣٢٤.
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ١٤/ ٥٧٧.

❁ ومن صور مظاهر العظمة الإلهية المقتضية لزيادة الإيمان:

١- ما تضمنته السورة القرآنية من إخبار، وأمر ونهي؛ يقتضي تعظيم الأمر والنهي؛ والذي يترتب عليه تعظيم الآمر، وهذا وجه من وجوه زيادة الإيمان.

٢- وما تضمنته السورة القرآنية من دليل أو تنبيه جديد على الإيمان؛ فيكون المؤمن قد عَرَفَ الله بعدة أدلة؛ فتزيد الأدلة الموجبة للإيمان بالله وعظمته.

٣- ومن وجوه الزيادة أن الرجل ربما عارضه شك يسير أو لاحت له شبهة مشغبة فإذا نزلت السورة؛ ارتفعت تلك الشبهة واستراح منها، فهذا أيضًا زيادة في الإيمان، إذ يرتقي اعتقاده عن مرتبة معارضة تلك الشبهة إلى الخلوص منها[١].

وقد أثبت قول معاذ بن جبل للأسود بن هلال رضي الله عنهما: "اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً"[٢]، أن للسورة القرآنية أثرًا في زيادة الإيمان، وأكثر من الزيادة، وهو حصول البِشْر لهم.

وقد أوضح قول الله على لسان المؤمنين في سورة محمد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٠]، أنهم كانوا ينتظرون ورود السورة ويطلبون تنزيلها، وإذا تأخر عنهم التكليف؛ كانوا يقولون هلا أمرت بشيء من العبادة خوفًا من أن لا يؤهلوا لها.

❁ وتطلع الذين آمنوا إلى تنزيل سورة:

- إما أن يكون مجرد تعبير عن شوقهم إلى سورة جديدة من هذا القرآن الذي يحبونه، ويجدون في كل سورة منه زادًا جديدًا حبيبًا.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٣/ ٩٨، بتصرف يسير.

(٢) صحيح البخاري: كِتَاب الإِيمَانِ: بَاب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، (١/ ١٠).

وإما أن يكون تطلعًا إلى سورة تبين أمرًا من أمور الجهاد، وتفصل في قضية من قضايا القتال تشغل بالهم؛ ليلاقوا المشركين فيشفوا منهم غليلهم.

وهكذا يصف القرآن العظيم حال المؤمنين المعظمين لأمر الله في جدهم في دين الله، وحرصهم على ظهوره، وتمني قتال العدو، وفضيحة المنافقين ونحو ذلك مما هو ظهور للإسلام؛ فكانوا يأنسون بالوحي ويستوحشون إذا أبطأ.

وقد مدحهم الله على حرصهم، وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: تتضمن إظهارنا، وأمرنا بمجاهدة العدو ونحوه(١).

وبهذا يتضح لكل متأمل أنه لا يتم الإيمان بالله إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أَمْرِه ونَهْيه؛ فعلى قدر تعظيم العبد لله سبحانه؛ يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليل على تعظيم الآمر.

وقد مدح الله سبحانه المؤمنين في تحقيقهم لمراتب التعظيم للأمر وذلك بالتصديق به وفرحهم واستبشارهم به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم الموانع، ثم بَذْل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه.

المطلب السادس: دلالة فواتح السور وخواتيمها، وفواتح الكتاب وخواتيمه على التعريف بالله وبيان عظمته ومقتضى العبودية.

دلالة فواتح السور على تعظيم الله عز وجل:

يقول الطبري رحمه الله: "... أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوَصْف نفسه بأنه العالِمُ الذي لا يخفى عليه شيء، وَجعل ذلك لعباده مَنهجًا يسلكونه في مُفتتح خطبهم ورسائلهم ومُهِمِّ أمورهم، وابتلاءً منه لهم ليستوجبوا به عظيمَ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ١١٧.

الثـواب في دار الجزاء، كمـا افتتح بـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١] وما أشبه ذلك من السُّور التي جعل مَفاتحها الحمدَ لنفسه، وكما جعل مفاتحَ بَعضها تعظيم نَفسه وإجلالها بالتسبيح، كما قال جل ثناؤه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن، التي جعل مفاتحَ بعضها تحميدَ نفسه، ومفاتحَ بعضها تمجيدَها، ومفاتح بعضها تعظيمَها وتنزيهها؛ فكذلك جَعل مفاتحَ السور الأُخَر التي أوائلها بعضُ حروف المعجم، مدائحَ نفسه، أحيانًا بالعلم، وأحيانًا بالعدل والإنصاف، وأحيانًا بالإفضال والإحسان، بإيجاز واختصار، ثم اقتصاصَ الأمور بعدَ ذلك"[١].

○ دلالة خواتيم السور على تعظيم الله:

يقول ابن أبي الأصبع: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ومواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوُّف إلى ما يقال"[٢].

○ الترتيب الترتيلي ودلالته على التعظيم:

◆ أولًا: دلالة فاتحة الكتاب على تعظيم الله ومقتضى العبودية:

قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة:

١- علم الأصول: ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـ﴿ رَبِّ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ١/ ٢١٥.

(٢) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع، ٢/ ٣٤٧.

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، **ومعرفة النبوات**، وإليه الإشارة بـ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، **ومعرفة المعاد**، وإليه الإشارة بـ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

٢- **وعلم العبادات:** وإليه الإشارة بـ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٣- **وعلم السلوك:** وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦].

٤- **وعلم القصص**، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية؛ ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله، وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧][1].

فنبه في الفاتحة وهي مفتتح كتابه على:

١- التعريف بالله **معرفة الله وصفاته، ومعرفة النبوات**، وهي من آثار عظمته ورحمته، **ومعرفة المعاد** وهو يوم ظهور كمال عظمته وحكمته.

٢- **وعلم العبادات**، وهي ثمرة التعظيم.

٣- **وعلم السلوك**، وهو ثمرة من ثمرات تعظيم الله والخشية منه.

٤- **علم القصص**، وفيه آثار عظمته بإكرام أوليائه وإهلاك أعدائه.

◆ **ثانيًا: دلالة خاتمة الكتاب (سورة الناس) على التعظيم:**

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٣].

قوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، في مجيء ملك الناس بعد رب الناس؛ تدرج في التنبيه على تلك المعاني العظام، وانتقال بالعباد من مبدأ الإيمان بالرب لما شاهدوه من آثار عظمة الربوبية في الخلق والرزق، وجميع تلك

(١) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: ٣/ ٣٦٤.

الكائنات، كما جاء في أول نداء وجه إليهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، كل هذه الآثار التي لمسوها وأقروا بموجبها، بأن الذي أوجدها هو ربهم، ومن ثَم ينتقلون إلى الدرجة الثانية، وهي أن ربه الذي هذه أفعاله هو مَلِكَه وهو المتصرف في تلك العوالم، ومَلِك لأمره وجميع شؤونه، ومَلِك لأمر الدنيا والآخرة جميعًا.

فإذا وصل بإقراره إلى هذا الإدراك؛ أقر له ضرورة بالألوهية وهي المرتبة النهاية ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: مألوههم ومعبودهم، وهو ما خلقهم إليه، ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦][(١)].

❍ الترتيب التنزيلي ودلالته التعظيم ومقتضى العبودية:

➢ أول سورة نزلت (العلق):

أول سورة نزلت **(العلق)**؛ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال؛ لكونها أول ما أنزل من القرآن؛ فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل؛ وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ٥]؛ ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى **عنوان القرآن**؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله[(٢)].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: ٩/ ١٧٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: ٣/ ٣٦٤.

◄ سورة النصر آخر سورة نزلت وإشارتها إلى العظمة الإلهية ومقتضى العبودية:

آخر سورة نزلت سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؛ فقالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجلٌ ضُرب لمحمد نُعيت له نفسه[(١)].

وأخرج أيضًا عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر؛ فكأن بعضهم وجد في نفسه؛ فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله! فقال: عمر إنه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم؛ فقال: ما تقولون في قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؛ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا؛ فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلَمَه به، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؛ وذلك علامة أجلك؛ فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، فقال عمر: إني لا أعلم منها إلا ما تقول[(٢)].

فاحتوت هذه السورة الكريمة على مظاهر عظمته من إكرامه لأوليائه بالنصر على الأعداء وفتح مفاوز البلاد، ومقتضيات ذلك من عبودية التسبيح بمعانيه من التنزيه، والتعظيم، والشكر، وعبودية الاستغفار من الأخطاء والتقصير، وعبودية التوبة وهي العبادة الملازمة للإنسان في جميع مراتب القرب من الله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ٢]، (٤٩٦٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ٢]، (٤٩٧٠).

المبحث الثاني

سورة الحاقة دراسة تطبيقية

على بيان مظاهر العظمة الإلهية ومقتضى العبودية

تمهيد:

هذه السورة **بُنِيَت** على بيان عظمة الله ومقتضى العبودية؛ فقد ذكرت أمورًا وصفها الله بالعظمة في القرآن العظيم؛ فذكرت عظمته في ألوهيته، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٣]، وعظمته في ربوبيته قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٥٢]، وذكرت عرشه سبحانه: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]، الموصوف في القرآن بالعظمة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وذكرت القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، الموصوف بالعظمة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]، وذكرت يوم القيامة **وعَظَّمَت من هوله:** ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: ٢-٤]، الموصوف بالعظمة في قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤-٦]؛ أي: في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، وذكرت عذاب المكذبين الذي وُصِف في القرآن **الكريم بعذاب يوم عظيم** على ألسنة الرسل الذين ذُكِرَت أقوامهم في السورة؛ فهذا نوح حذَّر قومه من العذاب العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا هود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أرسله الله إلى عاد؛ يُحَذِّر قومه من العذاب العظيم: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٥]، وهذا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يحذِّر

ثمود من العذاب العظيم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٦]، وذكرت القَسَم: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة: ٣٨- ٤٠] الذي وُصِفَ في القرآن بالعظيم قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٧٧]، وله سبحانه أن يُقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته؛ فالعظيم لا يُقْسِم إلا بالعظيم، وفي كلا القَسَمَين قَسَم على القرآن العظيم.

وخُتمت بالأمر بالتسبيح، وهو مقتضى العبودية لما ذكرته السورة من مظاهر التعظيم، وحقوقه التي قام بها المؤمنون.

◄ مقصد السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقصودها: **تنزيه الخالق ببعث الخلائق؛** لإحقاق الحق وإزهاق الباطل(١).

أي: مقصود هذه السورة بيان قدرته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ **على بعثِ الخلق؛ لإكرام أهل الحق، وإهانة أهل الباطل.**

والتنزيه: التبرئة، ونزهت الله عن السوء برأته منه(٢)، وهي من صور التعظيم لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

◄ وبعد التأمل في مفتتح السورة وخاتمتها وما بينهما نختار أن يكون مقصدها:

(بيان حقيقة تعظيم الله وحقوقه وجزائه، ومقتضى العبودية).

◄ مناسبتها لما قبلها ودلالة المناسبة على التعظيم:

لما ذكر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في سورة **(القلم)** يوم القيامة العظيم هوله مجملًا؛

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٣٧.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ١١٠.

فصَّلَ سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم؛ وما يحدث فيه من ظهور آثار عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أغراضها:

١- اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة والتعظيم من شأنه، وتهديد المكذبين بوقوعه بعِظم العذاب المُعد لهم.

٢- **تذكيرهم بما حل بالأمم** التي كذبت بهذا اليوم العظيم من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة، وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت.

٣- **أدمج** في ذلك أن الله العظيم نجى المؤمنين من العذاب، وفي ذلك تذكير بنعمة الله على البشر إذ أبقى نوعهم بالإنجاء من الطوفان.

٤- **وصف** أهوال من الجزاء وتفاوت الناس يومئذ فيه.

٥- **وصف** فظاعة حال العقاب على الكفر وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن.

٦- **تنزيه** الرسول ﷺ المبلِّغ عن الله العظيم كتابه العظيم.

٧- **تنزيه** الله تعالى عن أن يُقِر من **يتقوَّل** عليه.

٨- **تثبيت** الرسول ﷺ.

٩- **إنذار** المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن العظيم[١].

وبذلك بنيت أغراض هذه السورة على التعظيم: التعظيم من يوم القيامة، والتعظيم من العذاب المُعَد للمكذبين به، والتعظيم من جزاء الموقنين به، والتعظيم من مقام الرسول وتنزيهه عما يقول مبغضوه، والتعظيم من القرآن الذي جاء به الرسول العظيم.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١١١، بتصرف يسير.

المطلب الأول: عظمة الله في اليوم العظيم.

عظَّم الله من يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال؛ فقال: ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٥، ٦]، ووصف بالعظيم؛ باعتبار ما يقع فيه من الأهوال، والحساب الذي يكون بعده الثواب والعقاب، والذي لا يقدر قدره إلا الله.

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، لعظمة الرحمن تبارك وتعالى يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم[(١)].

وروى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] «**حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»[(٢)].

وقال تعالى في هذه السورة معظمًا لهذا اليوم من خلال اختيار اسم فريد:

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

◈ والْحَاقَّةُ:

اسم فاعل، من حق الشيء يحق إذا كان صحيح الوجود، ومنه ﴿حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، والمراد به **القيامة والبعث**، قاله ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما[(٣)].

والْحَاقَّةُ: الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي هي آتية لا ريب فيها[(٤)].

(١) مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن عمر (٤٨٦٢)، قال محققوه: حديث صحيح.
(٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، (٤٩٣٨).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٥٦.
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٥٩٨.

والساعة (الْحَاقَّةُ): التي تحقُّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال... وقد حقَّ عليه الشيء إذا وَجَب[١].

قوله: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾:

فقوله: الحاقة ما الحاقة، تعظيمًا وتهويلًا لما يحدث فيها.

◈ لماذا سميت القيامة حاقة؟

سميت بذلك؛ لأنها "موضع الحكمة، وإظهار جميع العظمة"[٢]، والتي تُعْرف فيها الأمور على الحقيقة؛ فيتحقق فيها الوعد والوعيد، ويتحقق لكل عامل عمله، ويتحقق فيها الحساب والثواب والعقاب.

ولهذا عظَّم تعالى أمرها؛ فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؛ تأكيدًا لهولها وفظاعتها؛ ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقاتِ على مَعْنَى أنَّ عِظمَ شأنِهَا ومَدَى هولِهَا وشدَّتِهَا بحيثُ لا تكادُ تبلغُهُ درايةُ أحدٍ ولا وهمُهُ، وكيفَما قدرتَ حالَهَا؛ فهيَ أعظمُ من ذلكَ وأعظمُ[٣].

◈ اسم السورة ومطلعها وتقريره لعظمة الله:

يبرز معنى التعظيم في اسم القيامة المختار في هذه السورة، والذي سميت به السورة: (الحاقَّة)، وهي بلفظها ومعناها تلقي في الحس معنى تحقق الحق في هذا اليوم، وبتكرارها تفيد التفخيم والتعظيم.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن؛ لابن جرير الطبري: ٢٣/ ٥٦٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٤٤.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢١.

المطلب الثاني: عظمة الله في إهلاك المكذبين باليوم العظيم وإنجائه المعظمين له.

بعد أن عظَّم الله ﷻ من يوم القيامة؛ عظَّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من سنته في إنجاء المعظمين له، وإهلاك المكذبين به، وذكر سبحانه القرى التي تحيط بقريش؛ لأن العظة بالأقرب **أبلغ أو أقوى**، وأكثر تأثيرًا وعبرة وعظة؛ لمن كان له قلب، وهي تفصيل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، "وخص بالذكر إهلاك القرى، دون ذكر الأمم؛ لأن المواجهين بالتعريض هم أهل مكة وهي أم القرى؛ فناسب أن يكون تهديد أهلها بما أصاب القرى وأهلها؛ ولأن تعليق فعل (أهلكناها) بالقرية دون أهلها لقصد الإحاطة والشمول"[١]، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٦- ١٢].

و"**القارعة**" من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بصدمتها[٢].

والطاغية: قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه الصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة[٣]، التي أسكتتهم، والزلزلة التي أسكنتهم؛ ولهذا كان عقاب ثمود بها؛ لأنها طغت، واعتدت على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله، وعلى ناقة الله، كما يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٨-ب/ ١٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٥٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٥٦.

ﱡﭐ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﱠ [الشمس: ١٥]، **والطغوى**: اسم مصدر يقال: طغا طغوا وطغيانًا، **والطغيان**: فَرْط الكِبْر، وفيه تعريض بتنظير مشركي قريش في تكذيبهم بثمود في أن سبب تكذيبهم هو الطغيان والتكبُّر عن اتباع من لا يرون له فضلًا عليهم[١]، **والجزاء من جنس العمل**.

وقوله: ﱡﭐ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﱠ؛ أي: بالحالةِ التي تقرعُ النَّاسَ بفنونِ الأفزاعِ والأهوالِ، والسماءَ بالانشقاقِ والانفطارِ، والأرضَ والجبال بالدك والنسفِ، والنجومَ بالطمسِ والانكدارِ[٢].

وقوله: ﱡﭐ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﱠ.

أي: شديدة الصوت لها صرصرة، أو شديدة البرد تحرق ببردها، شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها، أو على عاد؛ فلم يقدروا على ردها[٣].

قوله: ﱡﭐ خَاوِيَةٖ ﱠ.

أي: متآكلة الأجواف ساقطة، من **خَوَى** النجم- إذا سقط للغروب، ومن خَوي المنزل- إذا خلا من قطانه، قالوا: كانت تدخل من أفواههم؛ فتُخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم، فالوصف بذلك لعِظَم أجسامهم، وتقطيع الريح لهم، وقطعها لرؤوسهم، وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم[٤].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٣٠/ ٣٧٣.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٢.
(٣) المرجع السابق: ٩/ ٢٢.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٤٥.

➢ وقد شبَّه القرآن الكافرين حين أخذهم الله بعقابه العاجل بأنهم ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾، وذلك في موضعين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧].

وثانيهما: قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ٢٠].

فتشبيههم بأعجاز النخل دون غيرها من الأطراف؛ للإشعار بأنهم أبيدوا من أصلهم، فلم تبق لهم باقية.

وبدأ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بثمود الذين هم أقرب المهلكين إلى مكة المشرفة؛ لأن التخويف بالأقرب أقعد، وختم بقوم نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنهم كانوا جميع أهل الأرض ولم يخف أمرهم على أحد ممن بعدهم.

ولما كانت هذه السورة لتحقيق الأمور، وكشف المشكل وإيضاح الخفي؛ حقق فيها زمن عذابهم تحقيقًا لم يتقدم مثله، فذكر الأيام والليالي، وقدم الليالي؛ لأن المصائب فيها أفظع وأقبح وأشنع؛ لقلة المغيث، والجهل بالمأخذ، والخفاء في المقاصد والمنافذ(١).

وقوله تعالى: ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾: قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الأذن الواعية**: أذنٌ عقلت عن الله تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ(٢)؛ فهي أذنٌ من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه، ولا تضيعه بترك العمل به، والتنكير للدلالة على قلتها، وأن من هذا شأنه مع قلته؛ يتسبب لنجاة الجم الغفير، وإدامة نسلهم(٣).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٨/ ٢٦٤.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٣.

➢ سنة الله في إنجاء المعظمين له:

أمضى الله سنته في إنجاء صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه، وهود عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأنجى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن به من بين ثمود ولم تضرهم الطاغية، وهودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن به من بين عاد لم يهلك منهم أحد؛ فدل ذلك دلالة واضحة على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له كمال الإحاطة بالكليات، وعلى قدرته واختياره وحكمته، فلا يجعل المسلم أصلًا كالمجرم ولا المسيء كالمحسن[1].

➢ وأمضى الله عَزَّوَجَلَّ سنته في إنجاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه:

وعلل الله عَزَّوَجَلَّ اختيار إنجائهم بالسفينة دون غيرها فقال: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: هذه الفعلات العظيمة من إنجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب أحد، وإهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم أحد، وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه بإبقائها آية من آياته وأعجوبة من بدائع بيناته وغريبة في الدهر من أعجوباته...؛ لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى، وتمام علمه وعظمة رحمته وقهره؛ فيقودكم ذلك إليه، وتقبلوا بقلوبكم عليه[2]؛ تعظيمًا وتذللاً.

➢ مناسبة القصص لتعظيم الله:

يبرز معنى التعظيم في مصارع المكذبين قومًا بعد قوم؛ فعاد وثمود وفرعون وُصفوا في القرآن بالعتو والتكبر والتجبر، وتعاظموا في أنفسهم؛ فقصمهم الله، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»**[3].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٤٦.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٥٠.
(٣) الأدب المفرد: بَابُ الْكِبْرِ، (٥٥٢). قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة، (٥٤١).

➢ هدايات التعظيم ومقتضى العبودية:

✓ هدايات التعظيم:

• قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾، فيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى؛ إنما السفينة سبب صوري[(١)]، وفي هذا الإنجاء بيان لعظيم رحمته بأوليائه، وعظيم قدرته، وعظيم حكمته في إبقاء من يقوم عليهم عمران الأرض، وفيه حث لقريش على الإيمان؛ كما آمن الآباء والأجداد، وأنتم بذلك خالفتم سلفكم.

• قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين، وإغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته، وقوة قهره وسعة رحمته[(٢)].

✓ مقتضى العبودية:

التأمل في قصص السابقين، بأُذن عقلت عن الله تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب الله ﷻ، وعقل واع، وقلب يقظ، قال ابن عطية رحمه الله: في الآية ثناء على "الرجل الفَهِم المنور القلب، الذي يسمع القول؛ فيتلقاه بفَهْم وتدبر"[(٣)].

➢ ومن الفوائد:

◆ المقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حل بهم من العذاب؛ زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول[(٤)].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٣.
(٢) المرجع السابق: ٩/ ٢٣.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٥٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٨/ ٢٦٣.

◆ السِرُّ في تقديم قوم ثمود وعاد؛ لأنهم عرب، ولأنهم من أقرب الأمم المكذِّبة المهلَكة لقريش في الشمال والجنوب، وبهم تكون العبرة أشد لمن كان له قلب ينتفع به، وسمعٌ يعي به عن الله.

➢ دلالة الجمع بين فرعون وقوم لوط؟

في الجمع بين فرعون وقوم لوط، مع اختلافهما زمانًا، ومكانًا، وخطيئة؛ إشارة بليغة محكمة، إلى ما بين القوم من نسب قريب في الضلال، لا من حيث صورته، ولكن من حيث واقعه ومضمونه.

• **فقوم لوط**، قد أتوا منكرًا، لم يأته أحد في العالمين من قبلهم، كما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على لسان نبيهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

• **وأما فرعون** فقد كان أمة وحده في الضلال والاستعلاء؛ ولهذا ذكر وحده، دون أن يكون معه قومه، فهو كيان الضلال كله، الذي نضح منه على قومه رذاذ من هذا الضلال؛ فكانوا من المجرمين.

ففرعون صورة فريدة في الجبارين، وقوم لوط صورة فريدة في المجرمين[١].

وفي الجمع بينهما دليل على أن المستبد الظالم لا يتمكن من السيطرة على شعبه إلا بنشر الفواحش؛ لإلهاء الناس وإشغالها بشهواتها ونسيان المطالبة بحقوقها، وما سقطت الأمم وانهارت حضارتها إلا بذلك، والتاريخ خير شاهد.

وفي الجمع بينهما في المصير في القاع، قاع البحر لفرعون، وقاع الأرض لقوم لوط، أنهما نازعا الله في عظمته وكبريائه، وتعاظما على عباد الله، روى

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: ١٥/ ١١٢٩.

مسلم بسنده عن أبي مسلم الأغر، أنه حدثه عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني منها شيئا عذبته**»[1].

والرداء: عبارة عن الجمال والبهاء، **والإزار**: عبارة عن الجلال والستر والحجاب؛ فكأنه قال: لا تليق الكبرياء إلا بي؛ لأن من دوني صفات الحدوث لازمة له، وسمة العجز ظاهرة عليه، **والإزار**: عبارة عن الامتناع عن الإدراك والإحاطة به علمًا وكيفية لذاته وصفاته؛ فكأنه قال: حجبت خلقي عن إدراك ذاتي، وكيفية صفاتي بالجلال والعظمة[2].

قد ابتلع البحر فرعون ومن معه، كما ابتلعت الأرض قوم لوط، واحتوتهم ومنازلهم في بطنها؛ إنهم هووا جميعًا إلى القاع؛ فَذَل بذلك لعظمته ﷻ المتكبرون، واستكان لعِظَم ربوبيته المتعاظمون.

المطلب الثالث: عظمة الله في مشاهد القيامة.

بعد أن بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عِظَم شأن الحاقة بإهلاك مكذبيها، شرع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها، فقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

العرش: هو السرير المشهور فيما بين العقلاء[3].

قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي النفخة الأولى لقيام الساعة، فلم يبق أحد إلا مات[4].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (٤/ ٢٠٢٣) رقم (١٣٦).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي: ٤/ ٤٨٤.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي: (ص١١٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٨/ ٢٦٤.

وقوله: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ ﴾؛ أي: قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية، أو بتوسط الزلزلة، أو الريح العاصفة[1].

ولما كان الملك يُظهر يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ ﴾، ولما كان هذا أمرًا هائلًا مقطعًا للقلوب، قال **مُؤنِّسًا** للمُنـزَّل عليه هذا الذكر **مُؤَمِّنًا** له من كل ما يحذر: ﴿ رَبِّكَ ﴾؛ أي: المحسن إليك بكل ما يريده، لا سيما في ذلك اليوم بما يُظْهِر من رفعتك[2].

قوله: ﴿ يَوۡمَئِذٍ تُعۡرَضُونَ ﴾.

العرض: عبارة عن المحاسبة والمساءلة، أي: تسألون وتحاسبون، عبر عنه بذلك؛ تشبيهًا له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم[3].

قوله: (**خَافِيَةٌ**): سريرة، وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.

مناسبة الآيات لمقصد التعظيم:

يبرز معنى التعظيم في مشهد القيامة المروع، وفي نهاية الكون الرهيبة، وفي جلال التجلي كذلك وهو أروع وأهول، **ذلك الهول وهذا الجلال يخلعان الجد الرائع الجليل** على مشهد الحساب عن ذلك الأمر المهول، ويشاركان في تعميق ذلك المعنى في الحس مع سائر إيقاعات السورة وإيحاءاتها.

المطلب الرابع: ثواب المعظمين لله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٤].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٣.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٥٥.
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٤.

هذا مشهد الناجي في ذلك اليوم العظيم هوله، وهو ينطلق في فرحة غامرة، بين الجموع الحاشدة، تملأ الفرحة جوانحه.

وظَنَنْتُ: علمت. وإنما أجرى الظن مجرى العلم؛ لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام(١).

يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: خذوا اقرؤوا كتاب أعمالي؛ إني علمت في الدنيا وأيقنت أني مبعوث، وملاقٍ جزائي، فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم، في جنة رفيعة المكان والمكانة، ثمارها قريبة ممن يتناولها، يقال تكريمًا لهم: كلوا واشربوا أكلًا وشربًا لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا.

◆ هدايات التعظيم:

بيان جزاء التعظيم في الآخرة: ومنها:

١- إيتاء الكتاب باليمين، علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير.

٢- الفرح والسرور وسط الصالحين، فالخطاب في قوله: ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ للصالحين من أهل المحشر.

٣- العيشة الراضية، فقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ ذات رضا؛ وذلك لكونها صافية عن الشوائب، دائمة مقرونة بالتعظيم(٢).

◆ ومن الفوائد:

أفردت ضمائر الفريق الذي أوتي كتابه بيمينه فيما تقدم، ثم جاء الضمير

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٦٠٣.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٥.

ضمير جمع عند حكاية خطابهم؛ لأن هذه الضمائر السابقة حكيت معها أفعال مما يتلبس بكل فرد من الفريق عند إتمام حسابه. وأما ضمير ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ فهو خطاب لجميع الفريق بعد حلولهم في الجنة، كما يدخل الضيوف إلى المأدبة؛ فيحيي كل داخل منهم بكلام يخصه، فإذا استقروا؛ أقبل عليهم مضيفهم بعبارات الإكرام(١).

مقتضى العبودية:

تقديم الإيمان والأعمال الصالحة: فقوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ كناية عن استعداده للحساب؛ بتقديم الإيمان والأعمال الصالحة مما كان سبب سعادته(٢).

المطلب الخامس: عقاب مَن لا يرجون للّٰه عظمة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾
يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾
ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ
﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٣٧].

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ: مُلكي وتسلطي على الناس، وبقيت فقيرًا ذليلًا- **وسلكه في السلسلة**: أن تُلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها، وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة. **والغسلين**: غسالة أهل النار، وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم، **والْخاطِئُونَ**: الآثمون أصحاب الخطايا(٣)، وهم المشركون.

يخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن من أُعْطي كتاب أعماله بشماله؛ فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعطَ كتاب أعمالي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجِبة لعذابي، ويا

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١٣٤.
(٢) المرجع السابق: ٢٩/ ١٣٢.
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٦٠٤.

ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي، ويا ليت الموتة التي متُّها كانت الموتة التي لا أُبْعَث بعدها أبدًا، لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئًا، غابت عني حجتي وما كنت أعتمد عليه من قوة وجاهٍ، ويقال: خذوه -أيها الملائكة- واجمعوا يده إلى عنقه، ثم أدخلوه النار ليعاني حرَّها، ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعًا، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحثُّ غيره على إطعام المسكين، فليس له يوم القيامة قريبٌ يدفع عنه العذاب، وليس له طعام يطعمه إلا من عصارة أبدان أهل النار، ولا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب والمعاصي[1].

إن هؤلاء قد خلت قلوبهم: من الإيمان بالله العظيم، والرحمة بالعباد المساكين؛ لذلك كان مصيرهم الصِّلي في الجحيم؛ جزاء بما كانوا يعملون.

❁ هدايات التعظيم:

جزاء غير المعظمين:

١- **الصِّلي في النار:** فقوله: ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظيمة؛ ليكون الجزاء على وفق المعصية، حيث كان يتعاظم على الناس[2].

٢- **سَلكه في سلسلة تُلوى على جسده حتى تلتف عليه،** فقوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾، جعل الله تعالى السبعمائة، والسبعين، والسبعة، مواقف ونهايات **لأشياء عظام**[3]، تتناسب مع سياق السورة وجوها.

❁ ومن الفوائد:

في وصفه ﷻ بالعظمة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لطائف:

◈ **منها:** أنه لما كانت عظمة الملك موجبةً لزيادة النكال لمن يعانده

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية: ٥٦٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٦١.

على قدر علوها، وكان الذي أورث هذا الشقي هذا الخزي هو تعظُّمه على أمر الله وعباده؛ أشار إلى أنه لا يستحق العظمة غيره سبحانه فقال: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ أي: الكامل العِظَم[1].

◈ **ومنها:** الإيذان بأنه المستحق للعظمة فحسب، فمن نسبها إلى نفسه؛ استحق أعظم العقوبات[2].

◈ **ومنها:** أن يوم القيامة يتعرَّى فيه كل ذي سلطان من سلطانه.. فقد كان للناس في الدنيا شيء من الإرادة، والتصرف، والملك والسلطان، ولكنهم في هذا اليوم سلبوا كل شيء، وتعرَّوا من كلِّ شيء؛ ولهذا يقول الحق سبحانه في هذا اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر: ١٦]؛ «**فيجيب نفسه فيقول:** ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]»[3].

◈ **ومنها:** أن هذا العِظَم من العذاب؛ بسبب كفرهم بعظيم.

٣- قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾؛ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم؛ فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى[4].

٤- في الآيات دليلان قويان على عِظَم الجرم في حرمان المسكين:

أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له.

والثاني: ذكر الحض دون الفعل؛ ليعلم أنَّ تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل[5].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٠/ ٣٧٠.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٦.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: ٢١/ ٣٦٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٨/ ٢١٦.
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٦٠٥.

وخصت هذه الخلة من خلال الكافر بالذكر؛ لأنها من أضر الخلال في البشر إذا كثرت في قوم؛ هلك مساكنهم[1].

المطلب السادس: القَسَم العظيم ودلالته على التعظيم.

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨- ٤٣].

أقسم الله بما تشاهدون، وأقسم بما لا تشاهدون، إن القرآن لكلام الله، يتلوه على الناس رسوله الكريم، وليس بقول شاعر؛ لأنه ليس على نظم الشعر، قليلًا ما تؤمنون، وليس بقول كاهن، فكلام الكهان أمر مُغَايِر لهذا القرآن، قليلًا ما تتذكرون، ولكنه منزل من رب الخلائق كلهم[2].

❑ من مظاهر عظمة الله تَأْلِيف الْقُرْآن:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، **فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ**، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾، قَالَ: قُلْتُ: كَاهِنٌ، قَالَ: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٧]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: فَوَقَعَ الْإِسْلامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ[3].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٦١.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية: ٥٦٨.

(٣) مسند الإمام أحمد: مسند عمر بن الخطاب (١٠٨)، قال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٩/ ٦٢، وقال: رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله ثقات إلا أن شريحَ بن عبيد لم يدرك عمر.

فتأمل أثر القرآن العظيم في القلب المستعد لاستقبال الحق.

قال قتادة بن دعامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أراد الله تعالى أن يعمم في هذا القسم جميع مخلوقاته، وقال ابن عطاء: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾، من آثار القدرة ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من أسرار القدرة[1].

فقد "جمع الله في هذا القسم كل ما الشأن أن يقسم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى، ومن مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته، إذ يجمع ذلك كله الصلتان بما تبصرون وما لا تبصرون، **فمما يبصرون:** الأرض والجبال والبحار، والنفوس البشرية، والسماوات والكواكب، **وما لا يبصرون:** الأرواح، والملائكة، وأمور الآخرة"[2].

❑ من الفوائد:

خص قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ بالذكر دون قولهم: افتراه، أو هو مجنون؛ لأن الوصف بكريم كاف في نفي أن يكون مجنونًا أو كاذبًا؛ إذ ليس المجنون ولا الكاذب بكريم، فأما الشاعر والكاهن فقد كانا معدودين عندهم من أهل الشرف[3].

المطلب السابع: التهديد العظيم للمتقوِّل على العظيم.

يبين سبحانه أنه لا يؤيِّد الكذَّاب عليه، بل لا بُدَّ أن يظهر كذبه، وأن ينتقم منه، وهذه سنته وعادته سبحانه في الكذاب، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٦٢.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١٤١.
(٣) المرجع السابق: ٢٩/ ١٤٢.

يقول جلَّ ذكره: ولو تَقَـوَّل علينا محمد بعض الأقاويـل التي لم نقلها، لانتقمنـا منـه وأخذنـا منه بالقوة منـا والقدرة، ثـم لقطعنا منه العِـرْق المتصل بالقلـب، فليس منكم مـن يمنعنا منه، فبعيـد أن يَتَقَوَّل علينا مـن أجلكم، وإن القرآن لموعظة للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ ﴾؛ أي: كلف نفسـه أن يقول مرة من الدهر كذبًا، ﴿ عَلَيۡنَا ﴾: علـى ما لنا من صفـات العظمة والجلال والبهاء والكمال والكبرياء، ﴿ بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴾ التـي لـم نقلهـا أو قلناهـا ولم نأذن لـه فيهـا... ﴿ لَأَخَذۡنَا ﴾؛ أي: بعظمتنـا أخـذَ قوةٍ وغضب وقهـر وإهلاك، وأكده للإعلام بشـدة الغضب من الكذب وشدة قبحه.

وقد قيل: **إن معنـى قوله:** ﴿ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴾: **لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه**(٢).

ولمـا صـور مبدأ الإهلاك بأفظع صورة؛ أتمه مشـيرًا إلى شـدة بشـاعته بحـرف التراخـي فقـال: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا ﴾ حتمًا بـلا مثنوية بما لنا مـن العظمة قطعًا يتلاشـى عنـده كل قطـع، ﴿ مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴾؛ أي: العـرق الأعظـم في العنـق الثابت الدائم المتين الذي يسـمى الوريد. وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه نياط القلب، وفي القاموس: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. واختير التعبير به؛ لأن مادته بهذا الترتيب تدور على المتانة والدوام، فلذا كان يفوت صاحبه بفواته.

هدايات التعظيم:

بيان أن كماله وحكمته وعظمته تأبى أن يقر من **تقوَّل** عليه بعض الأقاويل، بل لا بد أن يجعله عبرة لعباده، كما جرت بذلك سنته في **المتقوِّلين** عليه.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية: ٥٦٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: ٢٣/ ٥٩٣.

✍ **ومن الفوائد:**

١- قوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾، سمي الافتراء **تقوُّلًا**؛ لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل؛ تحقيرًا لها(١).

٢- **خص اليمين عن اليسار**؛ لأن الْقَتَّالَ إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جِيده وأن يكفحه بالسيف، وهو أشد على المصبور؛ لنظره إلى السيف أخذ بيمينه(٢).

المطلب الثامن: الندامة العظيمة للمكذِّب بالقرآن العظيم ومقتضى العبودية للعظمة الإلهية.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٤٩- ٥٢].

وإنا لنعلم أن من بينكم مَنْ يكذب بهذا القرآن، وإن التكذيب بالقرآن لَندامة عظيمة يوم القيامة، وإن القرآن لهو حق اليقين الَّذي لا مِرْية ولا ريب أنَّه من عند الله، فنزِّهْ -أيها الرسول- ربك عما لا يليق به، واذكر اسم ربك العظيم.

لما عظَّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال، وعظم من طريقة إهلاكه للمكذبين في اليوم العظيم؛ ختم بتعظيم الذي بأمره تقوم الساعة، وبرحمته أنزل كتابًا يدلهم على طريقه المستقيم، وأرسل رسولًا كريمًا يبين للناس ما جاء في الكتاب العظيم من أحكام وحكم تهديهم إلى طريق النجاة.

قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

أمر تعالى نبيه بالتسبيح باسمه العظيم. وفي ضمن ذلك الاستمرار على

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٧.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٦٠٧.

رسالته، والمضي لأدائها وإبلاغها[1]. وقد روي عَنْ عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»[2].

والتسبيح بما فيه من تنزيه وتمجيد، وبما فيه من عبودية وخشوع؛ هو الشعور الذي يخالج القلوب اليقظة؛ لقدرة الله العظيم، وعظمة الرب الكريم؛ أي: فسبح بذكر اسمه العظيم؛ تنزيهًا له عن الرضا بالتقوُّل عليه، وشكرًا على ما أوحي إليك[3]، وشكرًا لعصمته لأمتك من الوقوع في الضَّلال، وعلى توفيقهم في اتِّباع سنَّتك.

ومن التسبيح المقترن بالتعظيم لله باللسان ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»[4].

فإن قيل: فما الفائدة في دخول الباء في قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، ولم تدخل في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

قيل: التسبيح يراد به التنزيه والذكر المجرد دون معنى آخر، ويراد به ذلك مع الصلاة وهو ذكر وتنزيه مع عمل؛ ولهذا تسمى الصلاة تسبيحًا، فإذا

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٥/ ٣٦٣.
(٢) سنن أبي داود: بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، (٨٦٩)، وسنن ابن ماجه: بَابُ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، قال الألباني: حديث حسن، (مشكاة المصابيح: ٨٧٩)، وقال النووي: إسناده حسن، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح، (٣٧٨٣).
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٩/ ٢٨.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الدعوات: باب فضل التسبيح، (٦٤٠٦).

أريد التسبيح المجرد فلا معنى للباء؛ لأنه لا يتعدى بحرف جر، لا تقول: سبحت بالله، وإذا أردت المقرون بالفعل وهو الصلاة أدخلت الباء؛ تنبيهًا على ذلك المراد، كأنك قلت: سبِّح مفتتحًا باسم ربك، أو ناطقًا باسم ربك[(١)].

✧ أحوال المعظمين لله رب العالمين:

١- **قال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ:** "من كانت حاله حال المعظمين الهائبين؛ فَذَكَر العظمة، أو ذُكِّرَ بها كانت حاله حال المعظمين، وسماعه سماع الهائبين المعظمين"[(٢)].

٢- **ويقول:** "... فإذا أردت معرفة مراتب الرجال؛ فانظر إلى ما يظهر عليهم من الآثار، ويغلب عليهم من الأقوال والأعمال... ومن غلب عليه الانقباض والذل عند ذكر العظمة والجلال؛ فهو من الهائبين المعظمين"[(٣)].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم: ١/ ٢٠.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام: ٢/ ٢٢١.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٢٢٧.

المبحث الثالث

نماذج من أفانين السورة في تقرير العظمة الإلهية

حوى القرآن الكريم ضروبًا من فنون القول والبيان، ففيه: الإنشاء والخبر، والمواعظ، والقصص، والأقسام، والأمثال، والحوار والمناظرة، والجدل، والاستدلال، وغير ذلك، وكلها يستعملها القرآن في إقرار قضاياه في النفوس.

أفانين:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فن: الفاء والنون أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تَعْنِيَة، والآخر على ضرب من الضروب في الأشياء كلها.

فالأول: الفن، وهو التعنية والاطرَاد الشديد. يقال: فَنَنْتُه فنًّا، إذا أطردته وعنَّيته.

والآخر الأفانين: أجناس الشيء وطرقه. ومنه الفَنن، وهو الغصن، وجمعه أفنان[1].

والمعنى الثاني هو الـمُراد.

وأفانين الكلام: أساليبه وطُرقه وأجناسه[2].

وأفانين القرآن الكريم: هو أسلوبه وطريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

ومن الأفانين:

١- أفانين فصاحة مفردات القرآن وبلاغة جُمله.

٢- أفانين الأساليب.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٤٣٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر: ٣/ ١٧٤٦.

۞ المطلب الأول: أفانين فصاحة مفردات القرآن وبلاغة جُمله.

ونقصد بها هنا: طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

واختيار الألفاظ في النَّظم كاختيار الجواهر في العِقد الثمين؛ يعلو بها المعنى مرتقًى تنقطع الأطماع دونه، والقرآن يتأنق في اختيار الألفاظ، ويستخدم كلًّا حيث يُؤدَّى معناه في دقة فائقة تكاد تُؤمِن معها بأن هذا المكان إنما **اختيرت له هذه اللفظة** دون سواها.

تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، **المستعار منه** التكبر والعلو، والمستعار له هو ظهور الماء، والجامع بينهما خروج الحد في الاستعلاء المضر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]؛ فالعُتو مستعار من التكبر والشموخ، والمستعار له هو الريح، والجامع بينهما هو الإضرار البالغ.

وهما من استعارة المعقول للمحسوس.

قوله تعالى: ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، فإن التاء مؤذنة بالوحدة؛ ولكنه أتى بالصفة على جهة المبالغة بالإطناب في فخامة الأمر وعِظَمِه.

(ما الحاقَّة):

(**ما**) استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبره ما بعدها، والجملة خبر الحاقَّة **الأولى**.

اختيار الألفاظ المناسبة لموضوع السورة:

- ألفاظ تدل على عِظم العذاب.
- ألفاظ تدل على **عظم الذنب**.

◈ أولًا: من الألفاظ التي تدل على عِظم العذاب:

١- **بِالطَّاغِيَةِ**: بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة. واختلف فيها، فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم[(١)].

٢- **الصرصر**: الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل: الباردة من الصر، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها.

٣- **عاتِيَة**: شديدة العصف والعتوِّ. أو عتت على عاد، فما قدروا على ردِّها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة؛ فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم. وقيل: عتت على خزانها، فخرجت بلا كيل ولا وزن.

٤- **رابِيَةً** شديدة زائدة في الشدة، كما زادت قبائحهم في القبح.

ومن حسن اختيار الألفاظ؛ اختيار الفرائد القرآنية:

تعريف الفرائد في اللغة والاصطلاح:

لغة:

فرد: الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة... **والفريد**: الدر إذا نُظم وفصل بينه بغيره[(٢)].

والفريد، بغير هاء، الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، والفريدة وهي الشذر من فضة كاللؤلؤة[(٣)].

اصطلاحًا:

"إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد، تدل

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٥٩٩.
(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٥٠٠.
(٣) لسان العرب، لابن منظور: ٣/ ٣٣٢.

على عِظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لَعزَّ على الفصحاء غرامتها"[١]؛ أي: خساراتها وفقدانها.

ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي:

نستخلص أن الفريدة: هي الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديًّا كالذهب والدر، أو معنويًّا كالكلام الفريد المفصل.

وإلى الحديث عن الفرائد ودلالتها على التعظيم:

١- ح س م:

قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧].

حَسَمَ:

الحاء والسين والميم أصل واحد، وهو قطع الشيء عن آخره. **فالحسم:** القطع. وسمي السيف حسامًا. ويقال: حسامه حده؛ أي: ذلك كان فهو من القطع. فأما قوله تعالى: ﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة: ٧]، فيقال: هي المتتابعة. ويقال الحسوم الشؤم. ويقال: سميت حسومًا؛ لأنها حسمت الخير عن أهلها. وهذا القول أقيس لما ذكرناه[٢].

والحَسْمُ: إزالة أثر الشيء، يقال: قطعه فَحَسَمَهُ؛ أي: أزال مادَّته، وبه سمِّي السيف حُسَامًا. وحَسْمُ الداء: إزالة أثره بالكيِّ، وقيل للشؤم المزيل لأثر من ناله: حُسُوم، قال تعالى: ﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة: ٧]، قيل: حاسمًا أثرهم، وقيل: حاسمًا خبرهم، وقيل: قاطعًا لعمرهم. وكل ذلك داخل في عمومه[٣].

---

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الأصبع، تحقيق د. حفني شرف ص ٥٧٦- ٥٧٧.
(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢/ ٥٧.
(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٢/ ٥٧.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: عُنِي بقوله: (**حُسُومًا**) متتابعة؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك[(١)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الحسوم لها معانٍ**:

أحدها: أن يكون المعنى: يتابع بعضها بعضًا؛ أي: لا فصل بينها.

المعنى الثاني: أن يكون من الحسم وهو القطع؛ أي: حاسمة مستأصلة، ومنه سمي السيف حسامًا؛ لأنه يقطع، أي: حسمتهم فلم تبق منهم أحدًا.

المعنى الثالث: أن يكون حسوم مصدرًا كالشكور والدخول؛ فينتصب على المفعول لأجله وعامله: سخرها، أي: سخرها عليهم لاستئصالهم وقطع دابرهم، **وكل هذه المعاني صالح لأن يُذْكَر مع هذه الأيام**"[(٢)].

فإيثار هذا اللفظ لمناسبته لعظم العذاب المناسب لعظم الذنب.

٢- (ص ر ع):

قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧].

صرع:

الصاد والراء والعين أصل واحد يدل على سقوط شيء إلى الأرض، ثم يحمل على ذلك ويشتق منه... **وَالصَّرِيعُ من الأغصان**: ما تَهَدَّلَ وسقط إلى الأرض... **ومصارع الناس**: مساقطهم[(٣)].

والصَّرْعُ: الصَّرْعُ: الطَّرح. يقال: صَرَعْتُهُ صَرْعًا[(٤)].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ٢٣/ ٥٧٤.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١١٧.
(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٣/ ٣٤٢.
(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٤٨٣.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **صرعى** جمع صريع، وهو الملقى على الأرض ميتًا(١).

وهذا دليل على استئصالهم عن آخرهم.

وإيثار هذا اللفظ لمناسبته لِعظم العذاب.

٣- هـا أوم:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩].

هاؤم: اسم فعل بمعنى خُذ.

(**هاؤم**) بتصاريفه معتبر اسم فعل أمر بمعنى: خذ، وبمعنى تعالَ، والخطاب في قوله: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ ﴾ للصالحين من أهل المحشر(٢).

وإيثار هذا اللفظ لبيان عِظَم فرحة وسرور المُعَظِّم لله عَزَّوَجَلَّ في ذاته، وأفعاله، وأمره ونهيه، وحرماته، وشعائره، وشرائعه.

٤- (و ت ن):

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٦].

وَتَن: الواو والتاء والنون: كلمة تدل على ثبات وملازمة. واتَنَ الأمر: لازمه. وماء واتِن: دائم(٣).

والوَتِينُ: عرقٌ يسقي الكبد، وإذا انقطع مات صاحبه(٤).

وإيثار هذا اللفظ لمناسبته لِعظم التَّقَول على الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١١٨.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٩/ ١٣١.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٦/ ٨٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٤٨٣.

٥- وَهِيَ:

قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦].

وهي:

الواو والهاء والحرف المعتل يدل على استرخاء في شيء[١].

والوَهْيُ: شقٌّ في الأديم والثَّوب ونحوهما، ومنه يقال: وَهَتْ عَزَالَي السَّحابِ بمائها، وكلُّ شيءٍ استرخى رباطه فقد وَهِيَ[٢].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يعني: متمزِّقة ضعيفة[٣].

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: "مسترخية ساقطة القوَّة جدًّا، بعدما كانت محكمة مستمسكة"[٤].

وهذا دليل على عظيم قدرته؛ لأن السماء بعدما كانت محكمة متماسكة أصبحت متمزقة، ومعلوم أن السماء من أكبر ما خلق الله، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

◈ ثانيًا: من الألفاظ التي تدل على عِظم الذنب:

المُؤْتَفِكات: وهي قرى قوم لوط، بِالْخاطِئَةِ بالخطأ، أو بالفعلة، أو الأفعال ذات الخطأ العظيم.

التناسق بين الفرائد القرآنية

اختيار هذه الفرائد في هذه السورة؛ لمناسبتها للتعظيم، وحقوقه، وجزائه: فمثلًا لتصوير عِظم العذاب اختيرت: حسومًا، صرعى.

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٦/ ١٤٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٨٨٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: ٢٣/ ٥٨٢.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٤/ ٦٠١.

ومن حيث عظم ثواب المعظم لله اختيرت: هاؤم: الدالة على شدة الفرح والسرور بين إخوانه الصالحين في المحشر.

ومن حيث عِظَم التقَّول على الله؛ اختيرت **الوتين**.

ومن حيث بيان عِظم أهوال القيامة اختيرت: واهية؛ لوصف تمزُّق السماء.

فانتظمت الفرائد في عقد ثمين؛ لبيان مظاهر التعظيم، وحقوقه، وجزائه، وأسلوبه.

وسبحان من هذا كلامه.

المطلب الثاني: أفانين الأساليب.

قد نوَّع القرآن مِن استخدام الأساليب التي تقرر وتدعم وترسخ تعظيم الله في النفوس، والتي منها:

١- التكرار.

وحقيقته: إعادة اللفظ مكررًا أو مرادفه لتقرير معنى[١].

وفائدته: تحقيق وتثبيت معنى تعظيم اليوم الآخر وما يحدث من حكمة الله وعظمته في النفس.

حيث تكرر في السورة اسم **(الحاقة)** ثلاث مرات؛ للتهويل والتعظيم والتفخيم لشأنها وما يحدث فيها، وتكرار **(ما)** ثلاث مرات؛ للتهويل والتعظيم.

٢- التأكيد بالحروف:

التأكيد بـ(إنَّ واللام):

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٨].

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ١٠.

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٩].

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الحاقة: ٥٠].

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة: ٥١].

وكل التأكيدات خاصة بالقرآن وأثره في نفوس المعظمين لله ولكتابه، وأثره على غير المعظمين بالحسرة والندامة، ثم التأكيد على أنه عند المعظمين ارتقى من علم اليقين إلى حق اليقين.

٣- القصة.

الْقَصَصُ: الأخبار المتتبَّعة[(١)].

والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها[(٢)].

يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تُذْكَر القصة فيها؛ بما يناسب ذلك المقام في الألفاظ عما يليق من المعاني، ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام"[(٣)].

فالمناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِّد القدر الذي يُعْرض من القصة في كل سورة تُذْكر فيها.

ومن مزايا القصة: أنها تربي العواطف الربانية، وتمتاز بالإقناع الفكري.

ولما كانت السورة تتحدث عن عظمة الله وقدرته في إهلاك من كذَّب باليوم العظيم في الدنيا؛ عرض في السورة أقوامًا وصفهم الله في القرآن بالاستكبار والتعاظم، منهم:

(١) مفردات غريب القرآن، للأصفهاني: ٦٧١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١/ ٦٦- ٦٩.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ١/ ٢٨٤.

ثمود: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]. بيَّن لهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سبيل الحق وطريق الرشد؛ فاختاروا العمى على البيان الذي بينه لهم، والهدى الذي عرَّفهم.

عاد: قال سبحانه في وصف عاد: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]؛ أي: **بغوا وعتوا وعصوا، ومَنُّوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله**[(١)].

ولما جمعهم أنهم لا يرجون لله عظمة، وتعاظموا على عباد الله؛ جمعهم من العذاب أعظمه؛ وهو **الصاعقة**، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣].

وجمع بين فرعون المتجبر، وبين قوم لوط المجرمين، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ [الحاقة: ٩]؛ لأن كلًّا منهما لم يرجو لله عظمة، وتعاظم على خلق الله.

٤- الموعظة:

الْوَعْظُ: هو التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب[(٢)].

وللموعظة ثلاثة أركان: موعظة وموعوظ وواعظ، وتختلف الموعظة أسلوبًا ومحتوًى بحسب حالة الموعوظ، ثم يظهر تأثيرها بحسب إخلاص الواعظ وفهمه لمن يرشده، وبراعته الوعظية والعلمية.

قال تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾.

لنجعل تلك الفعلة الدالة على عظمتنا من إغراق قوم نوح، وإنجاء من

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٧/ ١٦٩.

(٢) التعريفات، للجرجاني: ٢٥٣.

آمن معه موعظة لكم؛ تتذكرون بها عظمة ربكم وصدق وعده في إنجاء أوليائه، وإهلاك أعدائه، وأنها سنة ماضية إلى يوم القيامة.

٥- القَسَم.

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾.

لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يُقسم بما شاء؛ لأنه الخالق لها، المتصرف فيها، وليس لنا إلا أن نقسم بالله سبحانه فقط، تعظيمًا له، واعترافًا بألوهيَّته، روى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)].

والقسم من أساليب التأكيد.

٦- الترغيب والترهيب:

رغب:

أصل الرَّغْبَة: السَّعة في الشيء، **والرَّغْبَةُ والرَّغَبُ والرَّغْبَى:** السَّعة في الإرادة، قال تعالى: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا ﴾ [الأنبياء: ٩٠][(٢)].

والترغيب: "كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة، وقبول الحق، والثبات عليه"[(٣)].

رهب:

الرَّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرُّز واضطراب[(٤)].

(١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: بَابٌ: كَيْفَ يُسْتَحْلَفُ، (٢٦٧٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٣٥٨.
(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان: ص٤٢١.
(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: ٣٦٦.

والترهيب: "كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(١).

ويمتاز الترغيب والترهيب: بإثارة الانفعالات وتربية العواطف، والإقناع والبرهان.

الترغيب والترهيب في السورة وأثرها في ترسيخ تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ ومقتضى العبودية:

الترغيب في ثواب المعظِّمين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩].

الترهيب من عقاب غير المعظِّمين: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥].

٧- السنن الإلهية وأثرها في ترسيخ التعظيم:

أوضحت السورة سنة الله في إهلاك المكذبين بالعظيم، وباليوم العظيم، وبالقرآن العظيم، وبرسوله العظيم، واختيرت القرى المجاورة لكفار قريش، مثل قرى ثمود في الحجاز، وقرى عاد في اليمن، وفرعون في مصر، وقوم لوط في الأردن، وكلها قرى مجاورة لمكة أم القرى.

وأوضحت السورة سنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في إنجاء الأنبياء والمؤمنين معهم، فقد نجى صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه، ونجى هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه، ونجى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه، ونجى لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه، ونجى نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه.

(١) المرجع السابق: ص٤٢١.

٨- الآيات الكونية وأثرها في ترسيخ التعظيم:

يبرز في يوم القيامة انقلاب الكون كله، واختلال النظام الذي قام عليه في الدنيا؛ إظهارًا لعظمة خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذكر من الآيات الكونية، كل ما كان له نظامٌ ومدارٌ يسير فيه، واختلاله بقيام القيامة؛ إظهارًا لكمال عظمته في هذا اليوم، قال تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾.

وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء حَبر من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧][١].

وروى مسلم بسنده عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[٢].

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَيَّن لنا من عظمته بقدر ما نعقله، كما قال: عبد العزيز الماجشُون: "والله، ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه، وما تحيط به قبضته

(١) صحيح البخاري: كتاب: تفسير القرآن: باب: قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٩١]، (٤٨١١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، (٢٧٨٨).

إلا صغر نظيرها منهم عندهم، أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفته قلوبهم"[1].

٩- أسماء الله الحسنى وترسيخها لمعنى التعظيم ومقتضى العبودية:

ذكر اسم الله (الرب) أربع مرات.

﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة: ١٠].

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٣].

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٥٢].

فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربوبيته العامة لعباده، وأنه من كمال ربوبيته لعباده أن يقدم لهم النصيحة، ويدلهم على طريق النجاة والسعادة؛ فأرسل لهم رسله ليبينوا لهم طرق السعادة والنجاة؛ فمنهم من قبِل إحسانه، ومنهم من أعرض عنه.

وذكر ربوبيته الخاصة بنبيه وأوليائه، وهي ربوبية التربية والإصلاح والعناية والرعاية والولاية.

وكل هذا من كمال عظمته ورحمته وحكمته بعباده.

وقرن ربوبيته بعظمته في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٥٢].

وقرن ألوهيته بعظمته، قال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٣].

وبهذه الأسماء وآثارها في السورة عرَّفهم بعظمته وما ينبغي لها من التذلل والخشية.

(١) شرح حديث النزول، لابن تيمية: ١١٦.

التناسق بين الأفانين في تقرير العظمة والقيام بمقتضى العبودية:

فالتنوع الذي احتوت عليه السورة من الأفانين مثل: اختيار الألفاظ والفرائد القرآنية، والتكرار، والتأكيد، والقصة، والموعظة، والترغيب والترهيب، والسنن الإلهية، والآيات الكونية، وغير ذلك؛ يؤدي إلى تمكين وترسيخ تعظيم الله في النفوس، وتحث على الإتيان بمقتضى العبودية على قدر الطاقة البشرية.

وبهذا الأسلوب يتمكن المُربون من ترسيخ معنى العظمة الإلهية، والقيام بمقتضى العبودية، كما بينها الله المربِّي لعباده، العالِم بما يصلحهم وينفعهم في الدنيا والآخرة.

وبهذا أكون قد أنهيت البحث.

....

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي وفقني لإعداد هذا البحث، ونسأل الله القبول الحسن.

وكانت أهم النتائج والتوصيات:

١- القـرآن الكريم عرَّف العباد بالعظمة الإلهية، ومقتضى العبودية على القلب والجوارح.

٢- لكل سـورة من سور القرآن أسلوبها الخاص في تعظيم الله ومقتضى العبودية، من قصص، وأمثال، وأقسـام، ومواعظ، وحـوارات، وآيات كونية، وأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، والسنن الإلهية.

٣- المناسـبة الموضوعيـة هـي التـي تحدد مظاهـر العظمـة ومقتضى العبودية التي تعرض في كل سورة.

٤- يوجـد ارتبـاط وثيق ومناسـبة وطيدة بين مظاهر العظمة في السـورة ومقصدها؛ تبرز جلية لمن تأملها.

٥- التناسق بين أفانين السورة الواحدة؛ في تقرير العظمة الإلهية ومقتضى العبودية بالصورة التي تنير العقول، وتغذي القلوب بالخشية.

٦- كل سـورة تعـرض التعظيم ومقتضـاه من العبودية مـن خلال، بيان مظاهـر العظمـة، وكيفية التحقق بها، وجزاء ذلك، وأسـلوب ترسـيخ ذلك في القلوب؛ يظهر ذلك جليًّا لكل متأمل.

التوصيات:

أُوصي الباحثين وأقسام القرآن وعلومه بما يلي:

١- القيام بدراسة علمية في بيان القرآن الكريم للتعظيم ومقتضاه، وجزائه، وأسلوب ذلك على مستوى كل سورة.

٢- أن يتبنى قسمُ القرآن وعلومه في إحدى الجامعات القيامَ بدراسة أفانين السورة القرآنية من الكلمات، والجمل، والقصص، والأمثال، والحكم، والأحكام، والمواعظ، وأسماء الله الحسنى، وغير ذلك، في بيان وتقرير التعظيم ومقتضاه.

٣- أن يبين الخطباء والعلماء أسلوب القرآن الكريم المتفرد في تعظيم الله ومقتضى ذلك.

المصادر والمراجع

١. «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.

٢. «الأدب المفرد»، المؤلف، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩- ١٩٨٩م.

٣. «اشتقاق أسماء الله»، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، أبو القاسم، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الطبعة: الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤. «أصول الدعوة»، زيدان، عبد الكريم، الطبعة: التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، د. ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

٦. «بدَائعُ الفوَائِدِ»، ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة، أَبو عَبْدِ اللهِ محمد بنِ أبي بكر بْنِ أَيُّوب، المحقق: علي بن محمد العمران، إشراف: بَكر بن عَبدِ اللهِ أَبُو زَيْد، الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ.

٧. «بديع القرآن»، ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحقيق: حفني محمد شرف، د. ط، القاهرة، نهضة مصر، د.ت.

٨. «البرهـان في علوم القرآن»، الزركشـي، أبو عبد الله بدر الديـن محمد بن عبد الله بن بهـادر، المحقـق: محمد أبو الفضـل إبراهيم، الطبعـة: الأولى، القاهـرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د. ت.

٩. «تحريـر التحبيـر في صناعة الشـعر والنثر وبيان إعجـاز القرآن»، ابـن أبي الإصبع، عبـد العظيم بن الواحد بـن ظافر بن أبي الإصبع العـدواني، البغدادي ثم المصري، تقديـم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شـرف، د. ط، الجمهورية العربية المتحدة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت.

١٠. «التحرير والتنوير»، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيـد»، ابن عاشـور، محمد الطاهـر بن محمد بن محمد الطاهـر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١. «تفسير أبي السعود» «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٢. «تفسـير القرآن الحكيم (تفسير المنار)»، رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شـمس الدين بن محمد بهـاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسـيني، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣. «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم، أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن، المحقق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الثالثة، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.

١٤. «تفسـير القرآن العظيـم»، ابن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر القرشـي البصري ثم الدمشـقي، المحقق: سـامي بـن محمد سـلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشـر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٥. «التفسـير القـرآني للقرآن»، عبد الكريـم يونس الخطيـب، د. ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

١٦. «تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)»، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريـدي، المحقـق: د. مجـدي باسـلوم، الطبعة: الأولـى، بيـروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٧. «التوقيـف على مهمات التعاريف»، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفيـن بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٨. «تيسـير الكريم الرحمن في تفسـير كلام المنـان»، المؤلف: عبـد الرحمن بن ناصر بـن عبد الله السـعدي، المحقق: عبد الرحمن بـن معلا اللويحـق، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٩. «جامـع البيان في تأويل القرآن»، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، المحقق: أحمد محمد شـاكر، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسـة الرسالة، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٠. «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه- صحيح البخـاري»، البخـاري، محمد بن إسـماعيل أبو عبد الله، المحقـق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط (١)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

٢١. «الجامع لأحكام القرآن - تفسـير القرطبي»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بـن أبي بكر بن فـرح الأنصاري تحقيق: أحمد الـبردوني وإبراهيم أطفيش، ط (٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).

٢٢. «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية»، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثانية، الرياض، دار ابن القيم، ١٤٠٧ هـ.

٢٣. «سنن ابن ماجه»، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

٢٤. «سنن أبي داود»، المؤلف، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

٢٥. «شرح حديث النزول»، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي الطبعة: الخامسة، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢٦. «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، د. ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢٧. «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة»، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، د. ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، د.ت.

٢٨. «العبودية»، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٩. «الفوائد»، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م.

٣٠. «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، د. ط، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤ هـ- ١٩٩١ م.

٣١. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (١٤٠٧هـ)، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٣٢. «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي؛ أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش- محمد المصري، د. ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د. ت).

٣٣. «لسان العرب»، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط (٣)، بيروت دار صادر، (١٤١٤هـ).

٣٤. «متن القصيدة النونية (الكافية الشافية)»، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطبعة: الثانية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ.

٣٥. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط (١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

٣٦. «مختار الصحاح»، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٧. «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

٣٨. «المستدرك على الصحيحين»، ابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٩. «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م.

٤٠. «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤١. «مشكاة المصابيح»، التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

٤٢. «مصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى»»، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الطبعة: الأولى، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧ م.

٤٣. «معاني القرآن وإعرابه»، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٤٤. «معجـم اللغة العربية المعاصرة»، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمسـاعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

٤٥. «معجـم مقاييس اللغة»، ابن فـارس، أحمد بن فارس بن زكريـاء القزويني الرازي، أبـو الحسـين، المحقـق: عبد السـلام محمـد هـارون، د. ط، بيـروت، دار الفكر، (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٤٦. «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، ابن قيم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلميَّة، (د.ت).

٤٧. «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، أبو القاسـم الحسـين بن محمد، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (١)، بيروت، دار القلم، (١٤١٢هـ).

٤٨. «مناهـل العرفـان في علـوم القرآن»، محمـد عبد العظيـم الزُّرْقاني، الطبعـة: الثالثة، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

٤٩. «المنهاج شـرح صحيح مسـلم بن الحجاج»، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، الطبعة: الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢م.

٥٠. «نظم الدرر في تناسـب الآيات والسور»، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).

٥١. «الوابـل الصيـب من الكلـم الطيب»، ابـن قيم الجوزيـة، محمد بن أبـي بكر بن أيوب بن سـعد شمس الدين، تحقيق: سـيد إبراهيم، الطبعة: الثالثة، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



ثانيًا: مُستَخلَصاتُ الرَّسائِل والمَشارِيع العِلْمِيَّة

مجلة تدبر



تقرير عن رسالة علمية بعنوان
تدبر القرآن الكريم

للباحث : د/ عبد اللطيف بن عبد الله التويجري

أصل هذا الكتاب

❁ رسالة علمية مقدمة لنيل درجة **الماجستير** في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد أجيزت بتقدير «ممتاز» ورُشحت من القسم لجائزة البحث العلمي وذلك بتاريخ ١٠/ ١/ ١٤٣٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده هو تدبُّر كتاب ربه، وإطالة تأمُّله، وتلاوة حروفه، وإقامة حدوده، واتِّباع محكمه، والإيمان بمتشابهه، والتفرغ لتعلمه، والقيام بتعليمه؛ حيث إن هذه الأمور تُطْلع العبد على معالم الخير والشر، وتجعل في يده مفاتيح كنوز السعادة، وتثبِّت الإيمان في قلبه، وتشيِّد بنيانه، وتوطِّد أركانه، وتعطيه قوة في قلبه، وسعة وانشراحًا، وبهجة وسرورًا.

فالعيش مع القرآن مزية لا تعدلها مزية، ومرتبة لا تفوقها المراتب؛ فهو الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا نقص يعتريه، معجز بلفظه ومعناه، رُوح الأمة ومصدر عزِّها وقوتها، وما أحوجها اليوم إلى تدبر آياته، والتفكر في معانيه، ولله

درُّ أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيميَّة حين قال: "وحاجة الأمة ماسَّة إلى فهم القرآن". [مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص٢)].

فالواجب عليها أن تستمسك به، وتعتصمَ بحبله؛ فبه تواجه قضاياها، وتقيم أحكامها، وتجاهد أعداءها، وتصلح دنياها، وتستقبل آخرتها، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وإنَّ من أفضل ما يُفنى فيه العُمر، ويُقضى فيه الأجل: تدبر كتاب الله ﷻ، علمًا وعملًا وتفهمًا وتعليمًا ودعوة؛ إذ إن ذلك هو الغاية الكبرى من إنزاله؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ولقد وردت نصوص أخرى كثيرة من الكتاب والسُّنَّة، تبيِّن أهمية تدبر كتاب الله، وتحثُّ عليه، وتذمُّ تركه والإعراض عنه؛ مما جعل العلماء السابقين يتكلمون عن ذلك في مؤلفاتهم ومصنفاتهم: جمعًا وتحليلًا، وترغيبًا وترهيبًا، فسطروا أروع الكلام والسِّيَر، واستنبطوا أفضل الأحكام والعِبَر.

ولمَّا كان هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي نبَّه عليها القرآن الكريم، ودلت عليها السُّنَّة المطهرة؛ تمخضت لديَّ الرغبة في دراسة هذا الموضوع من عدة جهات:

١- تحرير مفهوم التدبُّر، وبيان الصلة بينه وبين المفاهيم المقاربة له.

٢- تقرير ضوابط التدبُّر التي يجب مراعاتها والأخذ بها.

٣- إيضاح الضوابط والشروط التي يجب على المتدبِّر التزامُها.

٤- جمع ما يتعلق بدوافع التدبُّر وموانعه، وتأصيل ذلك برسالة علمية متخصِّصة.

٥- استقراء الأسباب الباعثة على التدبُّر، وضبطها بالضوابط العلمية، من خلال المنهجية الآتية:

- جمع هذه الأسباب وتنسيقها وتقسيمها.
- تأصيلها تأصيلًا علميًّا بالأدلة والشواهد والأقوال.
- تحليل مادَّتها العلمية وإظهار نتائجها من الأحكام والفوائد.

٦- إبراز بعض المسائل المهمة في موضوع التدبُّر، ومنها:

- تركيز الحديث عن مقاصد التدبُّر وغاياته.
- دراسة نتائج التدبُّر وأثره على الفرد وعلى الأمة.
- معرفة الأمور التي تمنع التدبُّر، وتركيز الحديث عنها في باب مستقل؛ نظرًا لأهميتها وقلة الحديث عنها.

أَهَمِّيَّةُ المَوْضُوعِ وَأَسْبَابُ اخْتِيَارِهِ

تكمن أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية:

أولًا: أن هذا الموضوع هو المقصود الأعظم من إنزال كتاب الله ﷻ إلينا؛ فنحن مأمورون بالعمل بما فيه من الأوامر والنواهي والاعتبار، ولا يكون ذلك إلا بتدبر آياته والتفكر في معانيه، قال الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

ثانيًا: أن قضية التدبُّر من أهم القضايا التي دعا إليها القرآن الكريم، ووبَّخ من تركها أو هجرها في آيات كثيرة.

ثالثًا: أن التدبُّر من ثمرات تعلُّم القرآن الكريم، والذي به تُنال الخيرية والأفضلية التي بيَّنها رسول الله ﷺ، في حديث عثمان رضي الله عنه بقوله: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**». فحريٌّ أن تجرَّد له رسائل علمية تُبرز قيمته.

رابعًا: كثرة العوائق الصارفة في هذه الأزمان عن تدبُّر القرآن الكريم، والعمل بما فيه.

خامسًا: أن مصادر علوم القرآن الكريم والتفسير والسير؛ قد حفلت بمادة علميَّة غزيرة في هذا الموضوع؛ فأضحى من المهم جمعها ودراستها تحليلًا واستنباطًا في دراسة متخصصة.

سادسًا: الاستجابة لتوصية بعض المختصين فيمن كتب عن هذا الموضوع؛ حيث بيَّنوا أن هذا الموضوع يحتاج إلى رسالة علمية متخصصة.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَة

بعد البحث والاستقصاء للموضوع، والرجوع للجامعات ومراكز البحوث والمكتبات المتخصصة في مجال البحث العلمي من أمثال: مكتبة الملك فهد، ومكتبة الملك عبد العزيز، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، لم أقف -حسب اطلاعي- على من أفرد موضوع: تدبر القرآن الكريم برسالة علمية مستقلة حين تسجيل الرسالة.

وهناك كتب تناولت تدبر القرآن الكريم من جوانب أخرى، أو تكلمت عنه بإشارات، علمًا أن المنهجية العلمية والأفكار البحثية اختلف تناولها لدى الباحثين، وتعددت نتائجهم، **وهذا يدلُّ على أمور، من أهمها:** اتساع الموضوع وكثرة مادته، **والأمر الآخر:** أن هذا الموضوع قابل لإضافة الجديد، والوصول إلى نتائج علمية جديدة، التي أرجو من الله العلي القدير أن يوفقني في بحثها وعرضها، وفيما يلي عرض لأبرز هذه الكتب التي تناولت الموضوع من جوانب أخرى.

ويتكون البحث من مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو الآتي:

◈ المقدمة، وفيها ما يلي:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
٢- أهداف البحث.
٣- الدراسات السابقة.
٤- خُطَّة البحث.
٥- منهج البحث.

◈ **الباب الأول: التدبُّر مفهومه وحُكمه وضوابطه، وفيه فصلان:**

الفصل الأول: مفهوم التدبُّر وحُكمه، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التدبُّر عند اللُّغويِّين.

المبحث الثاني: مفهوم التدبر عند المفسِّرين.

المبحث الثالث: تعريف هذا المركب الإضافي: (تدبر القرآن الكريم).

المبحث الرابع: المعاني المقاربة لمفهوم التدبر، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** الفرق بين التدبر والتفسير.
- **المطلب الثاني:** الفرق بين التدبر والاستنباط.
- **المطلب الثالث:** الفرق بين التدبر والتفكر.
- **المطلب الرابع:** الفرق بين التدبر والتأمل.

المبحث الخامس: حُكم التدبر.

الفصل الثاني: ضوابط التدبر وشروط المتدبِّر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضوابط التدبر، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** أن التدبر واقعٌ في جميع معاني القرآن فلا يُخاض في كيفية الصفات الإلهية وسائر الغيبيات.
- **المطلب الثاني:** الاعتماد على كتب التفسير السالمة من التأويلات والشبهات.
- **المطلب الثالث:** تقييد جميع أمور التدبر بما ورد في الشرع، وترك الابتداع.
- **المطلب الرابع:** الاقتصار على الأحاديث والآثار الصحيحة والوقائع الثابتة.

المبحث الثاني: المتدبِّر شروطه وآدابه، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** من له حقُّ التدبر؟
- **المطلب الثاني:** الشروط الواجب توافرها في المتدبِّر.
- **المطلب الثالث:** آداب المتدبِّر.

◈ الباب الثاني: دوافع تدبر القرآن الكريم، وفيه أربعة فصول:

✍ الفصل الأول: استشعار أهمية التدبر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات والآثار الواردة في الحثِّ على التدبر.

المبحث الثاني: بيان أهمية التدبر عند السلف.

المبحث الثالث: حاجة الأمة إلى تدبر القرآن الكريم.

✍ الفصل الثاني: تحصيل الأسباب الباعثة على التدبر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب القلبية، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** الإيمان بالله عز وجل والاستعانة به.
- **المطلب الثاني:** استشعار عظمة القرآن الكريم.
- **المطلب الثالث:** الإخلاص في طلب التدبر.
- **المطلب الرابع:** طهارة القلب.

المبحث الثاني: الأسباب العلمية والعملية، وفيه أحد عشر مطلبًا:

- **المطلب الأول:** ربط الجوارح بالقرآن الكريم.
- **المطلب الثاني:** مراعاة الأحوال المناسبة للقراءة، ويشتمل على مسائل:

– المسألة الأولى: القراءة في الصلاة المكتوبة.

- المسألة الثانية: القراءة في التهجُّد.

- المسألة الثالثة: القراءة عند راحة البال والسكون.

- المسألة الرابعة: اختيار المكان المناسب للقراءة.

◆ **المطلب الثالث:** سلامة التلاوة، ومراعاة التجويد.

◆ **المطلب الرابع:** الترتيل.

◆ **المطلب الخامس:** الجهر بالقرآن.

◆ **المطلب السادس:** معرفة الوقف والابتداء.

◆ **المطلب السابع:** المداومة على قراءة القرآن.

◆ **المطلب الثامن:** فهم معاني الآيات، ويشتمل على مسائل:

- المسألة الأولى: فهم الآيات بالمأثور عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والسلف الصالح.

- المسألة الثانية: معرفة أسباب النزول وتصوُّرها في أثناء القراءة.

- المسألة الثالثة: إدراك المعنى اللُّغوي للكلمات.

- المسألة الرابعة: معرفة دلالة الآية وما يتعلق بها.

- المسألة الخامسة: العناية بسياق الآيات.

- المسألة السادسة: معرفة مقاصد السور وأهدافها.

- المسألة السابعة: استشعار الآيات والمعاني.

◆ **المطلب التاسع:** البكاء والتباكي.

◆ **المطلب العاشر:** ترديد الآيات وتكريرها.

◆ **المطلب الحادي عشر:** القراءة في كتب المفسرين وفضائل القرآن.

الفصل الثالث: الوقوف على مقاصد التدبر وغاياته، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفكر والاعتبار، وفيه مطلبان:

◆ **المطلب الأول:** التفكر في آيات الله المسموعة.

◆ **المطلب الثاني:** التفكر في آيات الله المشهودة.

المبحث الثاني: خشوع القلب والجوارح، وفيه ثلاثة مطالب:

◆ **المطلب الأول:** صور من خشوع النبي ﷺ.

◆ **المطلب الثاني:** صور من خشوع السلف.

◆ **المطلب الثالث:** أسباب تحصيل الخشوع.

المبحث الثالث: امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وفيه مطلبان:

◆ **المطلب الأول:** امتثال الأوامر.

◆ **المطلب الثاني:** اجتناب النواهي.

المبحث الرابع: استخرج العِبَر واستنباط الأحكام، وفيه ثلاثة مطالب:

◆ **المطلب الأول:** شرف هذه المنزلة وعلوها.

◆ **المطلب الثاني:** شروط الاستنباط.

◆ **المطلب الثالث:** أساليب الاستنباط.

الفصل الرابع: معرفة آثار التدبر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر تدبر القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، وفيه ثلاثة مطالب:

◆ **المطلب الأول:** أثره الإيماني.

◆ **المطلب الثاني:** أثره النفسي.

◆ **المطلب الثالث:** أثره السلوكي.

المبحث الثاني: أثر تدبر القرآن الكريم على الأمَّة، وفيه ثلاثة مطالب:

◆ **المطلب الأول:** أثره الأمني.

◆ **المطلب الثاني:** أثره الاقتصادي.

◆ **المطلب الثالث:** أثره السياسي.

◈ الباب الثالث: موانع تدبر القرآن الكريم، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الوقوع في الشبهات، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الجلوس مع أهل البدع، والاستماع إليهم.

المبحث الثاني: قصر تدبر القرآن على المجتهدين فقط.

المبحث الثالث: الحرص على تتبُّع شواذِّ القراءات.

المبحث الرابع: اتِّباع المتشابه من الآيات.

المبحث الخامس: الحرص على كثرة التلاوة والحفظ دون التدبر، وفيه ثلاثة مطالب:

◆ **المطلب الأول:** ذكر الخلاف في هذه المسألة، مع بيان القول الراجح.

◆ **المطلب الثاني:** المبالغة في تجويد الحروف دون التدبر.

◆ **المطلب الثالث:** الحرص على الحفظ دون التدبر.

المبحث السادس: قصر معاني القرآن على أحوال خاصَّة، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** قصر حديث القرآن عن الأمم السابقة على من وردت فيهم.
- **المطلب الثاني:** قصر معاني القرآن على أحوال شخصية معينة.

المبحث السابع: الانشغال بتتبع المبهمات.

المبحث الثامن: ابتداع طرائق مزعومة للتدبر، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الطرائق المبتدعة القديمة ونقدها.
- **المطلب الثاني:** الطرائق المبتدعة المعاصرة ونقدها.

الفصل الثاني: الوقوع في الشهوات، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإصرار على المعاصي والذنوب.

المبحث الثاني: مرض القلب.

المبحث الثالث: اتباع الهوى.

المبحث الرابع: الانشغال بالحياة الدنيا وزينتها.

المبحث الخامس: استماع الغناء وآلات اللهو.

الفصل الثالث: العلاج القرآني لترك التدبر، ويشتمل على الآيات التي ذمَّت ترك التدبر، وأرشدت إلى علاجه.

الخاتمة:

تتضمَّن أهم النتائج التي توصَّلت إليها في هذا البحث، وبعض التوصيات.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

مَنْهَجُ البَحْثِ

سلك الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وَفْقَ ما يلي:

١- جمع ما يتعلق بالتدبر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وجمع ما ورد أيضًا عن التدبر في كتب علوم القرآن وكتب المفسرين وكتب أهل اللُّغة، مستخلصًا منها منهج الرسول ﷺ ومنهج أصحابه رضوان الله عليهم ومنهج السلف الصالح من بعدهم، مع استعراض أقوالهم ومواقفهم وتحليلها، واستخراج الفوائد والأحكام والعِبَر.

٢- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني المكتوب برواية حفص عن عاصم، مع عزوها بأرقامها إلى سورها.

٣- عزو القراءات إلى قرائها، وتوثيقها من مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذِّ.

٤- الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها، وكذلك الرجوع إلى المصادر الحديثة من البحوث والكتب والمجلات العلمية، عند تعذر المطلوب من المصادر القديمة.

٥- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، مع ذكر أقوال أهل العلم المحققين في درجتها؛ ما لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فأكتفي بالعزو إليهما أو أحدهما.

٦- إثبات أسماء المصادر والمراجع في الحاشية، وأمَّا المعلومات الأخرى فسوف أذكرها ضمن ثبت المراجع والمصادر.

٧- ذكر الأقوال مع نسبتها إلى قائليها، وتوجيه الخلاف وبيان الراجح بأدلته.

٨- العناية بشـرح الألفاظ والمصطلحات الغريبة، مع ضبطها والتعليق عليها ما أمكن.

٩- نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من المصادر الأصلية.

١٠- التعريـف بالأعـلام غير المشـهورين عنـد ورودهـم أول مرَّة في صلب البحث.

وبعد؛ فمع هذا الجهد في الجمع والكتابة والصياغة والاستشـارة إلا أن الله يأبى أن تكون العصمة لغير كتابه، وإنني كلما طالعت هذا البحث وراجعته بحذف أو زيادة أو نقصان؛ تذكرت قولةً بديعة للقاضي البَيْسـاني يصفُ بها من هم على مثل حالي، حيث يقول: "إنِّي رأيتُ أنه لا يكتب إنسـانٌ كتابًا في يومه إلا قـال في غـده: لو غُيِّر هذا لكان أحسـن، ولو زيد لكان يُستحسـن، ولو قُدِّم هـذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لـكان أجمل؛ وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البَشَر". [إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي: (١/ ٣)].

وفي نهايـة المطاف وختام الكلام، دون الباحث الخلاصة العامة للبحث مع النتائج والتوصيات؛ وجاءت كالتالي:

❑ **أنَّ جُلَّ المعـاني التـي وردت في تعريـف التدبـر عنـد اللُّغويـين مأخوذة من:** النظر في أدبار الشـيء، وعواقبه ونهاياته، وبهذا ندرك أن دلالاته يمكن أن ترشدنا إلى أن التدبر، يحتاج إلى: التتبع، والتعمق، والنظر في مآلات الأشياء.

❑ **أنَّ المفسـرين المتقدمـين لم يخصُّـوا التدبـر بتعريـف اصطلاحي خاص ينفـرد عـن التعريـف اللُّغـوي؛** لأن كلمـة التدبر من الكلمات الـواردة في القرآن

على أصل معناهـا اللُّغوي، ولـم تنتقل إلى اصطلاح شـرعي جديد، فحقيقتها اللُّغوية متَّفقٌ على معناها، ولم تنتقل إلى حقيقة شرعية.

❑ **أنَّ العلماء في جميع تعريفاتهم للتدبر قد صرحوا بلزوم اقتران التدبر بالعمل والانتفاع**، بمعنى أنه لا بد أن يكون العمل من قصد القارئ أصلًا؛ لأنه لازم حصـول التدبر، وهذا هو الـذي يميز التدبر عن غيـره من المصطلحات القرآنية الأخرى المشابهة مثل: **(التفسير، والاستنباط، والتفكر، والتأمل)**.

❑ **أنَّ هـذه المصطلحات المشابهة للتدبـر متقاربـة وليسـت مترادفـة**، وإذا ذَكَر بعض أهل العلم أنها مترادفة، فإنما يقصد الترادف الجزئي الذي يوجد في بعض أجزاء المعنى دون بعضها الآخر.

❑ **تدبر القرآن الكريم في الجملة واجب شرعي على كل قارئ**؛ كلٌّ حسب فهمـه وقدراته وطاقاته الإدراكية؛ لأنه لا يعذر أحـد بترك التدبر مطلقًا؛ خاصة وأن القرآن قد يسره الله للذكر: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧].

❑ **يجب على كل مسـلم ومسـلمة تعلم القرآن وتدبره على حسـب قدرته**، والعمل بما علمه وتدبره؛ شريطة أن يكون هذا العلم ناشئًا عن علم صحيح.

❑ **أنَّ التدبر يقع في المعلوم من القرآن**، أما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية وكيفياتها التي اسـتأثر الله بعلمهـا؛ فالواجب الإيمان بها دون البحث في تفاصيلها، وهي مما لا يحصل بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله.

❑ **الواجـب علـى المتدبر أن يعتمد في فهمه للآيات والمعاني على التفاسير السـالمة من التأويلات والانحرافات**، وهي تفاسـير السـلف الموثوقة، ومن سار علـى نهجهم من المفسـرين الذين جاءوا مـن بعدهم؛ فقلما تجـد فيها الخطأ سواء من جهة الدليل، أم من جهة الاستدلال.

- آية سورة ﴿ قٓ ﴾: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾[ق: ٣٧] **أشارت إلى الشروط الإجمالية الواجب توافرها في المتدبِّر، وهي:** كون المتدبِّر حيَّ القلب، وأن يفعل الأسباب المعينة على التدبُّر، وأن يجتنب الأمور التي تَصْرِفُ عن التدبر.

- **عامّة آيات التدبر نزلت في الحديث عن سياق الكفار والمنافقين هي تخاطب المؤمنين من باب أولى؛** لأنهم هم أهل الانتفاع بتدبر القرآن، فهي تحذر جميع المسلمين أن يسلكوا هذا الطريق، ففيه تحذيرٌ لنا وتوبيخٌ لهم.

- **أثرُ أبي عبد الرحمن السلمي المشهور هو الأسُّ الذي تبنى عليه قضية التدبر؛** حيث إنه وضح بصورة جليَّة الطريقة المثلى لتدبر كتاب الله، ممن عاصر التنزيل وعرف التأويل.

- **أن تعلم القرآن وأخذه بالطريقة التي رويت عن الصحابة أدعى للفهم والاستيعاب من غيرها؛** فالله ﷻ يقول لنبيه: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

- **أن منهج السلف الصالح في التدبر بُني على ركنين (الفهم، والعمل) ويبرز في الجانب العملي؛** لأنهم كما قال ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما: "وسهل علينا العمل به"، "رزقوا العمل بالقرآن"، وهذا الأمر المهمُّ الذي يفقده كثير من الناس اليوم.

- **أن الإيمان بالله ﷻ ومحبته وتعظيمه تدفع المسلم لتحقيق تدبر كتاب ربه،** فمتى آمن العبد بربه وعظَّمه أحبَّ كلامه وتدبره وتأثر به، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أحبَّ القرآن فهو يحبُّ الله؛ فإنما القرآن كلام الله".

- **أن عظمة كتاب الله متجلية من كل جانب منه، واستشعار المؤمن لهذه العظمة في قلبه سبب رئيس في تحصيل التدبر الإيماني**؛ لأن العناية بالشيء والاهتمام به فرعٌ عن استشعار عظمته، ولقد تتابعت كلمات السلف الصالح في بيان عظمة القرآن في مواطن كثيرة ومناسبات متفرقة.
- **يجب على المسلم أن يخلص نيته في تدبره لكتاب الله تعالى**، وأن يقصد به وجه الله؛ فإنما تكون نتيجة التدبر والتفهم على قدر النية.
- **أن الإقبال على القرآن والانتفاع به وتدبره متحقق لأصحاب القلوب الحيَّة**، فكلما كان العبد لقلبه أجمع، وعن الشواغل أبعد، كان أقرب إلى فهم وتدبر ما يتلو من كتاب الله؛ إذ إن القلب محَلُّ تفهم القرآن وتدبره.
- **مراعاة الأحوال المناسبة لقراءة القرآن لها أثر في التدبر وسلامته**، فالقلب المشغول والجوارح المشغولة لا يمكن أن تتلذذ بنعمة هذه العبادة العظيمة.
- **الأثر المروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في بيان صفة قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالليل؛ يظهر للأمة المنهج العملي السليم في كيفية إحياء الليل**، ويوضح لطالب التدبر المحور العملي الذي ينبغي أن يقتدي به في أداء هذه العبادة الجليلة.
- **المداومة على القراءة في التهجد فيها خيرات عظيمة، وهي معينة جدًا على التدبر وتأثر القلب وخشوعه**، فلا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه، وييسِّر فهمه إلا القيام به في جوف الليل.
- **لاختيار المكان المناسب لتلاوة القرآن أثر عظيم في عملية التدبر**، حيث ينبغي للقارئ أن يختار الأماكن المناسبة لقراءته بعيدًا عن قوارع الطرق والملهيات والشاغلات التي تشغل الذهن وتصرف القلب.

- **أن سلامة التلاوة ومراعاة التجويد تعين على فهم القرآن**، ومن المعلوم أن مبنى الكلام قائم على المعنى، وسلامة النطق تزيد فهم هذا المعنى، وتكمل الإدراك، وتعين على التدبر، وإذا اختل النطق بالكلمة ولحن القارئ فيها فإن المعنى قد يتغير؛ وذلك مما يبعد القلب عن التدبر وفهم الآيات.

- **أن الترتيل هو زين القرآن، وهو معين على التدبر ويزيد القراءة حلاوة وانجذابًا، ويساعد على الحفظ والفهم**، والنفوس تنجذب للقراءة المرتلة الخاشعة أكثر من انجذابها للقراءة الخالية من الترتيل، فإذا انجذبت النفوس استمعت لآيات ربها بقلب مفتوح وصدر مشروح وفهم وتأمل.

- **الجهر بالصوت بما يدور في القلب أعون على التركيز والانتباه -وهو في قراءة القرآن آكد-** والمتدبر مخير بين الجهر بالقراءة والإسرار بها، إلا أنه إن كان الجهر أنشط له في القراءة أو كان بحضرته من يستمع قراءته أو ينتفع بها فالجهر أفضل، وإن كان قريبًا منه من يتهجد أو من يتضرر برفع صوته فالإسرار أولى.

- **مما يستعان به على فهم القرآن وتدبره:** علم الوقف؛ فبه تتضح الوقوف التامة، والكافية، والحسان، فتظهر المعاني للسامع المتأمل، والقارئ المتدبر على أكمل وجوهها وأصحها، وأقربها لمأثور التفسير، ومعاني لغة العرب، فإن اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف وتفصيلها، وبيان وجوهها، مبنيٌّ على النظر في معاني الآيات.

- **من الأحسن أن يراعي المتدبر في مداومته لقراءة كتاب ربِّه على تحزيب الصحابة رضي الله عنهم الذي جمع بين النظائر على نسقٍ**، ثمَّ هو فوق ذلك مقسّم في أعداده أحسن تقسيم بطريقة لا كلفة لمعرفتها، وترتيبها على الأوتار: ثلاث، وخمس، وسبع... إلخ.

- ❑ **أن يعلم المتدبر أن من تأويل القرآن ما لا يُدرك علمُه إلا ببيان الرسول ﷺ**؛ كما يقوله شيخ المفسرين الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-؛ فيحسن بالمتدبر معرفة ذلك والاطلاع عليه في مظانه.
- ❑ **معرفة أسباب نزول القرآن من الأسباب الّتي تعين المتدبّر لكلام الله تعالى**، وفيها من الفوائد شيء عظيم.
- ❑ **يحسن بالمتدبر أن يكون عارفًا بدلالات الجمل من جهة علم البلاغة وبالأخص علم المعاني**. ومما يعين على فهم القرآن وفهم كلام أئمة السلف في التفسير معرفة ما له علاقة بعلم التفسير: كدلالة الجملة الاسمية والفعلية، ودلالة التقديم والتأخير في الجملة، ونحوهما.
- ❑ **إدراك إرشادات سياق الآيات من اللحاق والسباق مهم، ينبغي للمتدبر أن يراعيه**؛ فلا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة بنفسها، بل عليه أن ينظر إليها في سياق النص القرآني؛ فإن ذلك معين على تحديد المعنى المراد، لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى.
- ❑ **(مقاصد السور) من العلم النادر العزيز، وهو مهم لكل طالب علم في التفسير**، ولكل متدبر، بقدر ما ذكر من مراعاة الضوابط من البحث عن تنصيص الأئمة عليه في كلامهم، أو أن يكون ظاهرًا في الآيات والسور.
- ❑ **أن تكرار الآية من صور الوقوف على المعاني**، حيث إن تكرار الآية -إن أقبل عليها القلب- يفتح كنوزًا عظيمة، وأسرارًا عجيبة للمتدبر؛ ولذا حرَص عليه العارفون المتدبرون؛ لإدراكهم أثر ذلك وفائدته.
- ❑ **أن تفكر المتدبر في آيات الله المسموعة يورث في قلبه محبةَ الخالق وتعظيمَه، وإخلاص العبادة له، والتوكل عليه، وزيادة الإيمان واليقين، وغير** ذلك من مقامات العبودية وأعمال القلوب.

- **أن الواجب على المكلَّف أن يشغل نفسه بهذه العبادة الجليلة (التفكر) في حدودها ومجالاتها المنضبطة**، ويتعاهدها في جميع الأحوال؛ وذلك أن التفكير السليم يوصل صاحبه إلى الخير في الدنيا والآخرة.

- **أن يعلم المتدبر أنَّ بكاءه ﷺ لم يكن شهيقًا ورفع صوت، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز**، وكان بكاؤه عند سماعه للقرآن بكاءَ اشتياق ومحبة، مصاحبًا للخوف والخشية.

- **اطلاع المتدبر على قدوات المتدبرين دافع رئيس للاقتداء والاهتداء، ومن ذلك**: القراءة للأحاديث والآثار المروية عن رسول الله ﷺ في قصص خشوعه وتأثره، وكذا عن أصحابه رضي الله عنهم والتابعين.

- **من أبرز مقاصد التدبر وغاياته**: امتثال المتدبر للأوامر التي جاءت في كتاب الله، واجتناب النواهي التي نهى عنها، وإن إدراك القارئ لها ومعرفته لآثارها ونتائجها دافع رئيس لتتبعها في كتاب الله، ثم الامتثال لها، وهي وصية عظمى وفائدة كبرى.

- **إذا لمس المجتمع آثار التدبر وعايشها واقعًا ملموسًا فإنه سيتمسك بذلك ويحافظ عليه**، ويبحث عن الأسباب والوسائل التي تسعى لنشر علم التدبر بين أبناء مجتمعه، ليحيا حياة إيمانية طيبة.

- **إن القوم الذين يداومون على قراءة كتاب الله بتدبر وخشوع هم من أبعد الناس عن الحزن والضيق والقلق**. فكما أنَّ الروحَ إذا دخلتِ الأبدانَ حرَّكتها وأحيتها، كذلك تدبر القُرآن إذا دخل القلب أحياه ونفعه.

- **إن أثر تدبر القرآن على الأمة جمعاء عظيم، وإن من أبرز آثاره**: الأثر الأمني الذي يجمع للحياة الإنسانية جميع الأحوال الصالحة من الصحة والرزق والرخاء والأمن والاستقرار والعيش الرغيد.

❑ **الأولى بالمتدبر للقرآن أن يخاف على قلبه من أهل البدع وأهل المعاصي،** وأن يربأ بنفسه عن مجالسهم، فقد يُمنع بجلوسه معهم والاستماع إليهم تدبر كتاب ربه، وفهم مواعظه، وتذكر آياته.

❑ **لا يصح ما يقال من قصر التدبر على فئة معينة من العلماء،** بل الواجب أن يُقبل كل مسلم على كتاب ربه، ويغرف من بحره بقدر ما منَّ الله تعالى به عليه من العلم والفهم، وأما القول: بقصر التدبر على المجتهد فقط، فقول ضعيف لا مستند له.

❑ **الأولى للقارئ أن يستشعر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن؛** فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدَّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكذلك، وإذا قُصد بالخطاب جميع الناس فليقدِّر أنه مقصود بهذا الخطاب أيضًا.

❑ **من الخطأ أن لا يسعى المرء إلى سماع القرآن إلا عند مرضه، أو موت قريبه، أو حال حزنه فقط،** أمَّا إذا كان في حال صحته وكمال عقله وصفاء ذهنه فإنه لا يتشوَّف إلى سماع القرآن أو قراءته؛ فيُحَرِّمُ على نفْسِه السبيل إلى تدبر القرآن.

❑ **الاهتمام بالمبهمات وبتفاصيل الحوادث التي لم يذكرها القرآن صارف عن التدبر،** فكثيرًا ما يرد في القرآن أعيان وأماكن وأعداد مبهمة لم يبيِّنها الرسول ﷺ، وهي أمور لا يتوقف عليها عمل، ولا يحصل بالبحث عنها علم نافع يحتاج الناس إليه.

❑ **الجهل بالمشروع في عبادة التدبر وطرائقه سببٌ لتفشِّي البدع في ذلك،** فكثير من الجهلة يعتمد في وسائل تدبره على أحاديث وآثار وآراء ليست صحيحة.

- **من أعظم ما يصدُّ القارئ عن تدبر القرآن:** إصراره على الذنوب والمعاصي، وهي أعظم حجاب للقلب، وبها حُجِبَ الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشدَّ تراكمًا كانت معاني الكلام أشدَّ احتجابًا، وكلما خفَّ عن القلب أثقال الدنيا قَرُبَ تجلِّي المعنى فيه.

- **ينبغي للمؤمن أن يعتنيَ بسلامة قلبه وصحته منَ الأمراض؛ فإنَّ القُلُوب تمرض كما تمرض الأبدان**، وهذا القلب هو محلُّ نظر الله ﷻ لعبده، والجوارح تَبَعٌ لصلاح القلب وفساده.

- **متَّبع الهوى يعتقد ثم يبحث في القرآن عما يظنُّه موافقًا لهواه؛ ولذا فلن يصل مطلقًا للانتفاع بالقرآن، ولا بهديه**، ولن يصل القرآن قلبه فيتدبر فيه وينتفع بمواعظه إلا إن سعى في التخلص من الهوى وتصفية قلبه منه، وصار هواه تبعًا للوحي قرآنًا وسُنَّة.

- **أن العلاج القرآني في ضوء آيات التدبر تبيَّن على النحو الآتي:** وجوب الإيمان بعظمة القرآن، وبالعلم والعمل، وبالإقبال على القرآن وعدم هجره في جميع شؤون الحياة، وباليقين بإحكام آياته وإتقان ألفاظه، وبوجوب تطهير القلب من الأقفال: سواء في ذلك أقفال الشبهات والشهوات.

.....:::::::::::.....

التَّوْصِيَات

➢ **توصية للمجتمع:** تدبر القرآن عبادة جليلة من الضروري نشر علمها في المجتمعات الإسلامية اليوم، وعلى جميع المستويات، بشتى الوسائل لتثقيف المجتمع وتعريفه بمفهوم هذه العبادة وأسبابها وموانعها وضوابطها.

➢ **توصية في التزام الضابط العام للتدبر:** وهو وجوب التزام منهاج السلف الصالح في التدبر، وهديهم في تدبرهم لكتاب ربهم، والوقوف على ذكر أحوالهم وتراجمهم وقصصهم؛ وذلك أن الجهل بمنهاجهم في عبادة التدبر، سببٌ لتفشِّي البدع والمحدثات.

➢ **توصية للمشرفين على المحاضن التربوية:** بتوطين منهجية التدبر في هذه المحاضن، ومحاولة حثِّ التلاميذ على تنمية مَلَكَةِ الفهم والتدبر، لأجل أن يظهر ذلك في سلوك الدارسين وأخلاقهم، ومن ذلك اطلاعهم على قدوات المتدبرين ونماذج المهتدين، وأن يضعوا ضمن برامجهم وخططهم مراعاة هذا الأمر؛ لأنه ثمرة إنزال القرآن.

➢ **توصية لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم:** بتهيئة بيئة للتدبر في حلقات تحفيظ القرآن، والعمل على تمليك الطلاب مقومات التدبر وأدواته ووسائله؛ كمعرفة عظمة الله تعالى وقدسية وحيه، وفهم مقاصد الإسلام ومحاسنه، وتحسين المستوى اللُّغوي، وفهم الغريب، وتنمية ملكة التركيز، وقراءة التفسير الميسر لما يُحفظ، وتحسين الصوت بالقرآن، وتكرار تلاوة الآية، والتؤدة في التلاوة وتجنب الإسراع، والحث على التلاوة في الليل، وسماع القرآن من غيره بخشوع، والتدارس الثنائي، وتغليب الضبط والإتقان على مجرد الحفظ بدونه، وغير ذلك مما يعين على التدبر ويدفع ما ينافيه.

➢ **توصيـة للجامعـات والمعاهد العلميـة والتعليم العام:** بإنشـاء مقررٍ يُدرس في كليات الشريعة وأصول الدين في أصول تدبر القرآن الكريم، وتكليف لجان متخصصة لوضع مفرداته ومواضيعه؛ فالطلاب والطالبات بحاجة ماسَّة إلى العلم والعمل بما في القرآن فلا يكفي مجرد تلاوته وإقامة حروفه.

➢ **توصية بإنشـاء كراسٍ بحثية في التدبـر:** وذلك بتخصيص بحوث وباحثيـن لخدمـة التدبر ومسـتجداته، مصطلحًا وتطبيقًا، وعقـد حلقات نقاش لذلك بالتعاون مع الجمعيات والمراكز المختصة والمهتمة بتدبر القرآن الكريم.

➢ **توصيـة في إبـراز ثمرة التدبـر:** وهو الاهتمام بالجانـب التطبيقي للتدبـر كما رسـمه وبينه أثـر أبي عبد الرحمن السـلمي المشـهور؛ فهو الأسُّ الـذي تبنـى عليه قضيـة التدبر؛ حيث إنه وضـح بصورة جليَّـة الطريقة المثلى لتدبـر كتـاب الله، التي قامـت على ركنين أساسـيين: (الفهـم، والعمل) وهذا الأمر المهمُّ الذي يفتقده أبناء الأمة اليوم.

➢ **توصيـة للأمة جميعًـا:** والتي تعيش الآن في زمـنٍ كثرت فيه البدع، وتلاطمـت فيـه الفتـن، وتحكمـت فيه الشـهوات والشـبهات، وتغيـرت فيه المبـادئ والمعتقـدات؛ فهـي أحوج مـا تكون إلـى تدبر كتـاب الله؛ بأن يتجه أفرادهـا جميعًـا، شـعوبًا ودولًا، حكامًا ومحكومين، اتجاهًـا صحيحًا بكامل أحاسيسهم ومشاعرهم، بقلوبهم وقوالبهم، إلى كتاب الله تلاوة وتدبرًا.

والله المسؤول أن يجعله لوجهه خالصًا، وينفع به مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والآخرة؛ إنه سـميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن
مصحف هدايات القرآن الكريم

إعداد: إدارة المشروع.

مجلة تدبر

مشروع: هدايات القرآن الكريم

(مصحف التدبر)

إنَّ مَن عاش مع القرآن الكريم؛ فأحيا به قلبَه، وعَمَر به حياته- عَرَفَ قِيمته، وأدرك النعمة التي امتنَّ اللهُ بها على عباده بإنزاله؛ فاللذة بتلاوةِ القرآن وترديدِه وتأمُّلِ معانيه وتدبرِه والترنُّمِ به لا يُدركها مَن يتلوه بلسانه، دون أن يُلامس القرآنُ شِغافَ قلبه، ويكون أصلًا في حياته؛ كالماء لا يمكن أن يَستغني عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾، وهو هذا القرآن الكريم، سَمَّاه رُوحا؛ لأنَّ الرُّوح يَحيا به الجسدُ، والقرآنُ تَحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين؛ لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. وهو محضُ مِنَّة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم".

معالم التدبر:

"شركة معالم التدبر" مُنشأة غير ربحية تُعنَى بتعزيز الصلة بالقرآن الكريم وتحبيبه وتعظيمه وتدبُّره.

قيمتها:

فهذه أربع قيم تسلِّط "معالمُ التدبر" الضوءَ عليها، وهي:

- تعزيز الصلة بالقرآن الكريم.
- تحبيبه.
- تعظيمه.
- تدبره.

خدماتها:

وفي سبيل ترسيخ هذه القيم تُقَدِّم "معالم التدبر" عدة خدمات، وهي:

- بناء قيادات مُتخصصة في التعليم النوعي؛ لتصميم مناهج وأدلة في التعليم النوعي للقرآن الكريم ونشره.
- تصميم مناهج وأدلة في التعليم النوعي للقرآن الكريم، وتقديم ممارسات احترافية في ذلك.
- الإسهام في تعزيز الصلة بالقرآن الكريم، ومحبته، وتعظيمه، والتشجيع على تدبره.
- إنتاج
- مواد مُبتكرة لتحقيق الانتفاع بالقرآن الكريم، والإسهام في ضبطه وفق المنهج الشرعي.

مصحف التدبر:

١- جاءت فكرة مشروع "**مصحف التدبر**"؛ لكون "**التدبر**" أحد القيم التي تسعى معالم التدبر لترسيخها.

٢- مساعدة لمَن يحبُّ تدبر القرآن على اكتساب قيمة التدبر.

٣- لما كانت فكرة التفاسير التي على هامش المصحف الشريف خادمة للراغبين في معرفة معاني القرآن الكريم- جاءت فكرة إصدار منتج يُعنى بتدبر آيات القرآن الكريم كاملة.

فدُرِسَت الفكرة دراسة مستوعبة، ودُعي لها المختصون، وأقيمت مِن أجلها لقاءات العمل، ووضعت لها هيكلة إدارية، وخطة عمل؛ استمرت

لسـنوات، ما بين جمع وانتقاء وتحرير ومراجعة، حتى خرج المشروع بصورة فريدة غير مسبوقة، برزت في عدة مراحل نستعرضها فيما يلي:

❑ المرحلة الأولى: بناء الخزانة:

في البـدء؛ اجتهد فريق العمل في بنـاء خزانة للتدبرات، كانت مَكْنَزًا كبيرًا اسـتَلَّ من كتب التَّفسير ما يَصلح أن يكون هدايات تدبرية، كما استُكْتِب فريقٌ من المختصين في الهدايات القرآنية؛ لنجد هذا الكَمَّ الضخم من التدبرات.

❑ المرحلة الثانية: الجرد والانتقاء:

وكانت أبرز خطواتها:

- فرز الهدايات المستخلصة من خزانة التدبرات بحسب ترتيب السُّور والآيات.
- انتقاء الهدايات ذات الارتباط الواضح والمباشر بالآية.
- شمول الآيات القرآنية بالتدبر.

❑ المرحلة الثالثة: التنقيح والتسديد:

- فحـصُ الهدايـات؛ من حيث معناها ومناسـبتها للآيـة، والتحققُ من سلامتها علميًّا، وموافقتها للمعايير المذكورة.
- التثبُّـت مـن أنَّ النصوص المُدرجـة هدايات تدبرية، وليسـت مجردَ تفسير أو بيان لمعنى الآية.
- تقييد الملحوظات والتعليقـات والاقتراحات؛ ليُفاد منها في المرحلة التالية.



المرحلة الثالثة: الصياغة	المرحلة الثانية: تحكيم الانتقاء (مراجعة الأولى)	المرحلة الأولى: الانتقاء (هداية السلف)	الشاهد من الآية	الآية	الصفحة	اسم المرجع
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	1	[128]	روح المعاني
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	1	[128]	القاسمي
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	1	[128]	الظلال
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	2	[128]	ابن عاشور
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

☜ معايير انتقاء الهدايات:

معايير انتقاء الهدايات، والتي نعتقد أنها تُحَقِّقُ التميز في المشروع؛ فقد استند فريق العمل على المعايير الآتية:

- ✓ أن تكون الآياتُ موافقةً لمعنى الآية ومقصدها وسياقها.
- ✓ أن تكون الهدايةُ وَفْقَ فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالح.
- ✓ أن يكون للهداية أثرٌ إيمانيٌّ في وِجْدَان القارئ يحفزه على العمل.
- ✓ البعدُ عن الإغراب في الألفاظ والتراكيب والعبارات.
- ✓ مراعاة بيان معاني غريب المفردات القرآنية في أثناء صياغة الهدايات؛ قَدْر المستطاع.
- ✓ أن تكون الهداياتُ قصيرةً ومُوجزةً ما أمكن.

❑ المرحلة الرابعة: الصياغة والتحبير:

- صياغة جميع التدبرات والهدايات صياغة خاصة بالمشروع.
- الاستفادة من الملحوظات والتعليقات والاقتراحات المُقَيَّدَة في المرحلة السابقة.
- ضمان تطبيق معايير الصِّياغة المعتمدة.

❑ المرحلة الخامسة: المراجعة والتدقيق:

- مراجعة جميع الهدايات المَصُوغة، وتحريرُها علميًّا ولُغَوِيًّا وأُسلوبيًّا.
- تشكيل ما يُستحسن ضبطه من الكلمات؛ ليزداد المعنى جلاء.
- الاهتمام بوضع علامات الترقيم حسب قواعدها المعروفة.

❑ المرحلة السادسة: بيان الغريب:

➢ تفسير الألفاظ القرآنية العربية؛ اعتمادًا على الطبعة الأخيرة المنقحة من كتاب "السراج في بيان غريب القرآن"، وكتاب "الميسر في غريب القرآن الكريم"، وكتاب "وجه النَّهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار"؛ مع التصرف تحريرًا واختصارًا.

❑ المرحلة السابعة: التقويم والتحكيم:

➢ وقد تولى القيامَ بهذه المرحلة فريقٌ علميٌّ من المتخصصين في العقيدة والتفسير وعلوم القرآن والسُّنَّة واللُّغة العربية؛ حيث استعرض طائفةٌ منهم كامل المحتوى، مُراعين السياق في كلِّ موضع، في حين اعتنى آخرون بالنَّظرة الشاملة، وضمان اطِّراد المنهج في عموم الكتاب؛ بيانًا وضبطًا وتنسيقًا.

❑ المرحلة الثامنة: المراجعة النهائية:

- مراجعة الهدايات واعتمادها.
- تقويم تفسير غريب المفردات واعتمادُه.

وهكذا استخلصت الهدايات وصارت مُنضبطة مَتينة من خلال المرور بهذه المراحل الثَّمان؛ لتخرج للقارئ الكريم على وجهٍ نرجو أن يكون هو الأنسب والأكثر فائدة.

وبرغم ما بُذل في هذا العمل مِن جهد في الإعداد والمراجعة، فإنه يظل عملًا بشريًّا عُرضة للنقد والتَّصويب، وما أُورد فيه من محتوى إنما هو قُلٌّ من كُثْر؛ فقد اجتمع لدى فريق العمل من الهدايات والوقفات التدبرية أضعاف ما نُشِر، واكتفى بما تُتيحه مساحة هامش كل صفحة من المصحف الشريف.

الأوجه من ٣٨٥ إلى ٣٩٢

السورة	الآية	الشاهد من الآية	المرحلة الرابعة	صياغة معدلة	هداية جديدة	ملاحظة
سورة النمل	٦٧	وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون		أعمى التكبر صاحبه عن كل حق معنوي، أو غير غيبي، فلم يعد يرى للتصديق سوى المشاهدات التي يراها أو يلمسها		
	٦٨	لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين			سبحان الله كيف صار الحق اليقين أساطير الأولين في نظر المكذبين، مع أنه خبر الصادق الذي تواترت عليه الرسل في كل أمة!	
	٦٩	قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين		وجه القرآن الناس إلى البحث عن السنن [illegible] وتدبر [illegible] حيث [illegible] الأرض [illegible] الآفاق، [illegible] عن عواقب المجرمين، [illegible] في الدنيا		
	٦٩	قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين		لا ينبغي للإنسان العاقل أن ينظر في أخبار الأمم ومواقعهم وكأنها سير قد انقضت، وحكايات لا تتكرر، بل عليه أن يعتبر بأحداثها ويتعظ بأيام الله فيهم مهما تباعد زمانها ومكانها.		
	٧٠	ولا تحزن عليهم ولا تكن في		من أثر الضلالة لا يستحق أن تحزن عليه، [illegible]		

مراحل العمل والإجراءات التفصيلية لكل مرحلة			
مراحل العمل	**الإجراءات والمهام التفصيلية**	**مقدار الإنجاز الأسبوعي**	**المسؤولية**
المرحلة الأولى: الاستخراج والجمع	1) جمع مادة التدبرات من المصادر المعتمدة من إدارة المشروع، (جمع الباحثين لمجموعة الاستكتاب في [illegible] [illegible] مشروع القرآن تدبر وعمل، أرشيف مشروع التحرير في التفسير)	8 أوجه من المصحف الشريف	الأستاذ/ عبد الله بن سليمان [illegible]
	2) انتقاء الهدايات المناسبة وفرزها حسب السور والآيات، وترتيبها حسب تسلسل الآية.		
	3) تحديد النقص، ويشمل الهدايات التي لم تستوف ألفاظ الآية وموضوعاتها المهمة، وإرساله إلى المجموعة الخاصة بالاستكتاب.		
	4) حذف الهدايات التي يكثر فيها المعنى العام وحذف الهدايات التي تكون أقرب إلى التفسير، أو ارتباطها بالآية غير [illegible]، وإدراج الهدايات الجديدة في الجدول وتنسيقها لتكون جاهزة للمرحلة الثانية.		
المرحلة الثانية: التقويم والانتقاء	1) فحص الهدايات من حيث المعنى العام ومناسبتها للآية والتحقق من سلامتها علميًّا وموافقتها لما أورده [illegible] من معانٍ.	8 أوجه من المصحف الشريف	الشيخ/ إبراهيم بن عبد الله الأزرق
	2) التأكد من أن الهدايات المدرجة هدايات تدبرية وليست جزءًا تفسيريًّا أو بيانًا لمعنى الآية.		
	3) كتابة ما يراه المقوّم من ملحوظات أو تعليقات أو اقتراحات يستفيد منها الصائغ في المرحلة الثالثة.		
المرحلة الثالثة: الصياغة	1) صياغة جميع التدبرات والهدايات المعدّة للصياغة.	8 أوجه من المصحف الشريف	الدكتور/ عبد الرحمن [illegible]
	2) الاستفادة من ملحوظات المقوّم وتعليقاته واقتراحاته.		
	3) اعتماد تطبيق معايير الصياغة المتفق عليها (عدد الكلمات، وتنويع الهدايات).		
المرحلة الرابعة: التدقيق	مراجعة جميع الهدايات المصوغة والتدقيق فيها وتحريرها علميًّا ولغويًّا.	8 أوجه من المصحف الشريف	الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن قائد
المرحلة الخامسة: التحرير النهائي	1) مراجعة صياغة الهدايات مراجعة نهائية واعتمادها.	8 أوجه من المصحف الشريف	الأستاذ/ أيمن بن أحمد ذو الغنى
	3) إعداد تفسير غريب مفردات الآيات، واعتماده.		
المرحلة السادسة: الاعتماد النهائي	1) اعتماد سير كل مرحلة حسب المعايير المتفق عليها.	8 أوجه من المصحف الشريف	الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الله التويجري
	2) التقويم النهائي للهدايات واعتمادها.		
	3) التقويم النهائي لتفسير غريب المفردات واعتماده.		
	4) الإقرار النهائي للعمل وإرساله إلى لجنة التقويم.		

☜ المنتجات:

١ - كتاب "تدبر المُفَصَّل"؛ حيث كان هذا الكتابُ اللَّطيفُ أَوَّلَ مُنتجات هذا المشروع المبارك؛ فقد استهدف سُوَرَ المفصل المبدوءة بسورة (ق) حتى نهاية القرآن الكريم، وقد لَقِيَ -بفضل الله تعالى- رَوَاجًا ورغبة من عموم الناس فضلًا عن المتخصصين والمَعنيين بتدبر كتاب الله تعالى، وقد صدر منه ثلاثُ طبعات، وستصدر الطبعة الرابعة منه قريبًا بإذن الله؛ مع بعض الإضافات والتحسينات.

٢- كتاب "هدايات القرآن الكريم"؛ حيث استكمل فريقُ العمل -بالانتهاء من هذا الكتاب- آياتِ القرآن الكريم كاملة بالتدبر على هامش المصحف؛ فخرجت الطبعة الأولى منه عام ١٤٤٠ هـ، ونفدت من المكتبات، وقد رُوجعت الطبعةُ الثانية منه مرة ثانية، وأُضيف إليها بعض التحسينات، وستخرج للنور قريبًا بإذن الله.

٣- تطبيق "مصحف التدبر" في الهواتف الذكية؛ حيث يمكن للمستخدم تلاوة كتاب الله تعالى كما هو في المصحف، ويمكنه -أيضًا- الرجوع إلى الهدايات المتعلقة بكلِّ آيةٍ على حِدَة، ويمكنه كذلك الرجوع للهدايات مُرَتَّبة متوالية مع الآيات، مع خدمات أخرى؛ كالتلاوات الصوتية لعدد من القُرَّاء، والبحث في الهدايات أو في الآيات، وشريط تنقُّل بين الصفحات، وإمكانية المشاركة بالآيات أو الهدايات في مواقع التَّواصل، مع إمكانية إضافة صور وإطارات لتحسين صورة المشاركة، وغيرها من الخدمات، وفي خطوة قادمة -إن شاء الله- نعتزم تطوير النظام؛ ليستقبل إسهامات المتدبرين من أرجاء العالم، وتطوير تفاعل المحتوى مع التطبيقات الأخرى لدى المستخدمين.

٤- كتاب "ترجمة تدبر المُفَصَّل" إلى اللغة الإنجليزية على هامش المصحف، وقد قمنا بترجمةِ الكتاب بفضل الله تعالى، وستخرج طبعته الأولى للنُّور قريبًا بإذن الله تعالى؛ ليستفيد منها الناطقون بهذه اللُّغةِ.

٥- ترجمة كتاب "هدايات القرآن الكريم" إلى اللغة الإنجليزية وتم إسناده لإحدى الجهات المختصة لترجمته، وسيكون له الأثر الطيب -إن شاء الله- على مُتَحَدِّثِي هذه اللغة.

رؤية مستقبلية :

والأفكار ولَّادة، ويمكن لهذه المنتجات الخمس أن تزيد وتتضاعف بفضل الله وتوفيقه.

نسأل الله تعالى أن يَنفع به، وأن يجزي -كلَّ مَن شارك فيه بجهدٍ علميٍّ أو ماليٍّ أو بدني- خير الجزاء وأوفاه،

ونسألُ اللهَ أن يكتب للمشروع الذُّيوع والانتشار؛ لِيَعُمَّ نفعُه المسلمين، وأن يكون مُلْهِمًا لأهل العِلم والخير، وأن يجعلنا جميعًا مِن أهل القرآن المتدبرين له العاملين به.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّم على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحْبِه أجمعين



ثالثاً: تقارير المؤتمرات العلمية



تقرير عن المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم

إعداد: إدارة المؤتمر.

تقرير عـن المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم بعنوان:

(تعظيـم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم)

- تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشَّراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى في الفترة من (١٤ - ١٦/ ٥/ ١٤٤١هـ - الموافق من ٩- ١١ يناير ٢٠٢٠ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسوله ومُصطفاه،

وبعد:

فإنَّ تعظيم الله تعالى ومَحَبَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هما أساسُ الإيمان، وعليه؛ فالعنايةُ بهذه القضيةِ الكبرى -بحثًا ودراسة وتأصيلًا وتطبيقًا وعملًا- مِن أوجب الواجبات وأشرف القُرُبات؛ حيث عُني القرآن بهذا الموضوع في جميع أجزائه وسُوَره وآياته، وكان حقًّا على أهل العلم وطُلَّابِه أن يُعنوا به من خلال جَمْعِ واستنباط هداياته، والعمل على تأصيل جوانبه وإبراز تطبيقاته.

۞ مِمَّا دعا إلى عَقد مؤتمر قرآني عالمي حول هذا الموضوع، والذي تتمثل أهميته في:

١- تُمَثِّل قضية «**تعظيم الله** عَزَّوَجَلَّ» جانبًا محوريًّا في العقيدة الصحيحة، وهي مِن أشرف الأعمال القلبية التي لها الأثرُ الفاعلُ في توجيه الأعمال والسلوك.

٢- اهتمام القرآن بموضوع «**تعظيم الله** عَزَّوَجَلَّ»؛ من حيث عدد الآيات التي اعتنت بإبرازه، وتنويع الأساليب القرآنية في عَرْضِه. وهو أمرٌ يَدعو إلى دراسته، والعمل على استجماع مسائله؛ من أجل الوصول إلى الهدي القرآني المتكامل فيه.

٣- عدم وجود دراسات علمية كافية حول قضية «**تعظيم الله** ﷻ»؛ خاصَّة فيما يتعلق بالجوانب التأصيلية والنماذج التطبيقية، وذلك بالرغم من أهمية هذه القضية، وما تتميز به من الثَّرَاء الإيماني والبُعد المعرفي.

٤- إحياء الرُّوح الإيمانية في نفوس أفراد هذه الأمة من خلال العناية بأعمال القلوب؛ التي في مُقَدِّمتها -وعلى رأسها- قضية «**تعظيم الله** ﷻ».

٥- شدة حاجة الأمة اليوم لتناول هذه القضية الإيمانية التربوية، التي عليها مناطُ صلاح القلوب والسلوك؛ في زمان ضَعُف فيه موضوع التعظيم في نفوس بعض المسلمين، بسبب بُعدهم عن هدي القرآن الكريم.

أهداف المؤتمر:

١- التأصيل لموضوع التعظيم في هدايات القرآن الكريم.

٢- إبراز نماذج تطبيقية لتعظيم الله في القرآن الكريم.

٣- دراسة جهود العلماء في تَعميق موضوع تعظيم الله تعالى.

٤- نَشر ثقافة تعظيم الله تعالى في المجتمعات.

المحاور الرئيسية للمؤتمر:

١- التَّأصيل لمفهوم تعظيم الله تعالى في الهدايات: (أهميته، وأركانه، ومراتبه، وأساليبه، ومجالاته، ومظاهره، وآثاره).

٢- نماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالى في ضوء الهدايات القرآنية.

٣- جهود العلماء في تعميق تعظيم الله تعالى.

٤- دراسات ميدانية عن واقع المجتمعات من تعظيم الله، وسُبُل العِلاج.

٥- تصميم برامج فاعلة في تعظيم الله.

المحاور الفرعية:

المحور الأول: التأصيل لمفهوم تعظيم الله تعالى في الهدايات: (أهميته، وأركانه، ومراتبه، وأساليبه، ومجالاته، ومظاهره، وآثاره):

١- مفهوم تعظيم الله تعالى، وأنواعه وألفاظه.

٢- أهمية تعظيم الله تعالى ومكانته ومظاهره ومجالاته.

٣- القواعد في تعظيم الله تعالى وأركانه ومراتبه.

٤- السُّبُل والوسائل والأساليب في تحقيق تعظيم الله.

٥- العلوم الشرعية وأثرها في تعظيم الله ﷻ (توجيه القراءات، التفسير، المقاصد،...).

المحور الثاني: نماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالى في ضوء الهدايات القرآنية:

١- أركان الإيمان ودلالتها على تعظيم الله تعالى.

٢- تعظيم الله تعالى عند مخلوقاته.

٣- هدي النبي ﷺ في تعظيم الله تعالى.

٤- هدي السَّلَف في تعظيم الله تعالى.

٥- العِبادات والأحكام الشرعية ودلالتها في تعظيم الله تعالى.

٦- تعظيم الله تعالى من خلال القَصص والأمثال في القرآن الكريم.

٧- تَدَبُّر القرآن الكريم وأثرُه في تعظيم الله تعالى.

المحور الثالث: جهود العلماء في تعميق تعظيم الله تعالى:

١- جهود العلماء في إبراز تعظيم الله تعالى.

٢- تعظيم الله تعالى عند المُفَسِّرين والمُحَدِّثين والفُقهاء.

٣- تعظيم الله تعالى عند علماء اللُّغة العربية، والأدب، والشِّعر.

٤- الإعجاز العِلمي في القرآن والسُّنَّة، وأثرُه في تعميق التعظيم.

٥- العلوم التطبيقية والتجريبية ودورها في تعظيم الله تعالى: (الطب، الفَلَك، الهندسة...)، وغيرها.

المحور الرابع: دراسات مَيدانية عن واقع المجتمعات مِن تعظيم الله، وسُبُل العلاج:

١- واقع الأُمَّة في تعظيم الله تعالى.

٢- أثر تعظيم الله تعالى في مجالات الحياة: (العَقَدِيَّة، الأُسريَّة، التربوية، الأخلاقية، النَّفْسِيَّة، السياسية...)، وغيرها.

٣- الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالى، وأضرارها، وسُبُل علاجها.

٤- أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأُمَّة وَوَحْدَتها، وتحصينها من الفتن.

المحور الخامس: تصميم برامج فاعلة في تعظيم الله:

١- بناء القِيادات المُعَظِّمة لله تعالى.

٢- بناء مناهج تربوية للناشئة في تعظيم الله تعالى.

٣- وسائل التواصل المعاصرة، وكيفية الاستفادة منها في تعظيم الله تعالى.

مكان انعقاد المؤتمر:

جامعة أفريقيا العالمية (الخرطوم - السُّودان).

توصيات المؤتمر

الحمدُ لله ربِّ العالمين، القائلِ في مُحكم تنزيله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، والصَّلاة والسَّلام على خير خلق الله أجمعين وقدوة المُعَظِّمين لربِّ العالمين،

أمَّا بعد:

فبعون الله -تعالى- انعقد في مدينة الخرطوم بجمهورية السودان المؤتمر الدولي الثاني في الهدايات القرآنية بالشَّراكة بين جامعة أفريقيا العالمية وكرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة؛ بعنوان: (تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم) تحت شِعار: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ في المدة من (١٤- ١٥ جمادى الأولى ١٤٤١هـ)، الموافق (٩- ١٠ يناير ٢٠٢٠)، وقد شارك في المؤتمر جَمْعٌ من العلماء والباحثين يَنتمون إلى (٥١) جامعة من (٢٣) دولة، وقُدِّم فيه (١٧٤) بحثًا في محاور المؤتمر الخمسة.

وبعد انتهاء المؤتمر ومناقشة أوراق العمل المُقَدَّمَة- تَوَصَّل الباحثون إلى التوصيات الآتية:

١- دراسة مَعالم تعظيم الله تعالى في سيرة النبي ﷺ قُدوةِ الأُمَّة.

٢- إعداد مشاريع بحثية في مجال تعظيم الله ﷻ؛ مثل: (أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وقصص الأنبياء، وآيات الكون)، ونحوها، ودلالتها على تعظيم الله تعالى.

٣- ترسيخ قِيَم تعظيم الله تعالى في نفوس الناشئة في مراحل التعليم الأولى، وتأهيل المُعَلِّمين والمُعَلِّمات والآباء والأمهات للقيام بذلك.

٤- إدخال معاني تعظيم الله تعالى ضِمن مفردات المقررات الدِّراسية في جميع مراحل التعليم.

٥- توظيف العلوم والمعارف المتنوعة في تحقيق تعظيم الله تعالى.

٦- إعداد برامج تدريبيَّة وإعلاميَّة وتربويَّة ودَعَوِيَّة في تعظيم الله ﷻ.

٧- نَشر قِيم تعظيم الله تعالى في المجتمع، وتقريبها للعامَّة بالوسائل المتنوعة.

٨- إعداد مواد عِلميَّة في تعظيم الله تعالى، وترجمتها إلى اللغات الأخرى.

٩- توظيف وسائل التِّقنية الحديثة ووسائل التَّواصل الاجتماعي في نشر تعظيم الله تعالى.

١٠- عَقد شَرَاكات عالميَّة لإنتاج البرامج التطبيقية في تعظيم الله تعالى.

هذا، ونسأل اللهَ أن يُكَلِّلَ الجهودَ بالتَّوفيق والتَّسديد، وأن يتقبل من الجميع صالحَ الأعمال، والحمد لله أوَّلًا وآخرًا

وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِه وسَلَّم

أبحاث المؤتمر

أبحاث الجلسات الافتتاحية:

١- أ.د/ **توفيق مولاي العبقري**، من معاني التعظيم في مباني علوم القرآن العظيم، جامعة القاضي عياض، المغرب.

٢- د/ **عثمان علي حسن علي**، أثر الخمسة مباني في تعظيم الخالق الباري، جامعة أم القرى، السعودية.

٣- د/ **صالح فليح المذهان**، تعظيم لفظ الجلالة في الصيغ الإعرابية عند النحاة، الأردن.

٤- أ.د/ **علي عبدالله السكاكر**، ضوابط في تعظيم الله ﷻ وشعائره، الجامعة الإسلامية، السعودية.

٥- أ.د/ **عبدالله البخاري**، أثر إصلاح العقول ومنهج التفكير في تعظيم الله جل وعز، جامعة ابن زهر، المغرب.

٦- أ.د/ **محمد عبدالعزيز العواجي**، تعظيم الله في قصص الأنبياء عليهم السلام، الجامعة الإسلامية، السعودية.

٧- د/ **طه حميد حريش الفهداوي**، مقاييس تعظيم الله تعالى في القرآن الكريم، العراق.

٨- د/ **محمد أصبيحي**، الآثار العقدية والنفسية والأسرية لتعظيم الله تعالى، جامعة الحسن الثاني، المغرب.

٩- أ.د/ **أمجد بن محمد زيدان**، تعظيم القول في التفسير تعظيم الله تعالى، الجامعة الإسلامية، السعودية.

١٠- د/ **فضلان محمد عثمان**، تعظيم الله من خلال تدبر القرآن: توجيهات لغير الناطقين بالعربية، الجامعة الوطنية الماليزية، ماليزيا.

١١- د/ **مبارك إبراهيم التجاني**، تعظيم الله من خلال شعيرة الصلاة، جامعة القرآن الكريم، السودان.

١٢- د/ **رشدي بن مامو بن أوان طاهر**، أثر تعظيم الله في تنمية أخلاق مجتمع الأقليات المسلمة، جامعة الأمير سونكلا الحكومية، تايلند.

١٣- أ.د/ **أحمد بن خالد شكري**، مظاهر عظمة الله العلي في آية الكرسي، الجامعة الأردنية، الأردن.

١٤- أ. د/ **مفرح بن سليمان القوسي**، وسائل تعظيم الله وآثاره، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

١٥- د/ **رضوان بن جمال الأطرش**، مواصفات الشخصية التي تعظم الله عز وجل في القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

١٦- أ.د/ **حسن حميتو**، صور مشرقة من تعظيم الله تعالى عند السلف الصالح، جامعة ابن زهر، المغرب.

١٧- د/ **عبد الحق غانم سيف**، أثر تعظيم الله في الحياة الأسرية، جامعة صنعاء، اليمن.

١٨- د/ مصطفى صالح القموني، من ملامح تعظيم الله عند علماء النحو، جامعة طرابلس، ليبيا.

١٩- أ/ الجيلالي بوزيري، تعظيم الله تعالى وأثره في تزكية النفوس، جامعة ابن زهر، المغرب.

أبحاث المحور الأول: التأصيل لمفهوم تعظيم الله تعالى في الهدايات:

١- د. طه حميد حريش الفهداوي، مقاييس تعظيم الله تعالى في القرآن الكريم - دراسة تطبيقية.

٢- د. مفرح بن سليمان القوسي، وسائل تعظيم الله وآثاره.

٣- د. علي أبو الفتح حسين حمزة، أساليب تعظيم الله تعالى في القرآن الكريم.

٤- د. عصام الدين أحمد محمد بابكر، قواعد تعظيم رب الأنام في سورة الأنعام.

٥- د. إدريس علي الطيب علي، أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله سورة الفرقان نموذجًا.

٦- يونس سعيد، مقاصد الشريعة وأثرها في تحقيق تعظيم الله.

٧- د. مروان مصطفى حسن ربايعة، الأساليب اللغوية الدالة على تعظيم الله في القرآن الكريم.

٨- د. محمد أديب امرير، من الطرق التي عظم الله تعالى ذاته بها في القرآن وهداياتها.

٩- **خالـد محمـد حمودة**، تكامل منهـج القرآن في الجمـع بين المعرفة والسلوك لتحقيق التعظيم.

١٠- **د.محمد مهدي لخضر بن ناصر**، ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي.

أبحاث المحور الثاني: نماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالى في ضوء الهدايات القرآنية:

١- **د.محمد بن عبدالعزيز العواجي**، تعظيم الله في قصص الأنبياء.

٢- **د. عبدالرحمن بن علي الحطاب**، دلالات القرآن على تعظيم المولى من خلال أساليبه الدالة على الأحكام.

٣- **محمد إبراهيم الدعيس**، تعظيم الله في ضوء هدايات آيات الحج.

٤- **د.رشـيد حمـداوي**، تعظيم شـعائر الله وحرماته في ضـوء الهدايات لسورة الحج.

٥- **جمانـة خالـد عبدالله الشـيخ حسـين**، التصوير القـرآني للعلاقة بين النجوم وبين الإنسان وأثره في تعميق تعظيم الله تعالى.

٦- **د. نايف بن يوسف العتيبي**، هدايات سورة الرحمن في تعظيم الله.

٧- **فوفانا يوسف**، تعظيم الله من خلال هدايات الأمثال القرآنية.

٨- **د.سامي وصل الحسيني**، دلالات اسم الله في القرآن الكريم.

٩- **د.فاضل يونس حسين**، حجم الكون دليل على عظمة الخالق.

١٠- **د.مايو إدريس بحر**، تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم

١١- د.عثمـان محمد أحمـد، الهدايات الجزئية في قولـه تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ وأثرها في تعظيم الله.

١٢- د. عفـاف عطية الله المعبدي، تعظيم الله تعالى من خلال القصص القرآني.

١٣- د. حسن سيد سليمان، تدبر القرآن الكريم في تعظيم الله.

١٤- د. عبدالرحمن بن سند الرحيلي، تعظيم الله ﷻ في قصة أصحاب الأخدود.

١٥- د. سامية بنت عطية الله المعبدي، مواطن تعظيم الله في حادثة الإفك.

١٦- عادل أحمد سليمان ضحوي، تعظيم الله تعالى في سورة الفاتحة.

١٧- د.فهد بن سالم رافع، سورة الفاتحة وأثرها في تعظيم الله تعالى.

١٨- د.أحمد خليفة صديق الأمين، تعظيم الله في هدايات آية الكرسي.

١٩- موسى إدريس ميغا، كلمات الآذان والصلاة ودلالتها على تعظيم الله.

٢٠- د.عبدالله سالم بافرج، سجدات التلاوة في القرآن وأثرها في تعظيم الله.

٢١- د.محمد حامد محمد سـعيد، نمـاذج تطبيقية من آيات التعظيم في القرآن الكريم.

٢٢- د.عمـر عبدالسـتار روكان الدوسـري، المقاربـات بيـن التفسـير بالمأثور والتفسير بالرأي وأثرها في تعظيم الله.

٢٣- د.محمود فهد مهيدات، التوجيهات الاقتصادية في السنة.

٢٤- د. يحيى أحمد مشني الريثي، نماذج تطبيقية في تعظيم الله.

٢٥- **عبدالغفور اغـلام عبدالغفور الرفاعي**، تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى.

٢٦- **د.خالد عيسى أحمد**، نماذج تطبيقية في تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية.

٢٧- **د.أحمـد عبـده أحمد**، العبـادات والأحكام الشـرعية ودلالتها في تعظيم الله.

٢٨- **عبدالمولى منصور زيدان**، دلالات تعظيم الله من خلال آيات النعم.

٢٩- **د.عبدالغني سعد الشمراني**، هدي الأنبياء في تعظيم الله.

٣٠- **د. محمد أمين الله الغمبري**، تعظيم الله من خلال سورة يوسف عليه السلام.

٣١- **د.عبدالإله أيت الهنا**، تعظيم ذي العزة والجلال من خلال هدايات أواخر سورة الفرقان.

٣٢- **د.مصطفى البكري الشـيخ الهادي**، العقوبات في الإسلام ودلالتها على تعظيم الله.

٣٣- **محمد أحمد جنديه**، تعظيم الله في هدايات القرآن الكريم.

٣٤- **د.محمد عالم أبو البشر ملوك**، المنهج النبوي في تعظيم الله تعالى.

٣٥- **د.ممـدوح خويلد الدحيلان**، مظاهر التعظيم في قصص أولو العزم من الرسل.

٣٦- **د.أحمـد كـوري السـالكي**، أدب المؤمنين في خطابهـم لربهم من خلال القرآن.

٣٧- **د.عواطف عبدالمنعم إبراهيم**، تعظيم الله من خلال القصص القرآني قصة لقمان لابنه.

٣٨- **محمد أزهر النداوي**، تعظيم الله في هدايات سورة الأنعام.

٣٩- **نهى عبدالمنعم إسماعيل**، دلالة القسم على تعظيم الله.

٤٠- **عبدالإله هرماشي**، تعظيم الله في القرآن الكريم.

٤١- **د.أحمد بن سعيد البوسعيدي**، أثر الأمثال القرآنية في تعظيم رب البرية.

٤٢- **خالد نزال الحربي**، تحقيق التعظيم من خلال سورة طه.

٤٣- **د.سوجيات زبيدي**، تدبر القرآن وأثره في تعظيم الله.

٤٤- **د.محمد بودبان**، الهداية في تعظيم الله عز وجل.

٤٥- **د.هالة هاشم أبو زيد**، هدايات سورة النساء في تعظيم الله.

٤٦- **فاطمة أحمد عباس البدوي**، فواتح السور القرآنية وأثرها في تعظيم الله.

٤٧- **نجوغو بن امباكي صمب**، الإقرار بأصول الإيمان وعلاقته بتعظيم الله تعالى.

٤٨- **بشير عثمان محمد**، تعظيم الله تعالى في الهدايات القرآنية.

٤٩- **د.هاشم بن علي الأهدل**، المعظمون لله تعالى في ضوء سورة الكهف.

٥٠- **د.سعيد صالح محمد علي**، تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم.

٥١- **د.محمد مرضي الشراري**، تعميق تعظيم الله في القلوب.

٥٢- **د.سماح محمد عابد المولد**، تعظيم الله تعالى عند مخلوقاته.

أبحاث المحور الثالث: جهود العلماء في تعميق تعظيم الله تعالى:

١- **د.عطوة مضعان أبو غليون**، تعظيم الله تعالى عند اللغويين.

٢- **د.يوسف فاوزي**، جهود د محمد تقي الدين الهلال في إبراز تعظيم الله.

٣- **د. صالح فليح المذهان**، تعظيم لفظ الجلالة في الصيغ الإعرابية عند النحاة.

٤- **د. جميل إبراهيم منديل الحمد**، تعظيم الله تعالى في مقالات أهل العربية.

٥- **د. ناصر سعود القثامي**، أوجه إعجاز التكامل البياني في القراءات ودلالته على تعظيم الله.

٦- **د. وسيم محمد سليماني**، تعظيم الله وإجلاله عند علماء القراءات.

٧- **د.حمود محمد ردمان**، دورابن قيم الجوزية في تعميق تعظيم الله.

٨- **الجيلالي بوزيري**، تعظيم الله عند علماء السلوك.

٩- **د.مصطفى صالح القموني**، من ملامح تعظيم الله عند علماء النحو.

١٠- **د. عادل فائز**، تعظيم الله عند النحاة - مظاهرة وآثاره.

١١- **د.شادي أحمد الملحم**، تعظيم الله في التجويد.

١٢- **د.النعيم مصطفى محمد باشري**، جهود الشيخ أبو زيد حمزة في إبراز تعظيم الله.

١٣- **نجيب العماري**، القراءات القرآنية وأثرها في تعظيم الله.

١٤- **د.نصر الدين وهابي**، مظاهر تعظيم الله في نحو سيبويه.

١٥- د.عبدالرحمن معاشي، مظاهر تعظيم الله في اختلاف القراءات القرآنية.

١٦- د.عبدالعزيز بن الحسين الشنقيطي، مظاهر تعظيم الله عند الشيخ الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٧- د.محمد سعيد العُمري، تربية المهابة وتطبيقاتها.

١٨- د.محمدحامد خالد + د.خالد فضيل، من تعظيم النحاة لله.

١٩- جمال حسن ميرغني، جهود الفقهاء في تعظيم الله.

٢٠- د.بان حميد الراوي، تعظيم الله في شعر الزهد.

أبحاث المحور الرابع: دراسات ميدانية عن واقع المجتمعات من تعظيم الله وسبل العلاج:

١- د.رشدي طاهر، أثر تعظيم الله في تنمية أخلاق المجتمعات الأقليات المسلمة.

٢- د. عبدالحق غانم سيف سالم، أثر تعظيم الله في الحياة الأسرية.

٣- د.عثمان علي حسن علي، أثر الخمسة مباني في تعظيم الخالق الباري.

٤- د. محمد أصبيحي، الآثار العقدية والنفسية والأسرية لتعظيم الله تعالى.

٥- سلمان عمر السنيدي، غرس تعظيم الله وأثره في الانتفاع بهدايات القرآن.

٦- د. محمد سيد أحمد شحاته ، أثر تعظيم الله في تحصين المجتمع من الإلحاد - دراسة في ضوء السنة.

٧- د. علياء بنت علي بكر فلمبان، الآثار الجليلة في تعظيم رب البرية.

٨- د. باسم حسن ورده، ضعف تعظيم الله ﷻ: الأسباب والأضرار والعلاج.

٩- د.عبدالغفار بلقاسم بن نعيمة، تعظيم الله تعالى لنفسه في القرآن وآثاره المقاصديه في هدايات الناس.

١٠- د. حميد مسرار، تعظيم الله تعالى وأثره في تعزيز معالم الأمن الأسري.

١١- د.سعيد عمر عبود بن دحباج، أثر تعزيز تعظيم الله في العصمة من الإلحاد.

١٢- د.نجوى نايف شكوكاني، أثر التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية في المسلم.

١٣- فوزية صالح الحنايا، تعظيم الله في نفوس الأبناء.

١٤- محمد علي صالح جمعه، الأسباب المانعة من تعظيم الله تعالى.

١٥- إدريس مولودي، التعامل الشكلاني مع الوحي مورث لضعف التعظيم الوجداني.

١٦- د.سيكو مارافا توري، موقف المدارس الإسلامية من إجلال الله ﷻ.

١٧- د.خوله محمد الزيدي، تعظيم الله عند المرأة وأثره على المجتمع.

١٨- د.أحمد عامر الدليمي، تعظيم الله تعالى حصانة فكرية وعلمية.

١٩- د.أحمد الويزة، واقع المجتمعات المسلمة من عدم تعظيم الله.

٢٠- د.علي محمد الأحمر، الأسباب المانعة من تعظيم الله في المجتمع النيجيري.

٢١- طاهر محمدزين، واقع مجتمع شمال نيجيريا من التعظيم.

٢٢- **حسين محمد آدم**، أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأمة ووحدة صفها.

٢٣- **إبراهيم زكريا يونس**، أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأمة ووحدتها.

أبحاث المحور الخامس: تصميم برامج فاعلة في تعظيم الله:

١-**د.محمد عبدالسلام أبو خزيم**، مقرح بناء منهج تعليمي للناشئة في تعظيم الله تعالى في مقررات التربية الإسلامية.

٢- **د.عبدالغني علي المقبلي**، تنمية عظمة الله تعالى.

٣- **د. زين العابدين حسين الجبوري**، مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في نشر مفاهيم تعظيم الله تعالى.

٤- **فايزة و فاطمة محمد فرحاتي**، إدارة المعرفة الدينية وأثرها في تعظيم الله.

٥- **د.موسى محمد علي عبدالله**، منهج مادة الأصول الإسلامية للمعاملات المدنية.

٦- **د.هناء عبدالرشيد بدوي**، تعظيم الله في بناء القيادات المعظمة.

٧- **زينب الصولي طلحة**، بناء قيادات معظمة لله على ضوء هدايات قصة موسى.

٨- **د.عبدالمؤمن بامبا**، منهج نموذجي في التربية على التعظيم.

٩- **د.نجوى عبدالغفار حامد**، دور منهج الجغرافية الطبيعية في تعظيم الله.

مجلة تدبر



TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Number 8; volume 4 Rajab 1441 AH, corresponding to March 2020



Tadabbur Magazine

384 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia
PO Box 7119
Medina 41462

Info@tadabburmag.sa

+966503072333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

Editorial Board:

Consultative Committee

1. Dr.Faysal Jameel Ghazawi, The Holy Haram of Mecca" Imam" and the Dean of the Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion in Um Alqura University - Mecca.

2. Prof. al-Shaid al-Bushikhi, Chairman, Board of Directors, Mubdi' Foundation for Studies and Research, Morocco.

3. Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.

4. Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.

5. Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.

6. Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.

7. Professor Abd Elhakeem Mohammed Al Onays, Head of researchers and a member of senior scholars' board of Islamic Affairs and Charitable Activities Department –Dubai

8. Professor Taha Hamad Abdeen, The professor of Quran Tafseer and its Science in OM-Alqura University in Mecca.

9. Prof. Ahmad Khalid Shukri, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.

10. Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2-An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3-Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

4-The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5-The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6-A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.

- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.

- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.

- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.

- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.

- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His

Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

Table of Contents

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

The eighth issue, Rajab 1441 AH, corresponding to March 2020, the fourth year

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:



1658-7642

25 SR